

# بيان السعادة في مقامات العبادة

## حاج سلطان محمد گنابادی

ملقب به سلطانعليشاه








هو

١٢١

# متن عربى

# تفسير شريف
# بيان السّعادة فى مقامات العبادة

تأليف

العارف الشّهير

سلطان محمّد الجنابذى سلطانعليشاه قدس سره

هو

۱۲۱

(المجلّد الخامس)

## متن تفسير شريف

# بيان السّعادة فى مقامات العبادة

تأليف

العارف الشّهير

حاج سلطان محمّدالجنابذى الملقّب بسلطانعليشاه

طاب ثراه

# سورة الانعام

مكّيّة غير ستّ آياتٍ؛ ثلاث منها مِنْ قوله: وَ مٰا قَدْرُواالله حَـقَّ قَدَرِهِ (اِلىٰ آخر ثلاث آيٰاتٍ) وَ ثلاث مِنْ قوله: قُلْ تَعٰالَوا (اِلىٰ آخر ثلاث آيات) اوغير الثّلاث الاخيرة



[اَلْحَمْدُلِلّٰهِ] قد مضى [الَّذي خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضَ] الخلق قد يطلق على مطلق الايجاد سواء كان مسبوقاً بمدّة و مادّةٍ و هوالخلق بالمعنى الاخصّ كالمواليد او مسبوقاً بمادّةٍ دون المدّة و هـو الاخـتراع كالافلاك و ما فى جوفها من العناصر، او لم يكن مسبوقاً بشىءٍ منهما مع التّعلّق بالمادّة و هو الانشاء كالنّفوس، اوبدونه و هو الابداع كالعقول ، و الجعل المتعدّى لواحد بمعنى الخلق لكنّ الاغلب استعماله فيما له تعلّق بمحلٍّ او شيءٍ آخر عرضاً كان او جوهراً.

كقوله هو الّذى انشأكم و جعل لكم السّمع و الابصار و الافئدة لما فيه من شوب معنى التّصيير، و لمّـا كـان النّـور و الظّـلمة العـرضيّان متعلّقين بالمحلّ ذكر الخلق بالمعنى الاعمّ فى ايجاد السّماوات و الارض و الجعل فى ايجاد النّور و الظّلمة، و السّماء اسم لما له ارتفاع و تـأثير فيما دونه و الافلاك الطّبيعيّة احد مصاديقها.

فانّ العقول الطّولّية يعنى الملائكة المقرّبين و الّذين هم قيام لا ينظرون والعقول العرضيّة يعنى الملائكة الصّافات صفاً و النّفوس الكلّيّة المدبّرات امراً و النّفوس الجزئيّة الرّكّع و السّجّد و الاشباح المثاليّة ذوات الاجنحة كلّها سماوات.

و الارض اسم لما فيه تسفّل و قبول عن الغير فالارض الغبراء و عالم الطّبع بسمائها و ارضها و الاشباح الظّلمانيّة يعنى عالم الجنّة و الشّياطين بل الاشباح النّوريّة كلّها ارض بالنّسبة الى عالم الارواح لتسفّلها و تأثّرها عنه.

و المادّة الاولى المسمّاة بالهيولى و الثّانية المسمّاة بالجسم و الثّالثة المسمّاة بالعنصر و الرّابعة المسمّاة بالجماد و الخامسة المسمّاة بالنّبات و السّادسة المسمّاة بالحيوان و السّابعة المسمّاة بالبشر كلّها اراضٍ بالنّسبة الى الصّور و النّفوس و كلّها طبقات متراكمة و دركات متلاحمة فى وجود الانسان، و الارض الغبراء ارض بالنّسبة الى الافلاك و دركات العالم الظّلمانىّ السّفلىّ الّذى فيه الجنّة و الشّياطين و دركات الجحيم و دارالمعذّبين اراضٍ بالنّسبة الى عالم المثال، و من الارض مثلهنّ اشارة الى ماذكر من مراتب العالم السّفلىّ.

او مراتب الموادّ و قد اطلق فى الاخبار السّماء و الارض على غير ماذكر من الصّفات و الاخلاق و طبقات السّماء باعتبار محيطيّتها و محاطيّتها و الكلّ راجع الى ماذكر لهما من المفهوم و قد قيل بالفارسيّة:

آسمانهاست در ولايت جان　　　　کارفرمای آسمان جهان

و فی الاخبار ما یدلّ علی تعدّد السّماوات فی عـالم الارواح و لتقدّم السّماوات شرفاً و وجوداً و رتبةً و علّیّةً من حیث النّزول قدّمها علی الارض، و جمع السّماوات و افراد الارض ههنا و فی اکثر الایـات للاشارة الی کثرة السّماوات و قلّة الارض .و انّ الارض مع تـعدّدها و کثرتها من حیث محاطیّتها امر واحد و انّ طبقاتها متراکمة بـحیث انّ الدّانیة فانیة فی العالیة و متّحدة معها، و لیست السّماوات کذلک فانّها کثیرة محیطة مستقلّة غیر متراکمة، بین کلّ سماء و سماء مسافة بعیدة، و النّور اسم للظّاهر بذاته و المظهر لغیره .

و هذا المعنی حقیقةً حقّ حقیقة الوجود الّتی هی حـقیقة الحـقّ الاوّل تعالی شأنه، فانّه ظاهر بذاته من غیر علّة و فاعل یظهره و مظهر لغیره من الانوار الحقیقیّة و العرضیّة و ظلمات المـهیّات و الحـدود و نقائص الاعدام و طلسمات عالم الطّبع و عالم الجنّة و الشّیاطین فالحقّ الاوّل تعالی احد مصادیق النّور .

و المقصود ههنا غیره تعالی لتعلّق الجعل به و لیس الاوّل تعالی مجعولاً و الاولی بالنّوریّة بعد الحقّ الاوّل تعالی الحقّ المضاف الّذی هو فعل الاوّل تعالی و کلمته و اضافته الاشراقیّة و الحقیقة المحمدیّة(ﷺ) و المشیّة الّتی خلق الاشیاء بها و هو ایضاً حقیقة واحدة بـوحدة الحـقّ الاوّل و هو ظهوره و تجلیّة الفعلیّ و اسمه الاعظم و هو تجلیّة تـعالی علی الاشیاء.

و لمّا کان الحقّ المضاف لا بشرطٍ و الّلا بشرط یجتمع مع الف

شرطٍ كان متّحداً مع الاشياء الّتى ظهر هو فيها و مقوّماً لهـا و مـعها و ليست الاشياء سواها و الحقّ الاوّل من حيث فاعليّته هو الحقّ المضاف.

فانّ الفاعليّة هى نفس الفعل و لولا الفعل لما كان الفاعليّة و الفعل بوحدته عين المنفعلات من حيث انّها منفعلات فصحّ ما قيل انّ بسيط الحقيقة كلّ الاشياء يعنى من حيث الفعل و صحّ ما نسب الى الفتوحات و هو قوله: سبحان من اظهر الاشياء و هو عينها.

يعنى بحسب الفعل و مثال ذلك النّفس حيث انّها بوحدتها كـل القوى فانّها فى البصر عين البصر، و فى السّمع عين السّمع، و هكذا فى غيرها و مع ذلك ما انثلم وحدتها و ما تنزّلت عن مرتبتها العاليّة الغيبيّة و لولا هذا الاتحاد و العينيّة لما صحّ نسبة فعل القوى اليها حقيقةً كما انّه لولا عينيّة الحقّ الاوّل مع الاشياء لما صحّ نسبة افعالها اليه حقيقة و كان قول القدريّة صحيحاً و قول الثنويّة حقّاً، و هذا النّور حقيقة واحدة ظلّيّة مضيئةٌ لسطوح المهيّات و الحدود و الكثرة المترائاة انّما هـى بـعرض المهيّات و لا ينثلم بها وحدتها الذّاتيّة.

كما انّ النّور العرضىّ الشّمسىّ حقيقة واحـدة و تكـثّره بـتكثّر السّطوح لا ينثلم به وحدته، و الظّلمة عبارة عن عدم النّور فهى خافية فى نفسها مخفية لغيرها.

و هذا شأن المهيّات و الحدود و الاعدام الّتى نشأت مـن تـنزّل الوجود و ضعفه، و كلّما زاد التنزّل و الضّعف ازدادت الحدود و المهيّات والخفاء و الاخفاء حتّى اذا وصل الى عالم الطّبع الّذى اختفى فيه صفات

الوجود، و قد علمت انّ الكثرة بالذّات للحدود و بالحدود يتميّز الوجود كما انّ بالسّطوح تميّز النّور العرضيّ و لولاها لما ظهر.

و لذالك قدّم الظّلمات مجموعاً و اخّر النّور مفرداً عكس الاوّل فقال تعالى:

[وَ جَعَلَ الظُّلُمٰاتِ وَ النُّورَ] و لمّا كان الدّهريّة و الطّبيعيّة و القائلون بالبخت و الاتّفاق و القائلون بالاجزاء الّتى لا تتجزّى و غير هم من الفرق الملحدة قائلين بقدم العالم بصورته و مادّته او بمادّته فقط كانت الفقرة الاولى منعاً لدعويهم، و لمّا كان اكثر الثّنويّة قائلين بقدم النّور و الظّلمة و انّها مبدءان للعالم و قد مضى وجه مغالطتهم فى اوّل سورة النّساء عند قوله انّما التّوبة على اللّه للّذين يعملون السّوء بجهالة، كانت الفقرة الثّانية منعاً لدعويهم.

[ثمّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ] فيه معنى التّعجّب، و تخلّل ثمّ للاشارة الى استبعاد التّسوية مع كونه خالقاً للسّماوات و الارض و الظّلمات و النّور، و لمّا كان الايمان به ينفتح باب القلب و بانفتاحه يوقن باللّه و صفاته و ملائكته و كتبه و رسله، و بدون ذلك الانفتاح لا يمكن الايمان باللّه.

و لذا اختصّ الايمان بمن بايع عليّاً (عليه السلام) و خلفائه و دخل البيعة فى قلبه ما به يفتح بابه الى الملكوت كان الكفر هو ستر باب القلب و عدم انفتاحه بتلك البيعة فالكافر من لم يبايع عليّاً (عليه السلام) بالبيعة الخاصّة الولويّة.

و لذالك فسرّ الكفر فى اكثر الآيات بالكفر بالولاية و الكفر بعلىّ(عليه السلام) و الربّ المضاف كم ورد عنهم فى تفسير و كان الكافر على ربّه ظهيراً هو الرّبّ فى الولاية و الرّبّ المطلق هو ربّ الارباب، و الوجه فى ذلك انّ الولاية هى اضافة اللّه الاشراقيّة الى الخلق فمعنى الآية بحسب المقصود ثمّ الّذين كفروا بعلىّ(عليه السلام) بستر وجه القلب بترك بيعة علىّ(عليه السلام) و عدم دخول الايمان فى قلوبهم بعلىّ(عليه السلام) يسوّون سائر افراد البشر و يمكن تعلّق بربّهم بكفروا و كون يعدلون بمعنى يسوّون، او بمعنى يخرجون من الحقّ و بحسب التّنزيل ثمّ الّذين كفروا باللّه بترك بيعة محمّد (صلى الله عليه و آله) و عدم قبول الاسلام.

او ثمّ الّذين كفروا باللّه بترك الاقرار باللّه او بوحدانيّته بربّهم الّذى هو ربّ الارباب يسوّون الاصنام.

و هذه الفقرة ردّ بحسب الظّاهر على مشركى العرب و غيرهم من عابدى الوثن و العجل و غيرهما، و بحسب التّأويل ردّ على كلّ من انحرف عن الولاية.

[هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ] باعتبار مادّتكم الاولى منع لمن ادّعى الالهيّة لنفسه او لغيره من افراد البشر [ثمّ قَضَى اَجَلاً] اى حتم اجلاً لا تخلّف عنه؛ [وَ اَجَلٌ مُسَمّىً عِنْدَهُ] لا يطلع عليه احداً من ملائكته و رسله فانّه علم استأثره لنفسه يقدّم منه ما يشاء و يؤخّر ما يشاء، و امّا العلم الّذى يطلع عليه ملائكته و رسله فانّه محتوم لا يكذب ملائكته و رسله و البداء و المحو و الاثبات فى ذلك الاجل المسمّىّ

عنده، و تحقيق مسئلة البداء و المحو و الاثبات و الحكمة المودعة من التّرغيب فى الصّلات و الدّعوات و التّضرّعات و الصّدقات و سائر العبادات، و سرّ استجابة الدّعوات مع عدم تأثّر العالى عن الدّانى مؤكول الى محلّ آخر من هذا الكتاب .

[ثمّ اَنْتُمْ تَمْتَرُونَ] فيه معنى التّعجّب و استبعاد الامتراء بالنسبة الى الخالق.

[وَ هُوَاللّٰه فِى السَّمٰوٰاتِ وَ فِى الْاَرْضِ] اعلم، انّ اللّه فيه معنى الالهة و التّصرّف بل جميع الاضافات الممكنة من الخالق بالنّسبة الى المخلوق فانّه الاسم الجامع و امام ائمّة الاسماء فاعتبر فيه معنى الوصف.

و لذلك جاز تعلّق الظّرف به، و بيان اعراب الآية انّ لفظ هو مبتدء و اللّه بدله او خبره و فى السّماوات ظرف لغو متعلّق باللّه او بيعلم او ظرف مستقرّ خبر او خبر بعد خبر او حال، و يعلم الاتى خبر او خبر بعد خبر او حال او مستأنف.

و جملة هو اللّه عطف على جملة هو الّذى خلقكم او حال و بعد ما علم معنى معيّته تعالى و قيوميّته و احاطته بالاشياء يظهر معنى كونه آلهاً فى السّماء و فى الارض، و هذا ردّ على من اشرك معه غيره كبعض الثّنويّة القائل بانّ اهرمن او الظّلمة مخلوق اللّه لكنّه شريك له فى الايجاد و الشّرور كلّها منسوبة اليه، و كجمهور الهنود القائلين بانّ الامور موكولة الى الملائكة و يسمّونهم باسماء، و كبعض الصّابئين

القائل بانّ الكواكب مخلوقة للّه لكنّها مدبّرة للعالم دون اللّه، و كبعض المشركين القائل بانّ العجل و الوثن (وغير هما) شفعاء عند اللّه و لها التّدبير و التّصرّف.

[يَعْلَمُ سِرَّكُمْ] من السّجايا و النّيّات و العقائد و جملة المكمونات الّتى لم تظهر بعد فى وجودكم و لم تشعروا بها، [وَ جَهْرَكُمْ] من الاقوال و الاحوال و الالوان و الاشكال و النّسب و الاموال.

[وَ يَعْلَمُ مٰا تَكْسِبُونَ] لا نفسكم من تبعة اعمالكم الّتى تعملونها بجوارحكم تقرير لآلهيّته و وعدو و عيد للمحسن و المسيء منهم.

[وَ مٰا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيٰاتِ رَبِّهِمْ] عطف على يعلم سرّكم على ان يكون مستأنفاً او حالاً او هو حال ابتداء كأنّه قيل: ما حاله مع الخلق؟ - و ما حال الخلق معه؟ او عطف على انتم تمترون و على ايّ تقدير ففيه التفات من الخطاب الى الغيبة.

و اعظم الآيات امير المؤمنين (عليه السلام) و المقصود من الآيات ههنا اعمّ من الآيات التّكوينيّة و التّدوينيّة و آلافاقيّة و الانفسيّة.

[إِلاّٰ كٰانُوا عَنْهٰا مُعْرِضِينَ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ] الّذى هو اعظم آياته و هو الولاية كما سبق و تكذيبهم للحقّ لتمرّنهم على تكذيب مطلق الآيات.

[لَمّٰا جٰاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبٰاءُ مٰا كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ] من الولاية.

[اَلَمْ يَرَوْا كَمْ اَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ] فاتّكلوا على حياتهم الدّاثرة الفانيّة و استبدّوا بآرائهم الكاسدة و أعرضوا عن آياتنا.

و القرن برهة كثيرة من الزّمان او هو مدّة عشرة او عشرين او ثلاثين او اربعين او خمسين او ستّين او سبعين او ثمانين سنة، أو مائة او مائة و عشرين سنة، او اهل زمان واحدٍ او امّة بعد امّة، او كلّ امّة هلكت فلم يبق منهم احد.

[مَكَّنّا هُمْ فِي الْاَرْضِ] بالصّحّة و القوّة فى الاجسام و السّعة فى الاموال و الاولاد.

[ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَ اَرْسَلْنَا السَّماءَ] اى المطر و السّحاب [عَلَيْهِم مِدرٰاراً وَ جَعَلْنَا الْاَنهٰارَ تَجْري مِنْ تَحْتِهِمْ] يعنى هيّئنا لهم اسباب التّرفّه و السّعة و التّنزّه علاوةً على تمكينهم فى الارض. [فَاَهْلَكْنا هُمْ بِذُنُوبِهِمْ] يعنى ما صار تمكنّهم حافظاً لهم عن بأسنا و لا امداد نالهم و استدراجنا ايّاهم.

[وَ اَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِ هِمْ قَرْناً اٰخَرينَ] تهديد بليغ لهم.

[وَ لَوَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً في قِرطٰاسٍ فَلَمَسُوهُ بِاَيْديهِمْ] مكتفين بالرّؤية لئلّا يقولوا سكّرت ابصارنا.

[لَقٰالَ الَّذينَ كَفَرُوا] باللّه اوبك [اِنْ هٰذا اِلّا سِحْرٌ مُبينٌ] لنهاية عتوّهم و تمرّنهم على الجحود [وَ قٰالُوا] عناداً و لجاجاً.

[لَوْلا اُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَك] ان كان رسولاً.

[وَ لَوَ اَنْزَلْنا مَلَكاً لَقُضِيَ الْاَمْرُ] امر حيوتهم اوالامر بقبض ارواحهم يعنى انّهم ضعفاء الابصار ليس لهم قوّة الجمع بين الطّرفين، و الملك لا يدركه الاّ بصيرة باطنة اخرويّة لا البصر الظّاهر الدّنيوىّ فلو انزلنا ملكاً حتّى يروه لا نسلخوا منظواهرهم البشريّة و لا نقلب الدّ نياآخرةوالحيوة مماةفلقصورهمو ضعفهملم ننزّل ملكاً بحيث يرونه. ولاينا فى هذا نزول الملك على الرّسل (عليهم السلام) لجمعهم بين الدّنيا و الاخرة كما مضى تحقيقه و كيفيّة مشاهدة الملك فى المنام و اليقظة للرّسل و سماع قوله للانبياء و المحدّثين عند قوله واثمهما اكبر من نفعهما من سورة البقرة.

[ثمّ لا يُنْظَرُونَ وَ لَوَ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلاً] جوابٌ ثانٍ او جواب لاقتراح ثان فانّهم تارة قالوا: لولا انزل عليه ملك، و تارة قالوا: لواراد اللّه ان يبعث الينا رسولاً لانزل ملكاً.

[وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِم ما يَلْبِسُونَ] يعنى لو انزلنا ملكاً امّا جعلناه بصورة ملك و لم يقووا على ادراكه، او جعلناه بصورة رجلٍ و لو جعلناه بصورة رجلٍ لاوقعنا عليهم الالتباس و الامتراء حتّى يقولوا فيه ما قالوا فى الرّسول البشرىّ، فالآية اشارة الى قياس استثنائيٍّ منفصل التّالى مرفوعة بكلا شقيّه ان كانت جواباً بكلا شقيّه لسؤال واحد، او اشارة الى قياسين استثنائيّين ان كانت جوابين لسؤالين منهم [وَ لَقَدْ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ] تسلية له (صلّى الله عليه وآله).

[فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ] يعنى

احاط بهم العذاب الّذى كانوا به يستهزؤن، اووبال القوى الّـذى كـانوا بسببه يستهزؤن.

[قُلْ سِيرُوا فِى الْاَرْضِ] اى سيروا فـى الارض الظّـاهرة باقدامكم و فى ارض القرآن و تواريخ الامم الماضية بابصاركم، و فـى الارض العالم الصّغير ببصائر كم.

[ثمّ انْظُرُوا] اى تفكّروا، و تخليل ثمّ لانّ التّـفكّر هـو تـرتيب المقدّمات و الانتقال منها الى النتائج و بالسّير يحصل المقدّمات و بعد حصول المقدّمات يمكن التّفكّر.

[كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ] بالرّسل (عليهم السلام) فى شأن أنفسهم او فى شأن اوصيائهم او عاقبة المكذّبين بأوصيائهم [قُلْ] للـمكذّبين و المقترحين.

[لِمَنْ مٰا فِى السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضِ] الزاماً لهم على الاقرار حتّى يتنبّهوا ان ليس لهم الاقتراح على المالك و انّه يفعل ما يشاء و يرسل من يشاء [قُلْ] انت من قبلهم و لا تنتظر جوابهم فانّه لا جواب لهم سواه.

[لِلّٰهِ كَتَبَ عَلىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ] فبرحمته لا يـهلكم و يـرسل اليكم الرّسل و يرغّبكم فى طاعته و يحذّركم من مخالفته و يمهلكم فى معصيته.

[لَيَجْمَعَنَّكُمْ] قرناً بعد قرنٍ الجملة الاولى و هذه امّا جزء مقول القول او استيناف من اللّه، و يحتمل ان يكون هذه مستأنفة و الاولى مقولة القول، و يحتمل ان يكون هذه بدلاً من الرّحمة لجواز تعلّق الكتب بالجملة.

[اِلىٰ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ لا رَيْبَ فيهِ] قد مضى نظيره.

[اَلَّذينَ خَسِرُوا اَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ] مستأنف لاستدراك ما يتوهّم من انّه لا ينبغى لاحد ان يبقى على الكفر بعد وضوح الامر كانّه قال لكنّ الّذين خسروا انفسهم لا يؤمنون، و دخول الفاء فى الخبر و تخلّل الضّمير للدّلالة على السّببيّة و الحصر و التّاكيد، و قيل موضع الّذين نصب على الذّمّ او رفع على الخبريّة اى انتم الّذين خسروا انفسهم.

[وَ لَهُ ما سَكَنَ فِى اللَّيْلِ وَ النَّهارِ] هذا ايضاً يحتمل كونه مقولاً للقول و مستأنفاً يعنى قل لهم بعد ما قلت انّ له ما سكن فى الامكنة له ما سكن فى الازمنة، و سكن من السّكنى او السّكون.

و لمّا كان التّجدّد و الانطباق على الزّمان من خواصّ الطّبيعيّات الّتى هى المتحيّزات كان ما سكن فى اللّيل و النّهار يعنى ما دخل تحت الزّمان بعينه هو ما سكن فى السّماوات و الارض اى ما انطبق على المكان و ان عمّم السّماوات و الارض بين مطلق الارواح و الاشباح فاللّيل و النّهار يعمّان ،و لمّا كان مملوكيّة الاشياء له مهتمّاً بها اكّد الاوّل بالثّانى بتغيير العبارة ليتمكّن فى نفوسهم.

[وَ هُوَ السَّميعُ الْعَليمُ] لا سمع الّا بسمعه و لا علم الّا بعلمه [قُلْ اَغَيْرَ اللّٰهِ اَتَّخِذُ وَلِيّاً] بعد انّه مالك الكلّ.

[فاطِرِ السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضِ] التّوصيف به للاشعار بالعلّة [وَ هُوَ يُطْعِمُ وَ لا يُطْعَمُ] علّة اخرى للحكم.

[قُلْ اِنّي اُمِرْتُ اَنْ اَكُونَ اَوَّلَ مَنْ اَسْلَمَ] لا يسبقنى احد فى

ظاهر الاسلام و لا فى باطنه لانّى امرت تكويناً و تكليفاً ان اكون خاتم الرّسل و سابق الكلّ [وَ] قيل لى :[لَا تَكوُنَنَّ مِنْ الْمُشْرِكِينَ] او هـو عطف على قل.

[قُلْ اِنّي اَخافُ اِنْ عَصيتُ رَبّي عَذابَ يَوْمٍ عَظيمٍ] تعريض بهم فانّه ابلغ فى الانصاف و المقصود قطع اطماعهم عن اضـلاله، عـن الصّادق (عليه السلام) ما ترك رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) انّى اخاف ان عصيت ربّى عذاب يوم عظيم، حتّى نزلت سورة الفتح فلم يعد الى ذلك الكلام.

[مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ] عن النّبىّ (صلى الله عليه وآله) و الّذى نفسى بيده ما من النّاس احد يدخل الجنّة بعلمه، قالوا و لا انت يا رسول اللّه؟

قال (صلى الله عليه وآله): و لا انا الّا ان تغمدّنى اللّه برحمةٍ منه و فضل.

[وَ ذٰلكَ الْفَوْزُ الْمُبينُ] مقول القول او مستأنف من اللّه

[وَ اِنْ يَمْسَسْكَ اللّهِ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ اِلّا هُوَ] عـطف عـلى قوله من يصرف (الى آخره) كانّه قال ان يصرف اللّه العذاب عنك يؤمئذ فقد رحمك.

[وَ اِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ] مـن اقـامة السّبب مقام الجزاء يعنى فلا مانع له.

[وَ هُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ] كيفيّة قهره للعباد بفناء الكلّ تحت سطوته يستفاد ممّا مضى.

[وَ هُوَ الْحَكِيمُ] فى فعاله لا يفعل ما يفعل الّا بحكمة.

[الْخَبِيرُ] بما يقتضى اختلاف التّدبير و انواع التّصرّف فيهم.

[قُلْ اَىُّ شَىْءٍ اَكْبَرُ شَهٰادَةً] توطئة لاشهاد اللّه يعنى انّهم يقرّون بأنّ اللّه اعظم و اصدق من كلّ شهيدٍ فنبّههم على ذلك.

ثمّ قال: [قُلِ اللّٰه شَهِيدٌ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ] و يحتمل ان يكون اللّه مبتدءً محذوف الخبر جواباً من قبلهم و شهيداً خبراً محذوف المبتدأ مستأنفاً لبيان المقصود.

[وَ اُوحِىَ اِلَيَّ هٰذَا الْقُرْآنُ لِاُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ] فى اىّ مكانٍ كان و فى اىّ زمانٍ الى يوم القيامة يعنى لانذركم و انذر من بلغه القرآن او من صار بالغاً مبلغ الرّجال و روى انّ من بلغ معطوف على المستتر فى انذركم و ترك التاكيد بالضّمير المنفصل للفصل و المعنى لانذركم انا و من بلغ من آل محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يكون اماماً كقوله تعالى، و قل هذه سبيلى ادعوا الى اللّه على بصيرةٍ انا و من اتّبعنى.

[اَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ اَنَّ مَعَ اللّٰهِ آلِهَةً اُخْرىٰ قُلْ لٰا اَشْهَدُ قُلْ] بعد ما وبّخهم على شهادتهم انّ مع اللّه آلهة اخرى.

[اِنَّمٰا هُوَ اِلٰهٌ وٰاحِدٌ وَ اِنَّنِي بَرِيءٌ مِمّٰا تُشْرِكُونَ الَّذِينَ آتَيْنٰاهُمُ الْكِتٰابَ] من اليهود و النّصارى.

[يَعْرِفُونَهُ] اى رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) بما ذكر لهم فى كتبهم من اوصافه او الّذين آتيناهم الكتاب من امّة محمّد(صلى الله عليه وآله) يعرفون محمّداً(صلى الله عليه وآله) بالصّدق فى امر الولاية او يعرفون عليّاً(عليه السلام) بما شاهدوا منه

من فضله و علمه و صدقه و امانته.

[كَمٰا يَعْرِفوُنَ اَبْنٰاءَهُمْ] مبالغة فى اثبات معرفتهم.

[اَلَّذِينَ خَسِرُوا اَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لٰا يُؤْمِنُونَ] استيناف جواب لسؤال مقدّر او استدراك توّهم متصوّر.

كأنّه قيل افامنوا به او توهّم انّه ما بقى كافر و تكرار الموصول لانّ كلّا جوابٌ او استدراك لما نشأ من امر غير منشأ الآخر، و يحتمل كون الثّانى بدلاً او مفعولاً لمحذوف او خبراً لمبتدءٍ.

[وَ مَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِباً] بادّعاء خلافة اللّه لنفسه او بنسبة ماقاسه برأيه الى اللّه ؛او بتوهّم انّ الرّسوم و العادات من اللّه، او بادّعاء النّيابة من الامام من غير اذنٍ و اجازةٍ غفلة عن انّ النّيابة من الامام شفاعة عند اللّه للخلق و لا تكون الّا باذن اللّه، او بكتابة كتاب النّبوّة بايديهم و نسبته الى اللّه، او بكتب صورة القرآن بأيديهم و نسبته الى اللّه.

[اَوْ كَذَّبَ بِاٰيٰاتِهِ] التّدوينيّة و التّكوينيّة الآفاقيّة و الانفسيّة و اعظم الكلّ بل اصل الكلّ وحقيقته الانسان الكامل و الاصل فيه علىّ(عليه السلام) امير المؤمنين، و لفظ اوههنا لمنع الخلوّ فانّ اكثرهم جامعون بين الوصفين مع انّه لو لم يكن لهم الّا واحد منهما كفى.

[اِنَّهُ لٰا يُفْلِحُ الظّٰالِمُونَ] كانّه قيل: فما حال الظّالم حتّى يكون من هو اظلم اشدّ فيها؟

فقال جواباً: انّه لا يفلح الظّالمون و لذا اكدّه استحساناً:

[وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَميعاً] و اذكر او ذكّرهم [ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذينَ اَشْرَكُوا] باللّه فى الآلهة او اشركوا بولاية علىّ (عليه السلام) و ولاية غيره كذا ورد عنهم (عليهم السلام) ههنا و فى اكثر موارد ذكر الشّرك و الكفر، و السّرّ فى ذلك كما سبق مراراً انّ معرفة اللّه و صفاته و الايمان به لمّا كان موقوفاً على فتح باب القلب و فتحه يتوقّف على الولاية و البيعة الولويّة الّتى هى الايمان و بها يدخل الايمان فى القلب و ينفتح بابه.

و لذا ورد: بنا عرف اللّه، و معرفة اللّه ان تعرف امام زمانك و غير ذلك بطريق الحصر كان الكفر و الشّرك هو عدم فتح باب القلب او عدم معرفة الامام و الكفر و الاشراك بالامام و الكفر بالرّسالة يكون كفراً على كفرٍ.

[اَيْنَ شُرَكاؤُكُمْ] من اصنامكم و غيرها الّتى جعلتموها بالمواضعة شركاء للّه و يقال هذا تهكّماً بهم ،[الَّذينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ] انّهم شركاء للّه او شركاء لعلىّ (عليه السلام)،[ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ] اى عذرهم للخلاص كما فى الخبر من: فتنت الذّهب اذا اخلصته.

[اِلّا اَنْ قالُوا وَ اللّهِ رَبِّنا ما كُنّا مُشْرِكينَ] يحلفون على كذبهم للّه كما كانوا يحلفون فى الدّنيا للنّاس.

[اُنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلىٰ اَنْفُسِهِمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ] من آلهتهم او من شركائهم فى الولاية، مضىّ الفعلين لتحقّق و قوعهما كأنّهما وقعاً سواء كان الخطاب عامّاً او خاصّاً او بالنّظر الى المخاطب المخصوص اعنى محمّداً (صلى الله عليه وآله) فانّه ينظر و يرى ما لم يجيء

فى سلسلة الزّمان [وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ اِلَيْكَ] حين تتلو عليهم آيات الكتاب او مناقب وصيّك.

[وَ جَعَلْنا عَلىٰ قُلُوبِهِمْ اَكِنَّةً] جمع الكنان و هو ما يستر الشّيء كراهة [اَنْ يَفْقَهُوهُ] او لئلّا يفقهوه [وَ فِي آذانِهِمْ] اى اذان قلوبهم [وَقْراً] كراهة ان يسمعوه فان تتل عليهم كلّ آية فى رسالتك او خلافة وصيّك لا يسمعوا.

[وَ اِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ] من آياتنا العظمى و معجزاتك.

[لا يُؤْمِنُوا بِها] بسبب ازدياد قسوتهم و عنادهم فكيف يؤمنون بك او بوصيّك و ازدادت قسوتهم.

[حَتّىٰ اِذا جاؤُك يُجادِلُونَكَ] فى نبوّتك او خلافة وصيّك [يَقُولُ الَّذينَ كَفَرُوا] بك او بوصيّك [اِنْ هٰذا] القولَ الّذى تسميّه قول اللّه او ان هذا الّذى تقوله فى ابن عمّك.

[اِلّا اَساطِيرُ الْاَوَّلِينَ] جمع اسطار جمع سطر او جمع اسطورة كناية عن اسمارهم و خرافاتهم ،[وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ] عن هذا او عنك بطريق الالتفات او عن علىّ (عليه السلام) بطريق التّورية .

[وَ يَنْأَوْنَ عَنْهُ] يعنى يمنعون النّاس عنه و يتباعدون عنه [وَ اِنْ يُهْلِكُونَ اِلّا اَنْفُسَهُمْ] بالتّباعد عنه [وَ ما يَشْعُرُونَ وَ لَوْ تَرىٰ اِذْ وُقِفُوا عَلَى النّارِ] قرىء ببناء المفعول و الفاعل من وقف اذا قام او اقام او اطّلع يعنى لوترى اذا اقيموا او اطّلعوا على النّار لرأيت عجيباً فظيعاً بحذف الجواب.

[فَقالُوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَ لا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا] لمارأو امن

مقامك او مقام اوصيائك.

[وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] بمحمّد (صلى الله عليه و آله) او بامير المؤمنين(عليه السلام) و هذا الكلام والّتمنّى منهم يكون لدهشة الخوف لالقائد الشّوق و الّا لخلصوا و ما اجيبوا بكلّا و انّها كلمة هو قائلها و امثال ذلك كما فى قوله تعالى كلّما ارادوا ان يخرجوا منها من غمٍّ اعيدوا فيها يعنى ان كانوا يريدون الخروج منها من شوق لم يعيدوا فيها.

و قوله تعالى :[بَلْ بَدٰالَهُمْ مٰاكٰانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ] دليل عليه فانّ المعنى ما حصل لهم حبّ و شوق الى علىّ (عليه السلام) لانّ فطرتهم فطرة البغض له بل بدالهم و بال نفاقهم فخافوا غاية الخوف فتمنّوا الخلاص من الخوف لا الوصال من الشّوق.

[وَ لَوْ رُدُّوا لَعٰادُوا لِمٰا نُهُوا عَنْهُ] لانّه ذاتىّ و الذّاتىّ لا يتخلّف بل قد يختفى بعارض فاذا زال العارض ظهر ،[وَ اِنَّهُمْ لَكٰاذِبُونَ] فى ما يقولون من انّهم ان ردّوا لا يكذبوا و يؤمنوا لما عرفت انّه ليس هذا الّتمنّى من شوق ذاتىّ بل من امر عرضىّ يزول بزواله.

[وَ قٰالُوا] عطف على عادوا او عطف على يقول الّذين كفروا و الاختلاف بالمضىّ للاشارة الى انّ ذلك قولهم قديماً و جديداً، او استيناف لذمٍّ اخرو بيان عقوبة اخرى و هو انسب بما بعده من قوله و لوترى اذ وقفوا على ربّهم يعنى تكذيبهم بالبعث يقتضى احضارهم عنداللّه بأفضح حال و تكذيبهم بالايات يقتضى دخولهم فى النّار بأشدّ عذاب.

[اِنْ هِيَ اِلَّا حَيٰاتُنَا الدُّنْيا وَ مٰا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ وَ لَوْ تَرىٰ اِذْ وُقِفُوا عَلٰى رَبِّهِمْ] كما يوقف العبد الجانى على مولاه للمؤاخذة و الرّبّ المضاف هو ربّهم فى الولاية و هو امير المؤمنين (عليه السلام) و قد قال فى بعض كلامه (عليه السلام): و اياب الخلق الىّ و حسابهم علىّ، و قد مضى فى مطاوى ما سبق بيان عدم تجاوز الخلق عن المشيّة الّتى هى الولاية و انّها مبدء الكلّ و منتهاه.

[قٰالَ اَلَيْسَ هٰذٰا بِالْحَقِّ] تعييراً لهم على تكذيب البعث [قٰالُوا بَلٰى وَ رَبِّنٰا] لظهوره و لذا اكّدوا الجواب بالقسم تأكيداً للازم الحكم الّذى هو علمهم بالحكم ،[قٰالَ فَذُوقُوا الْعَذٰابَ بِمٰا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ] بربّكم الّذى هو علىّ (عليه السلام).

[قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقٰاءِ اللّٰهِ] فى مظاهره الولويّة فانّ لقاءه تعالى اضافة بينه و بين عبده و حقيقة اضافاته تعالى هى اضافته الاشراقية الّتى هى الولاية المطلقة و هى علىّ (عليه السلام) بعلويّته.

[حَتّٰى اِذٰا جٰاءَتْهُمُ السّٰاعَةُ] ساعة الموت او ساعة القيامة او ظهور القائم (عجّل الله فرجه) يعنى ظهور الامام عند حضور السّاعة و قد فسّرت فى الاخبار بكلّ و الكلّ راجع الى معنى واحد و التّفاوت اعتبارىّ [بَغْتَةً] و لقوا اللّه بظهور علىّ (عليه السلام) او ظهور القائم (عجّل الله فرجه).

[قٰالُوا يٰا حَسْرَتَنٰا] جيئي فهذا او ان حضورك [عَلٰى مٰا فَرَّطْنٰا] و قصّرنا [فِيهٰا] فى السّاعة و لقاء الرّبّ عندها [وَ هُمْ] حينئذٍ [يَحْمِلُونَ اَوْزٰارَهُمْ] اثقالهم الّتى كسبوها فى الدّنيا [عَلٰى ظُهُورِهِمْ] لانّه لا

يزر اليوم و ازرٌ و زر آخر.

[اَلاٰ سٰاءَ مٰا يَزِرُونَ وَ مَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيا اِلّٰا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ] لا يليق بالحكيم ان يجعل مثلها غايةً لفعله، و اللّعب ما كان له غاية خياليّة، و اللّهو ما لم يكن له غاية، و هو عطف على قالوا ان هى الّا حيوتنا الدّنيا، او على اليس هذا بالحقّ، او على بلى و ربّنا، او على فذوقوا العذاب، او على قد خسر الّذين كذّبوا، او على يا حسرتنا، او على هم يحملون اوزارهم، او حال متعلّق بواحدة من الجمل السّابقة.

[وَ لَلدّٰارُ الْاٰخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذينَ يَتَّقُونَ] و امّا الّذين لا يتّقون فهى اشدّ دارلهم عذاباً، [اَفَلٰا تَعْقِلُونَ] انّه لا يليق بالحكيم جعل الاولى غاية و يليق به جعل الثّانية غاية فاطلبوها.

[قَدْ نَعْلَمُ اِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذي يَقُولُونَ] فى حقّك بانّه ساحر او مجنون او غير ذلك او فى حقّ خليفتك بان لا يردّوا هذا الامر اليه و هو استيناف و تسلية للرّسول (صلّى الله عليه و آله) و لا ينبغى لك ان تتحزّن.

[فَاِنَّهُمْ لٰا يُكَذِّبُونَكَ] من حيث انّك بشر مثلهم فقد لبثت فيهم و ما قالوا فيك الّا خيراً و كنت معروفاً فيهم بالصّدق و الامانة حتّى لُقّبتَ بمحمّد الامين.

[وَ لٰكِنَّ الظّٰالِمينَ] لانفسهم بتكذيب الآخرة و لقاء ربّهم، [بِاٰيٰاتِ اللّٰهِ يَجْحَدُونَ] يعنى انّك بعد ما صرت رسولاً و آيةً لنا كذّبوك من هذه الحيثيّة و يرجع التّكذيب من هذه الحيثيّة الى اللّه لا اِلَيْكَ.

او انّهم لا یکذّبونك من حیث انت رسول من اللّه و لکنّهم یکذّبون علیّاً (علیه السلام) و تکذیبك فیما قلت فی حقّه راجع الی تکذیب علیّ (علیه السلام)، و قرئ لا یکذبونك من: اکذبه اذوجده کاذباً، او نسبه الی الکذب او صیّره کاذباً؛ ای لا یجدونك کاذباً او لا یأتون بامر یجعل صدقك کذباً، هکذا روی عنهم.

[وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلٰى مٰا كُذِّبُوا وَ اُوذُوا حَتّٰى اَتٰيهُمْ نَصْرُنٰا] فتأسّ بهم و اصبرو لا تحزن.

[وَ لٰا مُبَدِّلَ لِكَلِمٰاتِ اللّٰهِ] عطف باعتبار المعنی او جملة حالیّة کأنّه قال: لا مانع من نصر اللّه و لا مبدّل لکلمات اللّه ای مواعیده و آیاته العظمی من الرّسل و اوصیائهم (علیهم السلام)، او آیاته القهریّة من مظاهر الشّرور فانّه لا یقدر احد علی تبدیلهم عمّاهم علیه.

[وَ لَقَدْ جٰاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ] و اقوامهم و انّ الغلبة بالاخرة لهم علی اقوامهم لا لاقوامهم علیهم.

[وَ اِنْ كٰانَ كَبُرَ عَلَيْكَ اِعْرٰاضُهُمْ] عنك او عن علیّ (علیه السلام).

[فَاِنِ اسْتَطَعْتَ اَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً] جحراً او منفذاً [فِي الْاَرْضِ اَوْ سُلَّماً فِي السَّمٰاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِاٰيَةٍ] من تحت الارض او من السّماء و جوابه محذوف ای فافعل و المقصود التّعریض بمنافقی امّته و العتاب لهم و اظهار انّه (صلی الله علیه و آله) محزون علی تولّی القوم عنه و عن علیّ (علیه السلام)؛او المقصود التّعریض بمن هو حریص علی اتیان الآیة للمقترحین من موافقی امّته.

[وَ لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدىٰ] يعنى انّ هداهم و ضلالهم بمشيّة اللّه و ما كان بمشيّة اللّه فالرّضا به اولى من الحزن عليه.

[فَلاٰ تَكُونَنَّ مِنَ الْجٰاهِلِينَ] انّ الكلّ بمشيّة اللّه و لمّا توهّم من هذا انّهم مجبورون فى افعالهم و لا دخل لهم فى ضلالهم و هديهم رفع ذلك بانّ استعدادهم و استحقاقهم يقتضى تلك المشيّة.

فقال تعالى: [إِنَّمٰا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ] يعنى الّذين يستعدّون للقبول فبقدر سببيّة القابل فى الفعل لهم سببيّة فى ضلالهم و هديهم و لمّا توهّم من انّ المستعدّ يجيب و غير المستعدّ لا يجيب ؛انّه لا ينبغى لغير المستعدّ دعوة و لا امر و لانهى و لا يلزم عليه ذمّ و لوم فأجاب عنه و قال [وَ الْمَوْتىٰ] الّذين لااستعداد لهم و المتوقّفون فى مراقد طبعهم اذا جاهدوا.

[يَبْعَثُهُمُ اللّٰهُ] من مراقد طبعهم [ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ] فيسمعون بعد التّوجّه اليه و يجيبون بعد السّماع ليس الموت للموتى حتماً و لا الحيوة للاحياء حتماً.

[وَ قٰالُوا لَوْ لاٰ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّٰهَ قٰادِرٌ عَلىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ] و لا يشعرون قدرة اللّه على ذلك و لا يشعرون الآيات و انّ اللّه اجلّ من ان يقترح عليه شيءٌ و عدم علمهم لكونهم موتى.

[وَ مٰا مِنْ دٰابَّةٍ فِي الْأَرْضِ] توصيفه بوصف الجنس و كذا ما بعده للاشارة الى ارادة الجنس ،[وَ لاٰ طٰائِرٍ يَطِيرُ بِجَنٰاحَيْهِ إِلاّٰ أُمَمٌ

اَمْثالُكُمْ] مخلوق مرزوق مدبّر و التّناسخيّه يتوسّلون بامثال هذا فى رواج مذهبهم و المقصود ذمّهم على عدم العلم و انّ الحيوانات العُجم مثلكم فى كلّ جهة و تميزكم عنها بالعلم و الاشتداد فيه فاذا لم تكونوا تعلمون فلا تميز بينكم.

[مٰا فَرَّطْنٰا فِى الْكِتٰابِ مِنْ شَىْءٍ] اى فى اللّوح المحفوظ الّذى هذا القرآن صورته التّامّة فما فرّط فيه ايضاً من شيءٍ و سائر الكتب صورته النّاقصة.

و لذا كان مهيمناً على الكلّ ناسخاً له، و هو من فرّط الشّيء بمعنى ضيّعه و اهمله لا من فرّط فى الشّيء بمعناه حتّى يكون فى الكتاب مفعوله و من شيءٍ مفعولاً مطلقاً بل فى الكتاب ظرف و من شيءٍ مفعول به، لانّ المقصود عدم اهمال شيءٍ فى الكتاب بترك ثبته فيه و هو يستفاد صريحاً اذا جعل من شيء مفعولاً به، و امّا اذا جعل مفعولاً مطلقاً فلا يستفاد الّا التزاماً و المقصود انّا كما احصيناكم فى الكتاب و احصينا ارزاقكم و آجالكم كذلك احصيناهم لا فرق بينكم الّا بالعلم و عدمه،[ثُمَّ اِلىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ] كما تحشرون.

[وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيٰاتِنٰا] عطف على محذوف اى فالّذين آمنوا بآياتنا و صدّقوها خارجون من صمم الحيوانات و بكمها و ظلماتها بامتيازهم بالعلم عنها، و الّذين كذّبوا بآياتنا التّدوينيّة و التّكوينيّة الآفاقيّة و علىّ (عليه السلام) اعظمها و الانفسيّة و العقل اعظمها و هو مظهر علىّ (عليه السلام).

[صُمٌّ وَ بُكْمٌ] مثل سائر الدّوابّ و ليس الفرق بينهم الّا بالايمان و العلم، [فِي الظُّلُمٰاتِ] زائداً على سائر الدّوابّ فانّها غير خارجة من انوار نفوسها الضّعيفة بخلاف الكافر بالولاية فانّه يخرج من نوره القويّ الّذي هو نور النّفس الانسانيّة و هوجهة العلم و الايمان الى ظلمات الجهل السّاذج ثمّ ظلمات الجهل المركّب ثمّ ظلمات الاهوية الفاسدة ثمّ ظلمات الطّبع ثمّ استدرك توهّم انّ في ملكه، ما ليس بمشيّتة بقوله تعالى [مَنْ يَشَاءِاللّٰهُ يُضْلِلْهُ] و يجعله اصمّ و ابكم و في الظّلمات.

[وَ مَنْ يَشَاءْ يَجْعَلْهُ عَلٰى صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ] الصّراط المستقيم كما سبق هو طريق الولاية و طريق القلب الى اللّه و هو الولاية التّكوينيّة و صاحب الولاية طريق ايضاً بمراتبه المنتهية الى اللّه و الاصل في صاحبي الولاية عليّ (عليه السلام) و طريق القلب و طريق الولاية و صاحب الولاية متّحدة و التغائر اعتباريّ فصحّ تفسير الطّريق المستقيم بالولاية و بعليّ (عليه السلام) كلّما وقع كما فسّروه لنا.

فالمعنى من يشأ اللّه يضلله عن الولاية و من يشأ يجعله على ولاية عليّ (عليه السلام).

[قُلْ اَرَاَيْتَكُمْ] هذه اللّفظة لكثرة استعمالها صارت كالمثل فلا يتغيّر الضّمير المرفوع بحسب حال المخاطب و قد يلحق صورة الضّمير المنصوب بها و قد لا تلحق و اذا لحقت يلحظ فيها كثيراً حال المخاطب و هي حرف خطابٍ او ضمير نصب تأكيد للضّمير المرفوع او مفعول اوّل لرأيت و اذا كانت حرفاً للخطاب او تأكيداً للضّمير المرفوع فمفعولا رأيت

كانا محذوفين، او جملة الشّرط و الجزاء قائمة مقامها معلّقاً عنها رأيت.

او جملة غير اللّه تدعون معلّقاً عنها و اذا كانت مفعولاً اوّلاً فالمفعول الثّانى محذوف او هو جملة الشّرط و الجزاء او جملة غير اللّه تدعون معلّقاً عنها العامل و لمّا كان الاستفهام استخباراً و كانت هذه الكلمة غير باقية على صورتها و معناها الاصيلين صار المقصود الاستخبار من مضمون ما بعدها من غير نظرٍ الى مضمون نفسها فكأنّه قال اخبرونى.

[اِنْ اَتيٰكُمْ عَذٰابُ اللّٰهِ] فى الدّنيا او الآخرة او المنظور منه عذاب الدّنيا فقط لاشعار السّاعة بعذاب الآخرة.

[اَوْ اَتَتْكُمُ السّٰاعَةُ] فسّرت السّاعة بساعة الموت و ساعة ظهور القائم عجّل اللّه فرجه و بساعة القيامة و الكلّ صحيح اذالمقصود اتيان حالة لا يثبت فيه الخيال و يفرّ الهوى و الآمال و هذه الحالة تكون فى كلّ من هذه.

[اَغَيْرَ اللّٰهِ تَدْعُونَ] يعنى لا تدعون فى هذه الحال الّا اللّه المتعال لانّ كلّ ما سواه ممّا هو متشبّث الخيال و معتمد الهوى و الآمال ينسى و لا يبقى فى تلك الحالة الّا الفطرة الانسانيّة المفطورة على دعاء اللّه و جواب الشّرط محذوف او هو جملة اغير اللّه بحذف الفاء.

[اِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ] فى اشراك الاصنام او الكواكب فى الآلهة و الجملة معترضة و جواب الشّرط محذوف و التّقدير ان كنتم صادقين فادعوا غير اللّه فى تلك الحال.

[بَلْ اِيّاٰهُ تَدْعُونَ] تصريح بمفهوم مخالفه قوله اغير اللّه تدعون.

[فَيَكْشِفُ مٰا تَدْعُونَ اِلَيْهِ اِنْ شٰاءَ] يعنى ليس اجابتكم حتماً.

[وَ تَنْسَوْنَ مٰا تُشْرِكُونَ] يظنّ انّه كان المناسب ان يقدّم النّسيان لكنّه اخّر النّسيان و حذف مفعول تدعون للاشعاربانّ نسيان الشّركاء كان بمرتبة كأنّه نسى نسيانهم ايضاً و لم يكن نسيانهم فى ذكر المتكلّم و كان اهتمامهم بكشف الضرّ بحيث لم يبق فى نظر هم اللّه الّذى يدعونه اليه.

[وَ لَقَدْ اَرْسَلْنٰا اِلىٰ اُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ] تسلية للرّسول(ﷺ) و تهديد للامّة.

[فَاَخَذْنٰا هُمْ بِالْبَأْسٰاءِ] البأساء الدّاهية سواء كانت فى الحرب او فى غيرها،[وَ الضَّرّٰاءِ] النّقص فى الانفس و الاموال، يعنى فى بدوا رسالهم ليتكسّر سورة خيالهم و قوّة اهويتهم حتّى يقبلوهم بسهولة او بعد تكذيبهم و شدّة تعاندهم حتّى يرجعوا و يتوبوا.

[لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ] و يلتجئون الى رسلهم، اعلم، انّ الانسان وقت الا من و الصّحّة وسعة العيش خصوصاً حين تشبّب القوى الحيوانيّة يعدّ نفسه من اعزّ الخلق و لا يعدّ غيره فى شيءٍ، و يظنّ انّه احسن الخلق رأياً و يفرّق نفسه على الاهوية و الآمال.

فاذا ابتلى ببلاءٍ فى نفسه او اهله او ماله انكسر سورة انانيّته و تضرّع الى ربّه و التجأ الى من يظنّ انّه من قبل ربّه، و لذلك كان تعالى اذا ارسل رسولاً الى قوم ابتلاهم ببليّةٍ ليلتجؤا الى الرّسل و يقبلوا منهم.

[فَلَوْلا اِذْجاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا] اى فلولا تضرّعوا اذجاءهم بأسنا.

[وَ لٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ ما كانُوا يَعْمَلُونَ] استدراك باعتبار المعنى يعنى لا عذرلهم حينئذٍ فى ترك التّضرّع و لكن قست قلوبهم.

[فَلَمّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ] من البأساء والضّرّاء بترك الاتّعاظ بها.

[فَتَحْنا عَلَيْهِمْ اَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ] من المأمولات و المهويّات استدراجاً لهم و امهالاً.

[حَتّى اِذا فَرِحُوا بِما اُوتُوا] ممّا يرونهم نعمة [اَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَاِذا هُمْ مُبْلِسُونَ] الابلاس اليأس و التّحيّر و قيل منه ابليس و قيل انّه اعجميّ.

[فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذينَ ظَلَمُوا] وضع المظهر موضع المضمر للاشعار بالعلّة.

[وَ الْحَمْدُلِلّٰهِ] جملة لانشاء الحمد و الشّكر، او عطف على دابر القوم، او على قطع بمعنى بقى الحمدللّه [رَبِّ الْعالَمينَ] و فسّرت الآية فى الخبر هكذا فلمّا نسوا ماذكّروا به من ولاية امير المؤمنين (عليه السلام) و ورد ايضاً انّه فى ولد عبّاس.

[قُلْ اَرَاَيْتُمْ اِنْ اَخَذَ اللّٰهُ سَمْعَكُمْ وَ اَبْصارَكُمْ وَ خَتَمَ عَلى قُلُوبِكُمْ] فيسلب تميزكم كالمجانين.

[مَنْ اِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ يَأْتيكُمْ بِهِ اُنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْاٰيٰاتِ] آيات قدرتنا و شواهدها.

[ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ] يعرضون و لا يتأمّلون فيها.

[قُلْ اَرَاَيْتَكُمْ اِنْ اَتيكُمْ عَذٰابُ اللّٰهِ بَغْتَةً] من غير تقدّم امارة [اَوْ جَهْرَةً] مع تقدّم امارته.

[هَلْ يُهْلَكُ اِلَّا الْقَوْمُ الظّٰالِمُونَ وَ مٰا نُرْسِلُ الْمُرْسَلينَ اِلّٰا مُبَشِّرينَ] بشأنهم الولوىّ.

[وَ مُنْذِرينَ] بشأنهم النّبوىّ [فَمَنْ اٰمَنَ] بالايمان العامّ [وَ اَصْلَحَ] بالايمان الخاصّ، او من آمن بالبيعة على يد علىّ (ع) و اصلح نفسه بالوفاء بالشّروط الّتى اخذت عليه كما عرفت انّ الاصلاح لا يمكن الّا بدخول الايمان فى القلب و هو مسبّب عن الايمان الخاصّ.

[فَلاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ] لما سبق انّ الخوف والحزن من صفات النّفس و المؤمن المصلح قد سافر من حدود النّفس و دخل حدود القلب الّذى من دخل فيه كان آمناً، و يتبدّل خوفه بالخشية و حزنه بالاشتياق الّذى يعبّرعنه بالفارسيّة «بدرد» كما قيل:

قدسيانرا عشق هست و درد نيست

درد را جز آدمى در خورد نيست

و غيّر الاسلوب لانّ الخوف منشأه امر خارج فكأنّه من طوارى النّفس و الحزن منشأه القلب فهو من صفات النّفس و لملاحظة توافق رؤس الاٰى و قد مضى تحقيق و تفصيل لهذه الآية فى اوّل البقرة .

[وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا] بلسان الحال او لسان القال [بِاٰياٰتِنٰا] و اعظمها الولاية و من تكذيبها يسرى التّكذيب الى غيرها من الآيات.

[يَمَسُّهُمُ الْعَذٰابُ بِمٰا كٰانُوا يَفْسُقُونَ] بالخروج عن حكم العقل و مظهره الّذى هو النّبىّ (ﷺ) او الوصىّ.

[قُلْ لاٰ اَقُولُ لَكُمْ عِنْدي خَزٰائِنُ اللّٰهِ] يعنى تنزّل الى مقام البشريّة و دارهم بحسب بشريّتك و أظهرما هو لازمها حتّى يروك مثلهم فلا ينفروا عنك فقل: ليس عندى خزائن اللّه فتطالبونى بمالٍ كثيرٍ [وَ لاٰ اَعْلَمُ الْغَيْبَ] فتطالبونى بالاخبار المغيبات.

[وَ لاٰ اَقُولُ لَكُمْ اِنّي مَلَكٌ] فتطالبونى بما يقدر الملك عليه من الصّعود فى السّماء و اتيان كتابٍ منه و امثال ذلك.

[اِنْ اَتَّبِعُ اِلّٰا مٰا يُوحٰى اِلَيَّ] فى كلّ بابٍ من الاحكام و الآيات الّتى يظهرها اللّه على يدى و الاخبار بالمغيبات.

[قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْاَعْمٰى] عن النّبوّات و كيفيّتها [وَ الْبَصِيرُ] بها و بانّ النّبىّ لا يجوز ان يكون غير البشر و يجرى عليه كلّ ما يجرى على سائر افراده، الّا انّه يعلم بتعليم اللّه ما لا يعلمه غيره و يوحى اليه و لا يوحى الى غيره.

[اَفَلاٰ تَتَفَكَّرُونَ] فى عدم التّسوية حتّى تخرجوا من ظلمة العمى الى نور البصر.

[وَاَنْذِرْبِهِ] اى باللّه او بالقرآن او بعلىّ عليه السلام او بمايوحى اليك، [الَّذِينَ يَخٰافُونَ اَنْ يُحْشَرُوا اِلٰى رَبِّهِمْ] المضاف الّذى هو ربّهم

فى الولاية.

[لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دوُنِهِ وَلِيٌّ وَ لا شَفيعٌ] الولىّ هو الشّيخ فى الولاية والشّفيع كالنّصير هو الشّيخ فى الدّلالة.

و بعبارةٍ اخرى الولىّ هو معلّم احكام القلب و الشّفيع هو معلّم احكام القالب و الاوّل شأن الولاية و الثّانى شأن النّبوّة و لمّا كان النّبوّة صورة الولاية و كلّ نبيٍّ له ولاية لا محالة و كذا كلّ ولىّ له خلافة للنّبوّة، فكلّ من النّبىّ و الولىّ يصحّ ان يكون شفيعاً و وليّاً معاً و الضّمير فى من دونه راجع الى ربّهم.

[لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ] عمّا يصرفهم عن ربّهم، اعلم، انّ الانسان فطرىّ التّعلّق و كلّما انزجر ممّا تعلّق به من الدّنيا و اهلها طلب التّعلّق بمن يطمئنّ اليه و يسلم له من جهة آلاخرة، و كلّما طلب ذلك التّعلّق و الارادة و التّقليد هُيّج شياطينه الجنيّة و الانسيّة لتحذيره عن هذا الامر و تخويفه و صدّه فكلّما هيّج الشّوق عزمه للطّلب صدّه الشّياطين عنه و خوفّوه و قيل بالفارسيّة:

تو چه عزم دين كنى با اجتهاد
ديو بانگت بر زند اندر نهاد

كه مرو زينسو بينديش اى غوى
كه اسير رنج و درويشى شوى

سالها او را ببانگى بندهٔ
كار او اينست تا تو زندهٔ

فمعنىّ الآية على هذا انذر بالقرآن الّذى هو صورة الولاية الّتى اصلها و المتحقّق بها امير المؤمنين (عليه السلام) الّذين يريدون و يطلبون الحضور عند ربّهم الّذى هو علىّ (عليه السلام) او خليفته و يريدون التّعلّق به و التّقليد له بان يحشرهم الشّيخ الدّليل الّذى هو كالنّبىّ بالآداب المسنونة اليه، و يخافون بتخويفات الشّياطين الانسيّة و الجنّيّة عن الحضور لديه و التّعلّق به، فانهّم بكيد الشّيطان قاعدون و بمحض انذارك يرتفع كيد الشّيطان فانّ كيده كان ضعيفاً، و انذر هم بأنّه ليس لهم من دونه ولىّ يتولّى امورهم و لا شفيع يشفع جرائمهم عنداللّه يعنى انذرهم بانّ ربّهم فى الولاية له شأنْ النّبوّة و الشّفاعة و شأن الولاية و التّربية، فهو حقيق بان يخاف من التولّى عنه و لا يخاف من التّوجّه اليه لعلّهم يتّقون تخويفات الشّياطين و لا يبالون بتهديداتهم و يقطعون سلاسل تهديداتهم و يحضرون عنده كالعاشق الّذى لا يبالى بما قيل فيه و ما عرض له.

[وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ] فى الولاية يعنى ادع الطّالب للدّين و لا تطرد الدّاخل فى الدّين بقبول ولاية علىّ (عليه السلام) و البيعة الولويّة معه فانّك بعثت لدعوة الخلق اليه لا لطردهم عنه او لاتطرد عن نفسك الّذين يدعون ربّهم فى الولاية.

[بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ] يعنى يدعون ذاته و يريدون الاتّصال بملكوته بعد الاتّصال بملكه، فانّ الدّعاء قد يستعمل فى دعاء الشّيء لامر اخر من نصرته و اعانته و غيرهما و قد يستعمل فى دعاء ذات

الشّيء طلباً من غير ارادة امر آخر منه و هذا هو معناه اذا استعمل مطلقاً و هو المراد ههنا لا طلاقه و لقوله بياناً لهذا المرام.

[يُرِيدُونَ وَجْهَهُ] يعنى لا يريدون من دعاء ربّهم غير وجه الرّبّ و وجه كلّ شيء هو ما به يتوجّه الى شيءٍ آخر، و لمّا كان الكلّ متوجّهاً بحسب التّكوين الى اللّه فمابه توجّههم الى اللّه هو ملكوتهم المثاليّة او ما فوقها بحسب مرتبة الدّاعى و هذا فى المربوب و امّا الرّبّ فلمّا كان متوجّهاً الى الخلق للتّكميل كان وجهه الى الخلق ما به يتوجّه اليهم و ما به يتوجّه الى الخلق هو ملكوته ايضاً.

و فى هذا دليل على ما قالت العرفاء العظام من انّ السّالك ينبغى ان يكون دائم الذّكر.

فانّ المراد بالغداة و العشيّ استغراق الازمنة و لذا لم يكتف اللّه تعالى فى الذّكر بالاطلاق بل قيّدة بالكثرة فى اكثر ما وقع و ينبغى ان يكون دائم الفكر و دائم الحضور، فانّ الفكر و الحضور فى لسانهم هو التّفكّر فى ملكوت الرّبّ و الحضور عنده وغاية تلقين الشّيخ الذّكر للمريد و دعاء المريد بالذّكر المأخوذ هى حصول وجه الرّبّ له والى هذا المعنى اشارت الآية فتذكّر.

و قد نقل عن الصّادق (عليه السلام) وقت تكبيرةالاحرام تذكّر رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) واجعل واحداً من الائمّة نصب عينيك و لهم على مرامهم شواهد كثيرة نقليّة و عقليّة وما كان قصدنا الى بيان مقصدهم، [مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ] من حيث شأن نبوّتك بل حسابهم على ربّهم.

[وَ مٰا مِنْ حِسٰابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظّٰالِمِينَ] عطف على تطردهم او جواب للنّهى كماانّ تطردهم جواب للنّفى، يعنى انّ حساب من دخل فى الولاية و طردهم وابقاءهم انّما هو على شأنك الولوىّ لا على شأنك النّبوى فلا تطردهم بشأنك النّبوىّ الّذى يراعى الكثرة و يربّى كلّا فى مرتبته و يحفظ لكلّ ذى شأن شأنه عن ارادة شهود الرّبّ والاتّصال بوجهه ،ولا تطردهم ايضا بحسب الصّورة بشأنك الحافظ للصّورة عن مجلسك بطلب القوم طردهم فانّ شأنك النّبوىّ يستدعى ان لا تقرّب الفقرأ الّذين لاشأن لهم فى انظار اهل الدّنيا اِلَيْكَ، وان لا تحضرهم فى المجلس العامّ النّبوىّ .

و قدذكر فى شأن نزول الآية انّها نزلت فى قوم من المسلمين مثل صهيب و خبّاب و بلال و عمّار و غيرهم كانوا عند رسول‌اللّه(ﷺ) فمرّبهم ملأ من قريش فقالوا: يا محمّد (ﷺ) ارضيت بهؤلاء من قومك؟! افنحن نكون تبعاً لهم؟! اهؤلاء الّذين منّ اللّه عليهم؟! - اطردهم عنك فلعلّك عنك فلعلّك ان طردتهم اتّبعناك، و قيل انّه(ﷺ) قبل منهم ان يطردهم من عنده حين و فودالقوم عليه و ارادان يكتب لهم كتاب عهد بذلك .

فنزلت الاية و نحىّ الكتاب و ذكر غيرذلك فى المفصّلات.

[وَ كَذٰلِكَ] اى مثل ابتلاء اغنياء قومك بفقرائهم [فَتَنّٰا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا] حالاً و قالاً اى الّذين لا استحقاق لهم للدّين واردنا ان نصرفهم عنك او عن الولاية .

[اَهٰؤُلاٰءِ مَنَّ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنٰا] استهزاء بهم و تنفّراً عنهم حتّى لايرغبوا فى الاسلام او فى الولاية و لايؤذوا صاحب الدّين بتزاحمهم بالاغراض الدّنيويّة له، فالّلام للغاية لا لمحض العاقبة كما قيل.

[اَلَيْسَ اللّٰهُ بِاَعْلَمَ بِالشّٰاكِرِينَ] فما بالك تطردهم و ما بالهم يستهزؤن و يطلبون طردهم و اللّه تعالى يذكرهم بالشّكر الّذى هو ابتغاء وجه ربّهم ثمّ بعد نهيه عن طردهم امره (ص) بتقريبهم و التّلطّف بهم بالتّحيّة عليهم و بشارتهم بالغفران و الرّحمة فقال :

[وَ اِذٰا جٰاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاٰيٰاتِنٰا] يعنى يؤمنون بالايمان الخاصّ الولوىّ فانّ من بايع عليّاً (ع) بالبيعة الولويّة يؤمن بجملة الآيات و هم الّذين يدعون ربّهم فى جميع الاوقات و الّذين هم على صلوتهم دائمون و هم الّذين لا يبتغون فى دعائهم الّا الاتّصال بملكوت ربّهم و الحضور عنده و لقاء وجهه.

[فَقُلْ سَلاٰمٌ عَلَيْكُمْ] تحيّة لهم و تلطّفاً بهم و قل لهم [كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ] بشارةً لهم و تطييباً لنفوسهم و تأنيساً لهم الى ربّهم.

[اَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءً بِجَهٰالَةٍ] بيان لمنشاء السّوء لاتقييدله ، يعنى من عمل منكم سوء بالتّنزّل عن دار العلم الى دارالجهل و قبول حكومة الجهل فانّ الواقع لا يكون الّا هكذا.

[ثُمَّ تٰابَ مِنْ بَعْدِهِ] عن دار الجهل [وَ اَصْلَحَ] نفسه بالدّخول

فى دارالعلم، [فَاَنَّهُ غَفُورٌ رَحيمٌ] اى يغفرله و يرحمه لانّه غفور رحيم فهو من اقامة السّبب مقام الجزاء.

[وَ كذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْاٰياٰتِ] آيات الكتاب التّدوينىّ فى بيان احوال الخلق و اصنافهم و ايات الكتاب التّكوينىّ من الاولياء و الاشقياء و اتباعهم بآيات الكتاب التّدوينىّ لتستبين سبيل المطيعين حذفه لادّعاء ظهوره كأنّه لاحاجة له الى البيان من حيث انّه المقصود من كلّ الاحكام.

[وَ لِتَسْتَبينَ سَبيلُ الْمجْرِمينَ قُلْ اِنّي نُهيتُ اَنْ اَعْبُدَ الَّذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ قُلْ لاٰ اَتَّبِعُ اَهْوٰاءَكُمْ] تنبيه على انّ منشأ عبادتهم اهويتهم و قطع لاطماعهم و تأكيد لضلالتهم.

[قَدْ ضَلَلْتُ اذاً] اذا اتّبعّت اهواءكم و عبدت مدعوّاتكم،[وَ ماٰ اَناٰ مِنَ الْمُهْتَدينَ قُلْ اِنّي عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبّي] تسفيهاً لرأيهم و تعريضاً بهم و انّهم على اهويتهم و تقليدهم و لا بيّنة لهم و العاقل ينبغى ان يكون فى طريقه و دينه و جملة افعاله على بيّنة.

[وَ كَذَّبْتُمْ بِهِ] بالقرآن او بعلىّ (عليه السلام)، [ماٰ عِنْدي ماٰ تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ] قيل اشارة الى ما قيل فأمطر علينا حجارة من السّماء اوائتنا بعذابٍ اليم عند نصب علىّ (عليه السلام) بالخلافة.

[اِنِ الْحُكْمُ اِلّاٰ لِلّٰهِ] و ليس لى حكم فيما تستعجلون به [يَقُصُّ الْحَقَّ] يفصّل الولاية كيف ما يقتضيه الحكمة و الحكم لما سبق انّ الولاية هى الحقّ و انّ كلّ ما سواها فحقّ بحقّيّتها.

[وَ هُوَ خَيْرُ الْفٰاصِلِينَ] بين الحقّ و من اتّصل به و الباطل و من اتّصل به .

[قُلْ لَوْ اَنَّ عِنْدِي مٰا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ] من العذاب [لَقُضِيَ الْاَمْرُ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ] لرفع النّزاع بينى و بينكم باهلاكى ايّاكم [وَ اللّٰهُ اَعْلَمُ بِالظّٰالِمِينَ] فيه معنى الاستدراك يعنى لكنّ الامر الى اللّه و هو اعلم بالظّالمين.

روى عنهم (عليهم السلام) انّ ورود الآيات فى الولاية [وَ عِنْدَهُ] ابتداء كلامٍ من اللّه او جزؤ مفعول القول حالاً كان او عطفاً .

[مَفٰاتِحُ الْغَيْبِ] جمع مفتح بالفتح بمعنى المخزن او مفتح بالكسر بمعنى المفتاح و لمّا نفى عن نفسه علم الغيب و القدرة على ما يستعجلون به اثبت مخازن الغيب او اسباب العلم به و التّصرّف فيه للّه تعالى بطريق الحصر و على الاوّل فقوله :[لٰا يَعْلَمُهٰا اِلّٰا هُوَ] يكون تأسيساً و على الثّانى يكون تأكيداً، و لمّا حصر علم الغيب فيه تعالى عمّم علمه بجملة المحسوسات الخارجة عن حدّ الاحصاء فقال: [وَ يَعْلَمُ مٰا فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مٰا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ] من اوراق شجرة الجسم او من اوراق شجرة العلم او من اوراق شجرة الولاية او من اوراق الشّجرة الانسانيّة من النّطف الّتى تقع فى الرّحم ثمّ تسقط قبل ان تستهلّ .

[اِلّٰا يَعْلَمُهٰا وَ لٰا حَبَّةٍ فِي ظُلُمٰاتِ الْاَرْضِ] و قد عمّمت الحبّة فى الخبر و يسهل عليك تعميمها ،[وَ لٰا رَطْبٍ وَ لٰا يٰابِسٍ اِلّٰا فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ] اثبات المعلوميّة دون الثّبوت بالنّسبة الى الورقة السّاقطة، و

نسبة الثّبوت فى الكتاب الى الاشياء الثّابتة للاشعار بانّ السّاقط ساقط عن الكتاب و الثّابت ثابت فى الكتاب، و الكتاب المبين هو اللّوح المحفوظ و صورة النّبوّة و صورتها القرآن الّذى اعطاه محمّداً (صلى الله عليه وآله) و الكلّ صورة الولاية الّتى اصلها و صاحبها أمير المؤمنين (عليه السلام) فعنده علم الكتاب الّذى لا رطب و لا يابس الاّ فيه .

[وَ هُوَ الَّذي يَتَوَفّيٰكُمْ بِاللَّيْلِ] التّوفّى اخذ الشّيء بتمام اجزائه و المراد منه هنا مطلق الاخذ و بعد ذكر احاطة علمه ارادان يذكر احاطة آلهيّته و ربوبيّته .

[وَ يَعْلَمُ مٰا جَرَحْتُمْ] ما كسبتم [بِالنَّهٰارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ] من نومكم [فيهِ] فى النّهار [لِيُقْضىٰ اَجَلٌ مُسَمّىً] ليمضى مدّة عمركم او الى ان يقضى و يختم غاية عمركم .

[ثُمَّ اِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثمّ يُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَ هُوَ الْقٰاهِرُ فَوْقَ عِبٰادِهِ] يحكم فيهم ما يشاء بلا مانعٍ و لا يكتفى بقهره و تسلّطه و احاطته .

[وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً] يحفظونكم من مردة الشّياطين و هو امّ الارض و سائر آلافات و يحفظون اعمالكم بالكتب و الثّبت.

[حَتّٰى اِذٰا جٰاءَ اَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنٰا] و قد مضى بيان توفّى اللّه و الرّسل و الملائكة و ملك الموت فى سورة النّساء ،[وَ هُمْ لٰا يُفَرِّطُونَ] فلا يشذّ عنهم شيء من قواه و جنوده و هو تأكيد لمفهوم توفّته بحسب المعنى .

[ثُمَّ رُدُّوا اِلَى اللّٰهِ] كما جاؤا منه [مَوْلٰيهُمُ الْحَقِّ اَلٰا لَهُ الْحُكْمُ] يومئذٍ او مطلقاً .

[وَ هُوَ اَسْرَعُ الْحٰاسِبِينَ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمٰاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ] يعنى الزمهم الاقرار .

[تَدْعُوْنَهُ تَضَرُّعاً] جهراً [وَ خُفْيَةً] سرّاً قائلين :[لَئِنْ اَنْجٰينٰا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشّٰاكِرِينَ قُلِ اللّٰهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهٰا وَ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ اَنْتُمْ تُشْرِكُونَ قُلْ] تهديداً لهم.

[هُوَ الْقٰادِرُ عَلىٰ اَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذٰاباً مِنْ فَوْقِكُمْ] كما بعث على قوم لوطٍ بامطار الاحجار .

[اَوْ مِنْ تَحْتِ اَرْجُلِكُمْ] كغرق فرعون و قومه و خسف قارون [اَوْ يَلْبِسَكُمْ] يخلطكم [شِيَعاً] فرقاً مختلفى المسلك متخالفى الاهواء كلَّ فرقة مشايعة لامام .

[وَ يُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ] بالمقاتلة و المدافعة و السّرقة و قطع الطّريق.

[اُنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْاٰيٰاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ] آيات قدرتنا على التّفضّل على المؤمنين و الانتقام من الكافرين عن الصّادق (ع) من فوقكم من السّلاطين الظّلمة و من تحت ارجلكم العبيد السّوء و من لا خير فيه، و يلبسكم شيعاً يضرب بعضكم ببعض بما يلقية بينكم من العداوة و العصبيّة و يذيق بعضكم بأس بعض هو سوء الجوار.

و امثال هذا الخبر تريك طريق التّعميم فى الآيات و فى الالفاظ

بما امكن و وسع اللّفظ .

[وَ كَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ] اى بكونه قادراً او بعلىّ (عليه السلام) او بالعذاب او بالقرآن الّذى فيه ذكره (عليه السلام)،[وَ هُوَ الْحَقُّ] المتحقّق.

[قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ] حتّى امنعكم من التّكذيب و انّما علىّ التّبليغ .

[لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ] يعنى لكلّ خبر وقتٌ و هو كالمثل فى العرب [وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ] اوان و قوعه [وَ اِذٰا رَاَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ] الخوض الامعان فى السّير فى البرّ كان او فى البحر و الاكثر استعماله فى الماء و المراد به ههنا الامعان فى سير النّظر .

[فِي اٰيٰاتِنٰا] التّدوينيّة و التّكوينيّة و اعظمها الولاية، و عن الباقر (عليه السلام) فى هذه الآية قال: الكلام فى اللّه و الجدال فى القرآن قال منه القصّاص .

[فَاَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّٰى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَ اِمّٰا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطٰانُ] النّهى عن القعود معهم :[فَلاٰ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرٰى مَعَ الْقَوْمِ الظّٰالِمِينَ] اشارة الى انّ من يخوض فى الآيات يشتغل عن نفسه و من اشتغل عن نفسه فهو ظالم على انّ خوضه دليل عدم انقياده و هو ظلم آخر .

[وَ مٰا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ] الخوض فى الآيات و ان اتّفق جلوسهم نسياناً معهم ،[مِنْ حِسٰابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ] ممّا يحاسبون عليه من قبائح اعمالهم [وَ لٰكِنْ ذِكْرٰى] و لكن عليهم ان يذكّروهم قبح الخوض و

يمنعوهم منه بقدر ما يمكنهم.

[لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ] الخوض، فلا يذكروا الآيات بما فيه ازدراء و لا يقعوا في ضلالته و عقوبته، عن الباقر (عليه السلام) فلمّا نزلت فلا تقعد بعد الذّكرى مع القوم الظّالمين.

قال المسلمون: كيف نصنع ان كان كلّما استهزء المشركون قمنا و تركناهم فلا ندخل اذاً المسجد الحرام و لا نطوف بالبيت الحرام..!؟

فأنزل اللّه تعالى: و ما على الّذين يتّقون من حسابهم من شيءٍ امر بتذكيرهم و تبصيرهم ما استطاعوا.

[وَ ذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَ لَهْواً] اللّعب ما لم يكن له غاية عقليّة و لكن كان له غاية خياليّة كلعب الاطفال، و اللّهو ما لم يكن له غاية عقليّة و لا خياليّة و ان كان له غاية خفيّة كامضاء عادةٍ مثلاً.

و المقصود عدم التّعرّض لمن اخذ دينه بخياله ولا يتصوّر له غاية سوى الغايات الخياليّة الدّنيويّة من الجاه و المناصب او الصّحّة و السّعة او التّوافق مع الاقران او التّوفّق على الامثال او التّنعّم في آلاخرة و النّجاة من العقوبة فيها، او القرب من الانبياء و الائمّة في الجنّة، او القرب من اللّه و الاختصاص من بين الامثال بذلك القرب لانّهم اخذوا صورة الدّين للدّنيا و جعلوا آلة الدّين شركاً للدّنيا.

و قوله تعالى :[وَ غَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيا] اشارة الى هذا.

[وَ ذَكِّرْ بِهِ اَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمٰا كَسَبَتْ] وذكّرهم الولاية بالقرآن او ذكّرهم بولاء عليّ (عليه السلام) او بعليّ (عليه السلام) كراهة ان تمنع نفس من موائد

آلاخرة بما كسبت من اعمالها لانّ كلّ نفسٍ بما كسبت رهينة الّا الّـذين تولّوا امير المؤمنين (عليه السلام).

[لَيْسَ لَهٰا مِنْ دوُنِ اللّٰهِ وَلِيٌّ وَ لٰا شَفيعٌ] صفة بيانيّة لنفس، او استيناف فى موضع التّعليل، و الولىّ و الشّفيع قدمضى بيانهما.

[وَ اِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ] و ان تفد كلّ فـداء ،[لٰا يُـؤخَذْ مِـنْهٰا اوُلٰئِكَ] المتّخذون دينهم لعباً و لهواً،[الَّذينَ اُبْسِـلُوا بِـمٰا كَسَـبُوا] استيناف فى موضع التّعليل .

[لَهُمْ شَرٰابٌ مِنْ حَميمٍ وَ عَذٰابٌ اَليمٌ بِمٰا كٰانُوا يَكْفُرُونَ قُلْ اَنَدْعُوا مِنْ دوُنِ اللّٰهِ] تعريضاً لهم و مداراة معهم .

[مٰا لٰا يَنْفَعُنٰا وَ لٰا يَضُرُّنٰا وَ نُرَدُّ عَلىٰ اَعْقٰابِنٰا بَـعْدَ اِذْ هَـدينَا اللّٰهُ] الى طريقة المستقيم الّذى هو الولاية.

[كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيٰاطينُ] اذهبته الجنّة على غير طـريق [فِي الْاَرْضِ حَيْرٰانَ] لا يدرى ايـن يـذهب و ايـن يـذهب بـه ،[لَـهُ اَصْحٰابٌ] لهذا المستهوى رفقة يرحمونه،و[يَدْعُونَهُ اِلَى الْهُدَى] الى الطّريق قائلين [ائْتِنٰا] ترحّماً عليه و هو لا يجيب لما خولط من مسيس الجنّ [قُلْ] لهم انّ مثلكم مثل هذا المستهوى فانّ الشّياطين قد غـلبت عليكم و سلبتكم عقولكم و انا و اصحابى كرفقاء المستهوى ندعوكم الى الطّريق المستقيم الّذى هو ولاية علىّ (عليه السلام) .

و نقول لكم: انّ ولاية علىّ (عليه السلام) هو هدى اللّه و [اِنَّ هُدَى اللّٰهِ هُوَ الْهُدٰى] لا هدى سواه [وَ اُمِرْنٰا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعٰالَمينَ] من جملة

المقول يعنى قل امرنا لنسلم لربّ العالمين اعراضاً عنهم بعد اتمام الحجّة عليهم او انصافاً لهم فى اظهار الدّعوى .

[وَ اَنْ اَقِيمُوا الصَّلٰوةَ] عطف على لنسلم و ان تفسيريّة، و قيل عطف على نسلم بتقدير دخول الّلام عليه و ان مصدريّة لكن دخول ان المصدريّة على الانشاء قليل و الخطاب فى قوله اقيموا يمنعه [وَ اتَّقُوهُ وَ هُوَ الَّذِي اِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَ] جملة حاليّة او معطوفة على جملة انّ هدى اللّه هو الهدى .

[وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضِ بِالْحَقِّ] سماوات الارواح وارض الاشباح بسبب الحقّ الّذى هو المشيّة الّتى هى ولاية علىّ (عليه السلام) كما سبق تحقيقه او متلبّساً بالحقّ، فانّ الولاية مع الكلّ و متقوّم بها الكلّ و لا يخلو منها الكلّ .

[وَ يَوْمَ يَقُولُ] عطف على منصوب اتّقوه او على السّماوات او على قل ان هدى اللّه بتقدير اذكر او ذكّر، او خبر لقوله الحقّ و الجملة عطف على جملة هو الّذى اليه تحشرون، او ظرف متعلّق بالحقّ او بعالم الغيب و المعنى قوله الحقّ او عالم الغيب يوم يقول للشّىء الّذى يريد ايجاده و انّما حذفه لقصد التّعميم مع الايجاز [كُنْ] ذلك الشّيء [فَيَكُونُ] و يوجد ذلك الشّيء بلاتأبٍّ و لاتأنٍّ.

اعلم، انّ اليوم كما يطلق على يوم عالم الطّبع مقابل ليله كذلك يطلق على كلّ من مراتب العالم، فانّ كلّاً بالنّسبة الى المرتبة الّتى دونها يوم والمرتبة الدّانية ليل بالنّسبة اليها، و لمّا كان عالم الطّبع عالم

الاسباب بمعنى انّ سنّته تعالى جرت بان يوجد الاشياء فيه بالاسباب، كان موجوداته كأنّها تتأبّى عن الوجود بمحض قوله من دون تهيّة اسبابه و المكلّفون فيه ايضاً يتأبّون عن قوله، و لمّا كان مراتب آلاخرة بتمام موجوداتها غير مسبوقة بمادّة و مدّة و سائر الاسباب كان موجوداتها قائمة بمحض قوله موجودة بنفس امره فكان يوم يقول: كن، فيكون مختصّاً بايّام آلاخرة.

[قَوْلُهُ الْحَقُّ] فاعل يكون و الحقّ صفة القول او مبتدء و خبر او مبتدء و يوم يقول خبره و المعنى قوله الحقّ الّذى هو المشيّة فانّها جملة اضافاته الى الخلق او قوله حقيقة ثابتة هى عين فعله و ليس صوتاً يقرع و لالفظاً يسمع [وَ لَهُ الْمُلْكُ] الملك يطلق تارة على عالم الطّبع مقابل الملكوت و الجبروت، و تارة على مايعمّ جملة الموجودات الّتى هى مملوكة له تعالى و هذا هو المراد ههنا، او اريد الاوّل على ان يكون المراد بقوله:

له الملك؛ انّ الملك يوم ينفخ فى الصّور خالص له و فى غير ذلك يظنّ انّ غيره له تصرّف فيه و لذلك و هم الثّنويّة فقالوا: انّ الظّلمة مقابلة النّور، او اهرمن ليزدان، و لكلّ منهما تصرّف فى الملك [يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ] بدل من يوم يقول، او ظرف مستقرّ خبر لقوله الحقّ، او خبر بعد خبر لقوله، او لغو متعلّق بقوله، او بالحقّ او بالظّرف فى قوله له الملك او بعالم الغيب، و الصّور القرن الّذى ينفخ فيه من صار بمعنى صوّت.

[عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ]

كالنّتيجة للسّابق.

[وَ اِذْ قٰالَ اِبْرٰهِيمُ لِاَبِيهِ اٰزَرَ] قيل ليس بين النّسابين اختلاف فى انّ اسم ابى ابراهيم تارخ و هو موافق لما عليه الشّيعة من انّ آباء انبياء (عليهم السلام) مطهّرون من الشّرك و انّ ازر كان جدّه لامّه او عمّه.

[اَ تَتَّخِذُ اَصْنٰاماً اٰلِهَةً اِنِّي اَرٰيكَ وَ قَوْمَكَ فِي ضَلاٰلٍ مُبِينٍ وَ كَذٰلِكَ نُرِي اِبْرٰاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضِ] يعنى مثل ارائتنا ابراهيم بطلان الاصنام و ضلالة قومه اريناه ملكوت السّماوات و التّعبير بالمستقبل لاحضاره لكونه من الامور الغريبة، و الملكوت مبالغة فى المالك كالجبروت فى الجابر، و الطّاغوت فى الطّاغى، و لمّا كان عالم الطّبع لاجهة مالكيّة له بل ليس فيه الّا المملوكيّة الصّرفة لم يسمّ ملكوتاً بل ملكاً و باطن عالم الطّبع من عالم المثال فما فوقه يسمّى ملكوتاً لمالكيّته و تصرّفه بالنسّبة الى مادونه.

و قد يطلق الملك على ما سوى اللّه و على الثمال و على الرّسالة و غير ذلك باعتبار مملوكيّتها للحقّ الاوّل تعالى، و المراد بالملكوت ههنا عالم المثال او هو و ما فوقه ان كان المراد بالاراءة اعمّ من الكشف الصوريّ، و المراد بالسّماوات و اَلْاَرْضِ هما الطّبيعيّان.

[وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ] اى ليأنس و يقرب منّا و ليكون من الموقنين.

و القمى عن الصّادق (عليه السلام) كشط عن الارض و من عليها و عن السّماء و من فيها، و الملك الّذى يحملها و العرش و من عليه، و هو يدلّ

على انّه لم يكن كشفاً صورّياً فقط.

[فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ] ستره بظلامه [رَأٰى كَوْكَباً] هو الزّهرة كما فى الخبر،[قٰالَ هٰذٰا رَبِّي] هذا الكلام منه يحتمل ان يكون على سبيل المماشاة مع القوم باظهاره الدّخول فى دينهم.

ثمّ الاستدلال بالافول و الزّوال على عدم تربيته بالاستقلال ليكون اقرب الى الدّعوة و الانصاف و ابعد عن الشّغب و الاعتساف، و لا يلزم منه الكذب المحرّم لانّه كان فى مقام الاصلاح، او قصد تربيته بنحو تربية الكواكب للمواليد باذن اللّه و ورّى بحيث يظنّ انّه اراد المعبود، او قصد الانكار و انّه لا يصحّ ان يكون ربّاً لكنّه ورّى بصورة الاخبار و كان المقدّر فى نفسه الاستفهام الانكارىّ.

و يحتمل ان يكون على سبيل الاستفهام الانكارىّ للانكار على قومه لانّهم كانوا ثلاثة اصنافٍ: صنف يعبد الزّهرة، و صنف يعبد القمر، و صنع يعبد الشّمس، فأنكر على الثّلاثة عبادتهم.

و يحتمل ان يكون على سبيل الاخبار الاحتمالىّ الّذى يصحّ لكلّ مستدلّ ان يخبر على سبيل الاحتمال عمّا أدّى اليه دليله فى بادى الامر لانّه كان فى اوّل خروجه من السّرب الّذى اخفته فيه امّه و لمّا ظهر له بعد امعان النّظر انّ ما ادّى اليه دليله فى بادى النّظر لم يكن نتيجة صحيحة انكر و قال: ليس هذا مؤدّى الدّليل الصّحيح، و مثل هذا ممدوح لكلّ من اراد التّحقيق و الخروج عن التّقليد و لا يكون هذا شركاً، و كلّ هذه مروىّ عنهم (عليهم السلام) لانّ القرآن ذو وجوه و الحمل على جملة الوجوه ما لم يؤدّ الى

فساد ورد عنهم (عليهم السلام) هذا ما يقتضيه التّنزيل.

و امّا بحسب التّأويل فنقول: انّ السّالك مادام يكون فی سرب نفسه المظلم و لم يخرج بالولادة الثّانية الی فسحة عالم الملكوت يكون متحيّراً لا يدری من اين و الی اين و فی اين، ثمّ اذا ادركته العناية الآلهيّة و خرج يسيراً من قعر سربه يطرؤ و عليه حالات و اطوار و ظلمات و انوار و منيرات، فربّما يری انواراً عجيبة متلوّنة بالوان مختلفة، و ربّما يری كواكب و اقماراً و شموساً و يذهل عن التّفكر و استعمال المقدّمات فيظنّ فی بادی رؤيته كوكباً او قمراً او شمساً انّه هو، فيصيح به جبرئيل العقل و يفيق من محوه وينظر الی افول المرئیّ و تغيّره فيعلم انّه ليس به.

و لا ضيران يكون حال ابراهيم(عليه السلام) فی بادی خروجه من سربه حال سائر السّلاك فيحسب فی بادی رؤيته الكوكب انّه هو، ثمّ ينظر بعقله الی زواله و تغيّره فيری انّه ليس به و لايلزم منه شرك و لا كفر لانّ تلك الانوار ظهورات نور الانوار، و قد يغلب حكم الظّاهر علی المظهر بحيث يظنّ انّ المظهر هو الظّاهر.

[فَلَمَّا اَفَلَ قٰالَ لاٰ اُحِبُّ الْاٰفِلِينَ] لمّا لم يجد فی نفسه داعياً قويّاً علی التّبرّی و نفی الرّبوبيّة و كان غرضه المماشاة مع القوم باظهار الانصاف من نفسه حتّی يدخل فی المجادلة الحسنة، نفی حبّ الافل عن نفسه كناية خفيّة عن نفی الرّبوبيّة و لذلك لم يؤكّده بشیء من المؤكّدات [فَلَمّٰا رَاَی الْقَمَرَ بٰازِغاً قٰالَ هٰذٰا رَبِّي فَلَمّٰا اَفَلَ قٰالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي

رَبّي لَاَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضّالّينَ] لمّا قوى الدّاعى لنفى الرّبوبيّة فى نفسه و نبّه القوم بالكناية الخفيّة على نفى ربوبيّة مثل هذا كنّى كناية اظهر من الاولى بنسبة الضّلال الى نفسه اوّلاً ليكون اقرب الى الانصاف بالكناية بقوله لئن لم يهدنى ربّى، و نسبة الّتمكّن فى الضّلال صريحاً ثانياً بقوله لاكوننّ من القوم الضّالّين و اكّد الحكم بمؤكّدات عديدة.

[فَلَمّا رَأَ الشَّمْسَ بازِغَةً قالَ هٰذا رَبّي هٰذا اَكْبَرُ] تذكير الاشارة باعتبار الخبر و لتنزيه الرّبّ عن سمة التّأنيث.

[فَلَمّا اَفَلَتْ قالَ يا قَوْمِ اِنّي بَريءٌ مِمّا تُشْرِكُونَ] بعد ما قوى الدّاعى و تمّ الحجّة نادى القوم صريحاً و اظهر التّبرّى و نفى الرّبوبيّة صريحاً و اكّد الحكم بانّ و اسميّة الجملة ثمّ لم يكتف به و اظهر ربوبيّة اللّه الّذى هو خالق الكلّ باخلاص الوجه له و صرّح بنفى الاشراك به مؤكّداً فقال: [اِنّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذي فَطَرَ السَّمٰواتِ وَ الْاَرْضَ حَنيفاً] خالصاً.

[وَ ما اَنَا مِنَ الْمُشْرِكينَ وَحاجَّهُ قَوْمُهُ قالَ اَتُحاجُّونّي فِي اللّٰهِ وَ قَدْ هَدٰانِ] فلا ينبغى لكم ان تحاجّونّى لانّى على هداية و بيّنة و انتم على عمى و ضلالة.

[وَ لا اَخافُ ما تُشْرِكُونَ بِهِ]كأنّهم كانو يحاجّونه بالتّخويف من آلهتهم و بما اراهم الشّيطان منهم من بعض ما لا يعتاد.

[اِلا اَنْ يَشاءَ رَبّي شَيْئاً] وحينئذٍ لا يكون خوفى منهم بل من ربّى [وَسِعَ رَبّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً] فلا أخاف ان يصيبنى مكروه من غير

علم ربّى به .

[اَفَلا تَتَذَكَّرُونَ] بما اقول لكم من انّ ربّى خالق آلهتكم و انّ علمه محيط بالكلّ و لا قدرة و لا علم لالهتكم كما انّ ربّى له القدرة الكاملة و العلم الكامل .

[وَ كَيْفَ اَخافُ ما اَشْرَكْتُمْ] يعنى لا ينبغى لى ان اخاف ما اشركتم به بعد ما بان انّ الشّركاء عاجزون جاهلون و انّ ربّى قادر عالم [وَ لا تَخافُونَ اَنَّكُمْ اَشْرَكْتُمْ بِاللّٰهِ] يعنى انّ هذا امر عجيب اى تخويفى من العاجز الجاهل مع عدم خوفكم من اشراككم الجاهل العاجز بالعالم القادر .

[ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً] بيان لحال الشّركاء لانّه قيد للاشراك او تقييد للاشراك باعتبار انّ الشّخص مالم يخرج من بيت نفسه و سجن طبعه لايمكنه الخروج عن الشّرك بل ليس طاعته و تبعيّته للانبياء و الاولياء الاّ الاشراك باللّه و رؤية الثّانى له لكن هذا الاشراك ممّا نزّل اللّه به سلطاناً و حجّةً و هو طريق الى التّوحيد و مجاز و قنطرة الى الحقيقة و قد سبق تحقيق ذلك .

[فَاَىُّ الْفَرِيقَيْنِ اَحَقُّ بِالْاَمْنِ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] نبّه على غباوتهم بانّ من له علم يميّز بين الامن و غيره، و عدم تميزهم لعدم‌شعورهم .

[اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا ايمانَهُمْ بِظُلْمٍ اُوْلٰئِكَ] كرّر المسنداليه باسم الاشارة البعيدة احضاراً لهم فى الذّهن و اشعاراً بعظم

شأنهم و تأكيداً للحكم و تمييزاً لهم بحصر الامن و الاهتداء فيهم.

[لَهُمُ الْاَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَدُونَ] عن امير المومنين (عليه السلام) انّه من تمام قول ابراهيم (عليه السلام) و يحتمل بحسب اللّفظ ان يكون مستأنفاً من اللّه، و نقل عن رسول اللّه (صلى الله عليه و آله) انّ المراد بالظّلم ماقاله العبد الصّالح يا بنيّ لا تشرك باللّه انّ الشّرك لظلمٌ عظيمٌ و يستفاد من هذا الخبر انّ المراد بالايمان الخاصّ الولويّ الحاصل بالبيعة الخاصّة و قبول الدّعوة الباطنة و انّ تنكير الظّلم للتّفخيم، و النّفى وارد على تفخيمه وليس من قبيل النكرة فى سياق النّفى ليفيد العموم [وَ تِلْكَ] التّى ذكرناها من استدلال ابراهيم (عليه السلام) بالزّوال و الدّثور و عدم القدرة و الشّعور على بطلان معبوداتهم و بعكسها على حقّيّة معبوده. [حُجَّتُنا اتَيْناها اِبْراهيمَ عَلىٰ قَوْمِهِ] الهمناها باستعداده و قوّة نفسه و قدسه.

[نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ] و لمّا توهّم انّه يرفع درجاتٍ من يشاء سواء كان باستحقاقٍ او بعدم استحقاقٍ رفع ذلك الوهم حتّى يتنزّه عن ارادة جزافيّة غيرمسبوقة بحكمة و مصلحة بقوله.

[اِنَّ رَبَّكَ حَكيمٌ] لايفعل الّا عن حكمة و اتقان للفعل [عَليمٌ] بقدر استحقاق كلّ و كيفيّته و ما يقتضيه.

[وَ وَهَبْنا لَهُ اِسْحٰقَ وَ يَعْقوُبَ] تعظيم له ببيان ما منّ به عليه [كُلّاً هَدَيْنا وَ نُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ] عن الباقر (عليه السلام) فى بيان اتّصال الوصيّة من لدن آدم (عليه السلام) الى زمانه هدينا هم لنجعل الوصيّة فى اهل بيتهم، و فيه اشعار بانّ هدايتهم امتنان من اللّه على محمّد (صلى الله عليه و آله) و اهل

بيته لانّهم آباؤهم او اولاد آبائهم كما انّ هداية نوح (ع) امتنان من اللّه على ابراهيم (ع) لكونه جدّه [وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ] عطف على ابراهيم و التّقدير تلك حجّتنا آتيناها ابراهيم(ع) و آتيناها بعضاً من ذريته او عطف على اسحق او يعقوب او عطف على نوحاً، او عطف على وهبنا، او هدينا، بتقدير أرسلنا و هذا على ان يكون من التّبعيضيّة واقعاً موقع الاسم الخالص لقوّة معنى البعضيّة فيها و يكون داود و سليمان (الى الآخر) بدلاً تفصيليّاً والّا فهو حال من داود و سليمان و يجرى حينئذٍ فى داود(ع)و سليمان (ع) الوجوه المذكورة فى عطف من ذرّيته و الضّمير المضاف اليه لابراهيم (ع) او لاسحق (ع) او ليعقوب(ع)، و على هذا كان المعدودون فى الآية الثّالثة عطفاً على نوحاً لانّ لوطاً ليس من ذرّيّة ابراهيم (ع) و كذلك من ذكر فى الاية الثّانية على ان يكون الياس هو ادريس جدّ نوح (عليهما السلام) و على هذا لو كان الضّمير لنوح(ع) لم يكن من فى الاية الثّانية عطفاً على داود و يحتمل ان يكون الضّمير لنوح (ع) لانّه اقرب و الامتنان بهداية ذرّيّته على ابراهيم (ع) لانّ اكثرهم كانوا ذرّيّة ابراهيم (ع) و من لم يكن ذرّيّة كان ذرّيّة آبائه .

[دٰاوُدَ وَ سُلَيْمانَ وَ اَيُّوبَ] بن اموص من اسباط عيصابن اسحاق كذاقيل: [وَ يُوسُفَ وَ موُسىٰ وَ هٰرُونَ] لم يراع فى ذكر الانبياء التّرتيب الوجودىّ و لاالتّرتيب الشّرفىّ .

[وَ كَذٰلِكَ] الجزاء الّذى جزينا ابراهيم (ع) من ايتاء الحجّة و رفع الدّرجات و جعل الانبياء من ذرّيّته و من فروع آبائه و هداية كثير

من آبائه و ذرّيّاته .

[نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ] يعنى انّ جزاءنا ابراهيم (عليه السلام) بما جزينا انّما هو لكونه محسناً فكلّ من اتّصف بصفة الاحسان نجزيه مثله [وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيىٰ وَ عِيسىٰ وَ اِلْيٰاسَ] قيل هو : ادريس، و قيل : هو من اسباط هارون اخى موسى (عليه السلام)، [كُلٌّ مِنَ الصّٰالِحِينَ] استيناف و اشارة الى استعدادهم و استحقاقهم و انّ هداية اللّه منوطة بالاستعداد من قبل القابل لا انّ له ارادة جزافيّة .

[وَ اِسْمٰعِيلَ وَ الْيَسَعَ] بن اخطوب علم اعجمىّ ادخل عليه الّلام كما يدخل فى بعض الاعلام .

[وَ يُونُسَ وَ لُوطاً وَ كُلاًّ فَضَّلْنٰا عَلَى الْعٰالَمِينَ] فى زمانهم [وَ مِنْ اٰبٰائِهِمْ وَ ذُرِّيّٰاتِهِمْ و اِخْوٰانِهِمْ] عطف على كلّاً او نوحاً وجعلت من التّبعيضيّة لقوّة معنى البعض فيها موقع الاسم .

[وَ اجْتَبَيْنٰاهُمْ] عطف على فضّلنا او هدينا .

[وَ هَدَيْنٰاهُمْ اِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ] تكرار هدينا هم لتعيين المهدىّ اليه، او المراد بالاوّل الارائة و بالثّانى الايصال اولاوّل هداية طريق النّبوة و الثّانى هداية طريق الولاية و الصّراط المستقيم قديراد به الولاية مطلقاً سواء كانت قبولاً ام تحققّاً.

و قديراد به الولاية الجامعة بين الكثرة و الوحدة و الجمع و الفرق و هو المراد هنا و الاصل فى الكلّ ولاية علىّ (عليه السلام) و هى متّحدة مع علىّ (عليه السلام) و لذلك فسّر قوله‌تعالى.

انَّ مِنْ شیعَتِهِ لَاِبْراهیم[1] بشیعة علیّ (علیه السلام) مع رجوع الضّمیر ظاهراً الی نوح (علیه السلام) [ذٰلِكَ] المذکور من الهدایة الی الصّراط المستقیم الجامع بین طرفی الکثرة والوحدة.

[هُدَی اللّٰهِ] واسم الاشارة البعیدة و اضافة الهدی الی اللّه اشعاراً بتعظیمه او ذلك الّذی هؤلاء الانبیاء علیه هدی اللّه لاهدی غیر اللّه.

[یَهْدي بِهِ مَنْ یَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ وَ لَوْ اَشْرَکوُا] ای هؤلاء مع علّو شأنهم [لَحَبِطَ عَنْهُمْ مٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ] فیزول بسببه ما تفضّلنا به علیهم فکیف بکم ان تشرکوا بولایة علیّ (علیه السلام).

[اُولٰئِكَ الَّذینَ آتَیْنٰاهُمُ الْکِتٰابَ] قد یراد به النّبوّة فانّها انتقاش القلب بالاحکام الآلهیّة و قد یراد به الرّسالة فانّها انتقاش الصّدر بالاحکام الالهیّة و الکتاب التدوینیّ صورة ذلك و المراد به هنا المعنی الثّانی [وَ الْحُکْمَ] بمعنی الحکمة الّتی هی الدّقّة فی العلم المستتبع للاتقان فی العمل و هی مسبّبة عن الولایة و المراد بها هنا الولایة.

[وَ النُّبَوَّةَ] یعنی انّا تفضّلنا علیهم بالمراتب الثّلاث الّتی لا کمال اتمّ منها [فَاِنْ یَکْفُرْبِهٰا] ای بالمراتب الثّلاث.

[هٰؤُلٰاءِ] یعنی انّهم مقرّون بالمذکورین فان کان اقرارهم لاجل اتّصافهم بتلك المراتب فینبغی ان یقرّوا بك ایضاً لاتّصافك بها، و ان کان

---

۱-سوره صافّات آیه ۸۱

اقرارهم لاشخاصهم البشريّة مع كفرهم بتلك المراتب و لذا كفروا بك فلا يضرّونها شيئاً.

[فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ] و هم اهل بيت محمد(صلى الله عليه وآله) و اتباعهم و قد قيل: انّهم ابناء الفرس.

[اُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّٰهُ فَبِهُديٰهُمُ اقْتَدِهْ] الهاء للسّكت، امره تعالى مع كمال مرتبته و جلالة قدره بالاقتداء تعظيماً لشأن الاقتداء و ترغيباً للامّة عليه فانّه لايمكن خروج نفسٍ من ظلمات اهويتها و مضيق سجنها الّا بالاقتداء و الارادة الّتى هى التّولّى و قبول الولاية و الانقياد لولىّ الامر.

و لذلك ورد: لوانّ عبداً عبداللّه تحت الميزاب سبعين خريفاً قائماً ليله صائماً نهاره و لمن يكن له ولاية ولىّ امره (و فى خبر) ولاية علىّ بن ابى طالب(عليه السلام) لاكبّه اللّه على منخريه فى النّار.

و نقل عن الصّادق(عليه السلام): لا طريق للاكياس من المؤمنين اسلم من الاقتداء لانّه المنهج الاوضح و المقصد الاصحّ، قال اللّه تعالى لاعزّ خلقه محمّد(صلى الله عليه وآله): اولئك الّذين هديهم اللّه فبهديهم اقتده، فلو كان لدين اللّه مسلك اقوم من الاقتداء لندب اوليائه (عليهم السلام) و انبيائه (عليهم السلام) اليه.

و يجوزان يكون الخطاب عامّاً لكلّ من يتأتّى منه الخطاب [قُلْ] لهؤلاء الكافرين برسالتك.

[لٰا اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ] اى على التّبليغ [اَجْراً] حتّى يثقل عليكم فتكفروا برسالتى [اِنْ هُوَ اِلّٰا ذِكْرىٰ] عظة [لِلْعٰالَمِينَ] فمن شاء اتّعظ و

من شاء كفر لكنّهم لايتّعظون و جهلوا اللّه و قيّوميّته.

[وَ مٰا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ] حتّى يعلموا سعة رحمته و كمال حكمته و رأفته بخلقه و انّ الرّسالة غاية لطف منه بالخلق.

[اِذْقٰالُوا مٰا اَنْزَلَ اللّٰهُ عَلٰى بَشَرٍ مِنْ شَيٍ] و انكروا لطفه و حكمته فى ارسال الرّسول (صلى الله عليه وآله).

[قُلْ لَهُمْ] نقضاً عليهم [مَنْ اَنْزَلَ الْكِتٰابَ الَّذي جٰاءَ بِهِ مُوسٰى نُوراً وَ هُدىً لِلنّٰاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرٰاطِيسَ] تجزّئونه.

[تُبْدُونَهٰا وَ تُخْفُونَ كَثيراً] يعنى انّهم يبدون مالا يظهر فيه رسالتك و يخفون مافيه رسالتك، و كذا يبدون ما يوافق اهويتهم و يخفون مالا يوافقها، و هو تعريض بأمّته (صلى الله عليه وآله) حيث يبدون بعده من الكتاب مايوافق أهويتهم و يخفون مالايوافقها.

[وَ عُلِّمْتُمْ] بذلك الكتاب [مٰا لَمْ تَعْلَمُوا اَنْتُمْ وَ لاٰ اٰبٰاؤُكُمْ] من احكام الشّرع و آداب المعاش و المعاد.

[قُلِ اللّٰهُ] ان لم يجيبوا لك و بهتوا لانّهم لاجواب لهم سواه، و يحتمل ان يكون هذا مستأنفاً غيرمرتبطٍ بالسؤال و يكون المقصود امره (صلى الله عليه وآله) بالمداومة على ذكر اللّه حالاً و قالاً و الاعراض عنهم.

[ثمّ ذَرْهُمْ في خَوْضِهِمْ] فى ظلمات اهويتهم و لجج آمالهم بحيث لم يتمكّنوا من تصديقك و داموا على تكذيبك.

[يَلْعَبُونَ وَ هٰذٰا كِتٰابٌ اَنْزَلْنٰاهُ] مثل كتاب موسى (عليه السلام)

[مُبٰارَکٌ] جعل فيه البركة لمن تعلّمه و عمل به و دام على قراءته [مُصَدِّقُ الَّذي بَيْنَ يَدَيْهِ] من الكتب الّتى قبله لتذكّر به .

[وَ لِتُنْذِرَ اُمَّ الْقُرىٰ] مكّة و الصّدر و صاحب الصّدر [وَ مَنْ حَوْلَهٰا] من اهل الشّرق و الغرب فى الصّغير و الكبير و لمّا كان المراد بمن حولها من سكن الدّنيا بالنّسبة الى الملكوتين السّفلى و العليا صحّ تفسيره بمن فى اَلْاَرْضِ.

[وَ الَّذينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ] اى مذعنون بها [يُؤْمِنُونَ بِهِ] يعنى يذعنون بالكتاب و انّه من اللّه و حقّ و صدق لانّه صورة الآخرة و من اذعن بالآخرة اشتاق اليها، و من اشتاق اليهااذعن و صدّق بكلّ ما فيه ذكرها، و ليس فى الكتاب الاّ ذكرها، و من اذعن بالاخرة و الكتاب آمن بعلىّ (ع) لانّ الآخرة و الكتاب صورتا علىٍّ (ع) كما انّ بشريّته صورته، و من آمن به صار مصلّياً حقيقة و من صار مصلّياً حقيقة شغله لذّة الصّلوة عن كلّ لذّةٍ فهم لايفارقونها .

[وَ هُمْ عَلىٰ صَلٰوتِهِمْ يُحٰافِظُونَ]اضافه الصّلوة اليهم للاشارة الى انّه كان لكلّ صلوة مخصوصة هى روح صلوتهم القابليّة المشتركة بين الكلّ.

[وَ مَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِباً اَوْ قٰالَ اُوحِىَ اِلَىَّ وَ لَمْ يُوحَ اِلَيْهِ شَىءٌ وَ مَنْ قٰالَ سَاُنْزِلُ مِثْلَ مٰا اَنْزَلَ اللّٰهُ] نزول الآية مشهور و فى التّفاسير مسطور، من انّها فى عبداللّه بن ابى سرح و انّه قدم المدينة و اسلم و كان له خطّ حسن و كان اذا نزل الوحى على رسول‌اللّه(ص) دعاه فيكتب ما يمليه رسول اللّه (ص) و كان يبدّل

الكلمة مكان كلمةٍ بمعناها و كان رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) يقول هو واحد فارتدّ كافراً و لحقّ بمكّة و هدر رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) يوم فتح مكّة دمه و عثمان التمس العفومنه (صلى الله عليه وآله) فصار من الطّلقاء.

لكن المقصود و التّأويل فی اعداء علیّ (عليه السلام) حيث ادّعوا الخلافة لانفسهم و يجری فی من نصب نفسه للمحاكمة بين الخلق او للفتيا و بيان احكامهم من غير نصٍّ و اجازةٍ من الرّسول(صلى الله عليه وآله) بلاواسطةٍ، فانّ حكم مثله و فتياه افتراء على اللّه تعالى ولواصاب الحقّ فقد أخطأ و ليتّبوأ مقعده من النّار و ليست الاجازة الا لهيّة باقلّ من الاجازة الشّيطانيّة الّتی عليها مدار تأثيرات مناطرهم و نفخاتهم.

و لذلك وردعنهم (عليهم السلام) : هذا مجلس لايجلس فيه الّا نبیّ او وصیّ او شقیّ.

اشارة الى مجلس القضاء و ليس الوصیّ الّا من نصّ المنصوص عليه على وصايته، و كانت سلسلة الاجازة بين الفقهاء كثّر اللّه امثالهم و العرفاء رضوان اللّه عليهم مضبوطة محفوظة و كان لهم كثير اهتمام بالاجازة و حفظها، حتّى انهّم كانوا لايتكلّمون بشیءٍ من الاحكام و لايحكمون على احدٍ بل لايقرؤن شيئاً من الادعية والاوراد من غير اجازةٍ.

و قد نقل العيّاشی عن الباقر (عليه السلام) فی تفسير الاية انّه قال: من ادّعى الامامة دون الامام.

[وَ لَوْ تَرٰى اِذِ الظّٰالِمُونَ] للامام اولانفسهم بالافتراء على اللّه

بقرينة مايأتى من قوله بما كنتم تقولون على اللّه غيرالحقّ، اشارة الى الافتراء و بقرينة كنتم عن آياته تستكبرون اشارة الى الانحراف عن الاوصياء و الظّلم لهم، فالمعنى لوترى اذالظّالمون للامام اولاتباعه اولانفسهم اوللخلق بادّعاء الامامة او الحكومة بين النّاس و الفتيا لهم من غير اجازةٍ.

[فِي غَمَرٰاتِ الْمَوْتِ] و شدائدها الّتى تغمر عقولهم و تدهشهم بحيث يغشى عليهم.

[وَ الْمَلاٰئِكَةُ بٰاسِطُوا اَيْديهِمْ] لقبض ارواحهم قائلين [اَخْرِجُوا اَنْفُسَكُمْ] غيظاً عليهم [اَلْيَوْمَ] متعلّق باخرجوا او بتجزون و الجملة جزؤ مقول الملائكة او استيناف من اللّه كأنّه صرف الخطاب عن الرّسول(ﷺ) و خاطبهم بنفسه و قال اليوم.

[تُجْزَوْنَ عَذٰابَ الْهُونِ بِمٰا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَ كُنْتُمْ عَنْ اٰيٰاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ] فالويل لمن اعرض عن المنصوصين و ادّعى الرّأى و الفتيالنفسه من غيرنصٍّ من المنصوصين.

[وَ لَقَدْ جِئْتُمُونٰا فُرٰادىٰ] هو ايضاً امّا جزء قول الملائكة او من قول اللّه سواءٌ جعل الجملة الاولى من اللّه او من الملائكة، و المراد بالفرادىٰ الفردى عن كلّ ما يظنّ انّه له من العيال و الاموال و من القوى و الفعليّات و عن كلّ ما يظنّ انّه شفيعه عنداللّه ممّا جعله شركاء اللّه و شركاء خلفائه.

[كَمٰا خَلَقْنٰاكُمْ اَوَّلَ مَرَّةٍ] فرادى عن كلّ ذلك و هذا يدلّ على ما

قاله العرفاء من تجدّد الامثال فانّه يدلّ على تعدّد الخلق.

[وَ تَرَكْتُمْ مٰا خَوَّلْنٰاكُمْ] فی الدّنيا من الاموال و العيال و القوی و الفعليّات.

[وَرٰاءَ ظُهُورِكُمْ وَ مٰا نَرٰى مَعَكُمْ شُفَعٰائَكُمْ] من الاصنام و الكواكب و غيرها من المعبودات الباطلة و ممّن ادّعی الخلافة من دون اذنٍ و اجازةٍ و ممّن ادّعی الرّياسة و الحكومة و الفتيا من غير اجازةٍ [اَلَّذِينَ زَعَمْتُمْ اَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكٰاءُ] اللّه او لعلیّ (عليه السلام).

[لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ] ای وصلكم علی قرائة الرّفع و البين من الاضداد و علی قراءة النّصب فالفاعل مضمر و البين ظرف.

[وَ ضَلَّ عَنْكُمْ مٰا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ] انّهم شركاء الولاية و الخلافة او شركاء اللّه ؛ عن الصادق (عليه السلام): نزلت هذه الاية فی بنی اميّة و شركاؤهم ائمّتهم ثمّ لمّا ذكر حال المنحرفين و ظلمهم و عقوبتهم ذكر كيفيّة تدبيره للعالم و آيات قدرته و علمه ليكون كالعلّة للزوم كون الخلافة من اللّه المشار اليه بقوله و هو الّذی جعل لكم النجوم (الاية) و حجّة علی المنحرفين عنها.

فقال: [إِنَّ اللّٰهَ فٰالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوىٰ] بالنّجم و الشّجر او الاسلام من طينةٍ طيّبةٍ و الايمان من الاسلام و الكفر من طينةٍ خبيثةٍ او الصّدر المنشرح بالاسلام من طينة طيّبةٍ و القلب من ذلك الصّدر و المنشرح بالكفر من طينة خبيثةٍ، او طينة المؤمن ممّا يطرؤ عليها من السّجيّن و طينة الكافر ممّا يعرضها من العلّيّين، او العلم من العلماء و الجهل من

الجهلاء، او النّور من المستنير و الظّلمة من المظلم فانّ الكلّ يسمّى حبّاً و نوىً باعتبار محبوبيّته و بعده من الخير كما اشير اليه فى الاخبار.

[يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ] خبر بعد خبر واسقط العاطف ههنا و فى قوله فالق الاصباح واتى به فى قسيم كلّ و كذا فى قوله و النّوى للاشارة الى انّ كلّاً مع قسيمه كافٍ فى الدّلالة على كمال قدرته و علمه و حكمته و تدبيره لعباده، لانّ كلّاً من قوله يخرج الحّى و فالق الاصباح كأنّه كلام مستأنف غيرمربوط بسابقه و المراد بالحّى النّامى من النّبات و الحيوان او ذوالحسّ و الحركة من الحيوان و بالميّت غيره.

اوالمراد به المسلم و المؤمن و العالم و مقابلوهم، و العدول عن الاسم الى الفعل المضارع للاشارة الى قلّة الحيّ كأنّه قلّما يحصل اخراجه من الميّت بخلاف الميّت فانّه بكثرته كأنّه مستمرّ اخراجه.

[وَ مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذٰلِكُمْ] اتى باسم الاشارة البعيدة للاشارة الى عظمة من كان هذه صفته [اللّٰهُ] اى المستحقّ للآ لهيّته لاماتجعلونه آلهاً ،[فَاَنّٰى تُؤْفَكُونَ] تصرفون و جملة ذلكم اللّه معترضة ان كان قوله.

[فٰالِقُ الْاِصْبٰاحِ] خبراً بعد خبر لانّ، او مستأنفة ان كان مستأنفاً، او خبراً بعد خبر لذلكم .

[وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً] وقت راحة من سكن اليه اذا انس به واطمأنّ او وقت سكون عن الحركة و قرىء جاعل اللّيل و على قراءة جعل فالاختلاف بالاسم و الفعل، كأنّه للاشارة الى انّ اقتضاء اللّيل

السّكون امر ذاتيّ له لاعرضيّ محتاج الى تجديد الجعل بتجدّد اللّيل، بل جعله سكناً لازم لخلقته اوّلاً بخلاف فلق الاصباح، و اللّيل اعمّ من ليل اليوم و ليل عالم الطّبع و ليل عالم الجنّة و ليل صروف الدّهر من القحط و الزّلازل و كثرة القتل و النّهب و كثرة الامراض و غيرها، و كلّ مرتبة من مراتب العالم الكبير او الصّغير جهتها الدّانية ليل بالنّسبة الى جهتها العالية، هذا فى العالم الكبير و ليل الطّبع و النّفس و الجهل و الشّهوات و الامراض و البلايا و الاحزان فى الصّغير.

[وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسْبٰاناً] سببى حسبان للاوقات لتجاراتكم و زراعاتكم و ديونكم و مواعيدكم و قد يعبّر عن الولاية و النّبوّة و عن الوليّ و النّبيّ بالشّمس و القمر، و الحسبان حينئذٍ يكون بمعنى المحاسب او ميزان الحساب فانّهما شاهدان و محاسبان على الجليل و القليل و هما اللّذان يعبّر عنهما الصّوفيّة بالشّيخ المرشد و الشّيخ الدّليل فانّهما فى اصطلاحهم اعمّ من الوليّ و النّبيّ و خلفائهما(عليهما السلام) و النبوّة كالقمر تكسب النّور من الولاية كالدّليل من المرشد و قد يعبّر بهما عن العقل الكلّيّ و النّفس الكليّة.

و قد يعبّر عن العقل الجزويّ و النّفس الجزويّة او العقل الجزويّ و القلب او آدم و حوّاء، كلّ ذلك فى العالم الصّغير و على كلّ التّقادير، فالحسبان بمعنى المحاسب او ميزان الحساب.

[ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ] لمّا كان المراد من هذه المقدّمات تصوير تدبيره لمعاش الخلق بحيث لم يشذّ شيءٌ ممّا يحتاجون اليه فى

المعاش حتّى يكون برهاناً قاطعاً على عدم اهمالهم فيما يحتاجون اليه في امر المعاد المشاراليه بقوله.

[وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهٰا] و احضره باسم الاشارة و صرّح بأنّه تقديره ليكون كالمشاهد للسّامع فيصير قوله و هو الّذى جعل لكم النّجوم لتهتدوابها .

[فِي ظُلُمٰاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ] غنيّاً عن الحجّة، و النّجوم ان كانت اعمّ من الشّمس و القمر فذكرهما هناك لشأن الحسبان و ههنا لشأن الاهتداء بهما، و النّجوم فى عالم الكون معلوم و فى الصّغير القوى و المدارك الجزئيّة و الواردات الغيبيّة و الالهامات القلبيّة و الاذكار السنيّة و فى الكبير الائمّة (عليهم السلام) و خلفاؤهم و المراد بالظّلمات الظّلمات الصّورية و المعنويّة من ظلمات النّفس و شبهاتها وزلّاتها و ضلالاتها و قد فسّرت النّجوم بآل محمّد (صلى الله عليه وآله).

[قَدْ فَصَّلْنَا الْاٰيٰاتِ] آيات علمنا و قدرتنا و تدبيرنا للاشياء على طبق حكمتنا بنصب رئيسٍ فى كلّ من مراتب العالم الكبير و الصّغير فى الكتاب التّدوينىّ و التّكوينىّ آلافاقىّ و الانفسىّ، ليدلّ على وجوب رئيسٍ منّا فى اشرف اجزاء العالم الكبير و هو الانسان و ليس تفصيلنا للايات لكلّ ذى شعورٍ بل للانسان و لا لكلّ فرقة منهم بل.

[لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] فانّ غيرهم لاينجع فيه تفصيل الايات و كأيّن من آية فى السّماوات و اَلْاَرْضِ يمرّون عليها و هم عنها معرضون، و العلم قد يطلق بمعنى مطلق الادراك تصوّراً كان او تصديقاً، و قد يطلق

بمعنى العرفان و هو التّصوّر الجزئيّ و قد يطلق بمعنى ادراك النّسبة و هماً كان او شكّاً او ظنّاً او علماً عاديّاً او تقليديّاً او يقيناً تحقيقاً، و قديطلق على الاعتقاد الرّاجح ظنّاً كان او علماً عاديّاً، او تقليداً، او يقيناً، و قديطلق على ما يقابل الظّنّ من هذه الثّلاثة و هذه ليست بمرادة و هو واضح.

و قديطلق على اليقين و اليقين ان كان متعلّقاً بالامور المعاشيّة من غيرتوجّه و ارتباطٍ بالاخرة كما قال تعالى، يعلمون ظاهراً من الحيوة الدّنيا و هم عن الاخرة هم غافلون.

فليس تفصيل الآيات لهذا العالم لانّه لغفلته لايدرك ذاالاية من الآيات بل ينفى عنه العلم و ان كان متعلّقاً بالامور الاخرويّة من العقائد العقليّة و الاعمال القلبيّة و الاخلاق النّفسيّة و العبادات القالبيّة و الاعمال المعاشيّة المؤدّية الى اصلاح المعاد فامّا ان لايقارن العمل و لايستخدم الخيال بل يستخدمه الخيال فى مآربه الكاسدة و مقاصده الفاسدة و يجعل آلة الدّين شركاً للدّنيا سواء قارن صورة العمل كما فى المتعبّدين المرائين او لا، كما فى المتهتّكين الّذين لايبالون بما عملوا ولا بما قيل فيهم اوقالوا، فهذا لايسميّ ايضاً علماً عند اهل اللّه لما فيه من عدم الاشتداد بل من عدم التّوجّه الى المعلوم، الا ترى الى قوله تعالى و لقد علموا لمن اشتريه ماله فى الاخرة من خلاق و لبئس ماشروا به انفسهم لوكانوا يعلمون كيف اثبت لهم هذا العلم ثمّ نفاه عنهم لمّا لم يعملوا بمقتضاه، و امّا ان يقارن العمل فيما له تعلّق بالعمل و يقارن الاشتداد فيه و فيما لا تعلّق له بالعمل بان يستخدم الخيال و يستتبع

المدارك و القوى ثمّ الاعضاء فى مآربه العقليّة، و يترقّى القوى و الاعضاء من حضيض التأبّى الى اوج الانقياد و التّسليم و العقل من مقام حصول صورة المعلوم عنده الى مقام حضوره.

فانّ العلم يقتضى العمل فاذا قارن مقتضاه اشتدّ ولم يقف حتى يتحقّق العالم بالمعلوم و يتّحد العلم و العالم و المعلوم، فهذا العالم هو الّذى يرى قدرة اللّه و علمه و حكمته فى كلّ مقدور و لذا جعل تفصيل الايات من فلق الحبّ الى جعل النّجوم سبباً للهداية لهذا العالم، و قدمضى تحقيق العلم و مراتبه فى سورة البقرة عند قوله تعالى لبئس ماشروا به انفسهم لوكانوا يعلمون.

[وَ هُوَ الَّذي اَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وٰاحِدَةٍ] نفس آدم (عليه السلام) بحسب الجسم او نفس النّبىّ (صلى الله عليه وآله) بحسب الاسلام او نفس الولىّ (عليه السلام) بحسب الايمان او نفس الكلّ او ربّ النّوع بحسب الحيوة الحيوانيّة و بحسب الحيوة الانسانيّة.

[فَمُسْتَقَرٌ وَ مُسْتَوْدَعٌ] هذه الكلمة مجملة متشابهة من حيث اللّفظ و المعنى و الاعراب، قرىء مستقرّ بفتح القاف اسم مفعول من استقرّه اذا وجده قارّاً ساكناً، او من استقرّ اذا قرّ و سكن بمعنى مستقر فيه، او اسم مكان او مصدراً ميميّاً و هكذا الحال فى المستودع، و قرىء بكسر القاف اسم فاعل من استقرّ بمعنى قرّ و المعنى هو الّذى انشأكم فمنكم قارّ و منكم غيرقارٍّ، او محلّ قرارٍ و محل عدم قرارٍ، او لكم استقرار و عدم استقرار، او محل، قرار و عدم قرارٍ، او فيكم استقرار و عدم استقرار او

محلّ قرار و عدم قرارٍ او قارّ و غيرقارٍّ و الاصلاب و الارحام و الابدان و الدّنيا و البرازخ بوجهٍ محلّ قرار بوجه محلّ عدم قرارٍ للنّطف و النّفوس و الابدان، و بعد القيامة محلّ قرارٍ على الاطلاق، و الابدان و النّفوس و الصّدور و القلوب محلّ قرار للحيوة الحيوانيّة و الانسانيّة و الاسلام و الايمان و العلوم بوجهٍ، و محلّ عدم قرار بوجهٍ.

[قَدْ فَصَّلْنَا الْاٰيٰاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ] و لمّا كان الاستدلال بالانشاء من نفس و الاستقرار و الاستيداع على تدبيره و حكمته محتاجاً الى استعمال نوع فطنة فوق العلم ذكر الفقه معه.

[وَ هُوَ الَّذِي اَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ] سماء الطّبع و سماء الارواح و النّبوّة و الولاية.

[مٰاءً فَاَخْرَجْنٰا] التفات اشعاراً بانّ نزول الماء من السماء كأنّه يكفيه الاسباب الطّبيعيّة ولا حاجة له الى مباشر قريب سواها بخلاف اخراج النّبات الاخضر الطّريّ من الحبّ الجماد اليابس فانّ له مباشراً قريباً مدبّراً حكيماً قديراً اِلهيّاً سوى الاسباب الطّبيعيّة.

[بِهِ نَبٰاتَ كُلِّ شَيْءٍ] من انواع النّبات او نموّ كلّ شيءٍ من انواع الحيوان بمعنى سبب نموّه او نباتاً مناسباً لكلّ نوع من انواع الحيوان و لرفع كلّ حاجة من انواع الحاجات.

[فَاَخْرَجْنٰا مِنْهُ] اى من النّبات ورقاً و غصناً [خَضِراً] وصف مثل اخضر او من اجل الماء زرعاً و نباتاً خضراً و على هذا يكون من عطف التّفصيل على الاجمال.

[نُخْرِجُ مِنْهُ] اى من النّبات او من الخضر او من اجل الماء [حَبّاً مُتَرَاكِباً وَ مِنَ النَّخْلِ] خبر مقدّم [مِنْ طَلْعِهَا] بدل او من النّخل، عطف على نبات كلّ شيءٍ باقامة من التّبعيضيّة مقام الاسم ،او عطف على منه و من طلعها خبر مقدّم و الجملة حال او مستأنفة [قِنْوانٌ] اعذاق جمع قنوكصنوان جمع صنو [دانِيَةٌ] قريبة التّناول [وَ] أخرجنا به او منه او نخرج منه .

[جَنّاتٍ مِنْ اَعْنابٍ وَ الزَّيْتُونَ وَ الرُّمّانَ مُشْتَبِهاً] فى الشّكل و الطّعم و اللّون [وَ غَيْرَ مُتَشابِهٍ اُنْظُرُوا اِلى ثَمَرِهِ] اى ثمر كلّ واحد [اِذا اَثْمَرَ وَ يَنْعِهِ] اى نضجه حتّى تعلموا انّ لها مدبّراً حكيماً قديراً و انّ حالكم حالها.

[اِنَّ فى ذلِكُمْ لَاياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] بالايمان العامّ او الخاصّ فانّ الايمان بوحدته كافٍ فى استدلال بالمذكورات و ان لم يكن علم وفقه.

[وَ جَعَلُوا لِلّهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ] بدل من شركاء او مفعول اوّل و للّه حال من شركاء و ذلك لانّ بعضهم يجعلون ابليس ذاالهة، و بعضهم قائلون بالظّلمة كناية عن دارالجنّة و الشّياطين، و بعضهم يعبدون الارواح الخبيثة الّتى هى الجنّة و الشّياطين زعماً منهم انّ تلك الارواح هى الارواح الّتى كانت واسطة بين اللّه و بين الخلق و جميع المشركين سواء صرّحوا بانّ معبوديهم الشّياطين و الجنّة او لم يصرّحوا بل عبدوا الشّجر و الصّنم و الكوكب و لا غيرها يعبدون الاّ الجنّ فى عبادتهم المعبودات الباطلة كمال قال تعالى : و يوم يحشر هم جميعاً ثمّ يقول للملائكة اهؤلاء

ايّاكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنّ اكثرهم بهم يؤمنون و السّرّ فى ذلك انّ الجنّ من اتباع ابليس تزيّن لهم المعبودات الباطلة فيطيعونهم فى ذلك فيعبدون الجنّ من حيث لايشعرون.

[وَ خَلَقَهُمْ] جملة حاليّة بتقدير قد او لاحاجة لها الى قد لورود الماضى حالاً كثيراً و فصيحاً بدون قد يعنى خلق اللّه الجنّ و المخلوق لايكون معبوداً كالخالق، و يحتمل ارجاع الضّمير الى الجاعلين يعنى و الخالق لهم لا يكون كغير الخالق لهم.

[وَ خَرَقُوا لَهُ] جعلوا للّه من عند انفسهم من غير حقيقة و برهان ،[بَنِينَ وَ بَنٰاتٍ] فقالوا نحن ابناءاللّه و المسيح ابن اللّه و عزيرٌ ابن اللّه و الملئكة بنات اللّه و جعلوا بينه و بين الجنّة نسباً.

[بِغَيْرِ عِلْمٍ] منهم بذلك.

[سُبْحٰانَهُ وَ تَعٰالىٰ عَمّٰا يَصِفُونَ بَدِيعُ السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضِ] خالقهما من غيرسبق مادّة و مدّة لا من اصل خلق و لا على مثال سبق بدعه انشأء كابتدعه و البديع الحادث لازم و متعدّ فسماوات الارواح و أراضى الاشباح كلّها مخلوقة.

[اَنّٰى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ] كيف يجوز ان يكون له ولد [وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ صٰاحِبَةٌ] على مثاله شريكة له غيرمخلوقة.

[وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ] فلم يكن شيءٌ صاحبته و لا ولده بل الكلّ مخلوق له [وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] فلا يحتاج الى ولد و وكيل فى

استعلام حال بعض الاشياء [ذٰلِكُمْ] الموصوف بالاوصاف المذكورة من قوله انّ اللّه فالق الحبّ الى ههنا و الاتيان باسم الاشارة البعيدة المشيرة الى الموصوف بتلك الاوصاف للّتعظيم ولاحضارها فى الذّهن و ليكون اشارة الى علّة انّيّته تعالى بطريق برهان الانّ و التّكرار مع سابقه للتّمكنّ فى الاذهان [اَللّٰهُ] اى المسمّى باللّه الدّائر على السنتكم و الموصوف بهذه الاوصاف حقيقة و جوديّة فالمسمّى باللّه حقيقة متحقّقة [رَبُّكُمْ] اشارة الى قيّوميّته و ربوبيّته لخصوص نوع الانسان.

[لٰا اِلٰهَ اِلّٰا هُوَ] نفى للشّريك له فى الآلهة [خٰالِقُ كُلِّ شَىْءٍ] نفى للثّانى عنه تعالى، فانّ كلّ ما يسمّى شيئاً فهو مخلوق له تعالى متعلّق الوجود به تعالى و ليس ثانياً له [فَاعْبُدُوهُ] يعنى بعد ما ثبت انيّته و ربوبيّته، و ان لاثانى له فينبغى العبادة له فاعبدوه.

[وَ هُوَ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ] حافظ لاحاجة له فى تدبير الاشياء الى وكيل و واسطة من ولد و غيره لاحاطته بالكلّ، و لمّا صار المقام مظنّة ان يقال هل يدرك مع احاطته ؟ ـ فقال جواباً :

[لٰا تُدْرِكُهُ الْاَبْصٰارُ] لاابصار العيون و لا ابصار القلوب لاحاطته و قصور المحاط عن ادراك المحيط، و لكن تدركه القلوب بحقيقة الايمان.

[وَ هُوَ يُدْرِكُ الْاَبْصٰارَ] لانّ شأن المحيط ادراك المحاط [وَ هُوَ اللَّطِيفُ] لطفاً يقصر عن ادراكه الابصار لقصورها [الْخَبِيرُ] بالاشياء و منها الابصار و مثل هذا يسمّى فى البديع بتشابه الاطراف.

[قَدْجٰاءَ كُمْ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل : اذا لم يدر كه الابصار فهل يمكن ادراكه؟ ـ فقال : قد جاءكم [بَصٰائِرُ] جمع البصيرة كالابصار جمع البصر و البصيرة للقلب كالبصر للبدن تطلق على قوّة بـها يـدرك المعقولات و على ادراكها و على الحجج الّتى بها يكون ذلك الادراك و هذه هى المرادة بالبصائر ههنا، و هـى اعـمّ مـن الانـبياء و الاوليـاء و معجزاتهم و كراماتهم و سيرهم و اخلاقهم و كتبهم و شرائـعهم، و مـن البلايا و الواردات و العبر و الايات الّتى تكون لخصوص الافراد اولعموم العباد، هذا فى الآفاق، و امّا فى الانفس فهى عبارة عن العقول و الزّواجر و النّفوس و الخواطر و الالهامات و المنامات خصوصاً الصّادقات منها، فانّها ادلّ دليل فى العالم الصّغير على وجود الاخرة و بقائها و وجود كلّ جزء من اجزاء عالم الطّبع فيها ماضياتها و اتياتها، و هـذا هـو الدّ ليـل الوافى لكلّ ذى بصيرة على بقاء الانفس بعد فناء الابدان فكلّ هذه بصائر.

[مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اَبْصَرَ] بها من اسماءاللّه وصفاته و من امـور الاخرة [فَلِنَفْسِهِ] ابصر [وَمَنْ عَمِيَ] عنها [فَعَلَيْهٰا] عمى [وَ مٰـا اَنَـا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ] هذه حكاية قول النّبىّ (ﷺ) بتقدير القول او هى مـن اللّه لكنّها، اشارة الى انّ حفظه تعالى و تدبيره للعباد موكول الى سـبق الاستحقاق و الاستعداد حتّى لا يحتجّ عليه العباد [وَ كَذٰلِكَ] التّصريف الّذى صرفنا الايات و الحجج فى الالفاظ السّهلة التّناول بحسب المعنى.

[نُصَرِّفُ] متتاليات [الْاٰيٰاتِ] الافاقيّة و الانفسيّة فى العـالم و فى النّفوس و فى الالفاظ ليعمى فرقة و ليبصر فرقة اخرى.

[وَ لِيَقُولُوا] اى الفرقة العامّيّة و الّلام اللعاقبة :[دَرَسْتَ] قرىء درست و دارست معلوماً بتاء الخطاب بمعنى قرأت و ذاكرت و تعلّمت، و قرىء درست بتاء التّأنيث بفتح الرّاء و ضمّها و دارست بتاءالتأنيث و درست ببناء المجهول و تاء التأنيث و درسن بنون جمع المؤنّث و دارسات بجمع اسم الفاعل و الكلّ من الدّروس بمعنى الاندراس، و يجوز ان يكون درست مجهولاً بمعنى قرئت ، و قرىء درس معلوماً بالغيبة بمعنى تعلّم محمّد (صلى الله عليه وآله) هذه الايات و درس بكلّ من معنييه لازم و متعدّ.

[وَ لِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ اِتَّبِعْ ما اُوحِىَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ] لا اهواء المشركين [لا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ] بيان للموحى او اعتراض للتّعليل .

[وَ اَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ] و لا تبال بهم و لا تتّبع اهواءهم و لا تحزن عليهم لشركهم و المقصود العمدة المشركون بالولاية .

[وَ لَوْ شاءَ اللّٰهُ ما اَشْرَكُوا وَ ما جَعَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَ ما اَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ] حتّى تحزن عليهم و انّما انت منذر .

[وَ لا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دوُنِ اللّٰهِ] عائد الموصول محذوف و فاعل يدعون راجع الى المشركين، و المقصود منه لا تسبّوا الّذين يدعوهم المنحرفون.

عن علىّ (عليه السلام) ممّن نصبوه اماماً لهم حالكونهم بعضاًمن غيراللّه.

و هذا النّهى جار للمؤمنين الى انقراض العالم، او العائد فاعل يدعون ومفعوله محذوف، او من التّبعيضيّة قائمة مقام المفعول.

[فَيَسُبُّوا اللّٰهَ] اى يسبّوا علياً (عليه السلام) فانّه مظهر اللّه و سبّه سبّ

اللّه لا يتصوّر الّا فى مظاهره [عَدْواً] ظلماً لعلىّ (عليه السلام) او تجاوزاً عن الحقّ فى سبّ علىّ (عليه السلام).

[بِغَيْرِ عِلْمٍ] منهم انّه مظهر اللّه و نقل عن الصّادق(عليه السلام) انّه سئل عن هذه الاية فقال: اراأيت احدا يسبّ اللّه؟ - فقيل: لا و كيف؟ - قال: من سبّ ولىّ اللّه فقد سبّ اللّه، و قد ورد عنهم بهذا المضمون اخبار كثيرة، و ما ذكرنا كان خلاصة المقصود و لا يخفى التّعميم لكلّ مشرك و مدعوّ غير اللّه و لكلّ نبىّ و وصىّ (عليه السلام) و لكلّ مؤمن [كَذٰلِكَ] مثل ارتضاء كلّ منكم ما تدعونه و عدم ارتضاء ما يدعوه غيرهم [زَيَّنّا] من لدن آدم(عليه السلام).

[لِكُلِّ اُمَّةٍ] فرقة من الفرق المختلفة المحقّة و المبطلة [عَمَلَهُمْ] و قد سبق عند قوله تعالى، قل كلٌّ من عند اللّه، انّ الفاعل فى الوجود مطلقاً هو الحقّ تعالى و ليس من الموجودات سوى الاستعداد و القبول و انّ فعله تعالى امّا بلا واسطة او بوسائط و انّ مظاهر قهرة تعالى من جملة وسائطه و انّ الشّيطان من مظاهر قهره فصحّ نسبة التّزيين اليه تعالى فى الاعمال السّيّئة و الى الشّيطان لانّه المباشر القريب و الى القوابل نحو نسبة الشّيء الى القابل.

[ثمّ اِلىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ] قد سبق انّ الرّبّ المضاف هو الولاية المطلقة و انّ مظهره الاتمّ علىّ (عليه السلام) و انّ رجوع الكلّ الى الولاية الّتى هى فعله تعالى و ظهوره لا الى الغيب المطلق فانّه لا راجع هناك و لا رجوع [فَيُنَبِّئُهُمْ بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ] من خير و شرّ.

[وَ اَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ اَيْمٰانِهِمْ لَئِنْ جٰاءَتْهُمْ اٰيَةٌ] ممّا اقترحوا [لَيُؤْمِنُنَّ بِهٰا] اى ليذعننّ بالاية الجائية و انّها من اللّه او ليؤمننّ بمحمّد(صلی الله علیه و آله) بسبب تلك الاية و هذا حكاية قولهم الكاسد النّاشى من تمحّلات النّفس فانّها كالمرأة الخبيثة تكون دائمة فى الاعذار الفاسدة و الفرار من قبول حكم الازواج و اتّهام غيرها بمأ ثمها [قُلْ] يا محمّد (صلی الله علیه و آله) لهم او للمؤمنين الطّامعين فى ايمانهم الطّالبين منك الاتيان بمقترحاتهم.

[اِنَّمَا الْاٰيٰاتُ عِنْدَ اللّٰهِ] و ليست عندى و باختيارى [وَ مٰا يُشْعِرُكُمْ] ما استفهاميّة للاستفهام الانكارىّ و الخطاب للمؤمنين الطّالبين للاتيان بمقترحاتهم حرصاً على ايمانهم، او للكافرين المقسمين بطريق الالتفات من الغيبة الى الخطاب، او ما نافية و فاعل يشعركم ضمير راجع الى اللّه و هو عطف على انّما الايات، او حال معمول لعند اللّه و من جملة مقول القول، او عطف على اقسموا، او حال معمول لاقسموا و من قول اللّه .

[اَنَّهٰا اِذٰا جٰاءَتْ] قرئ بفتح همزة انّ معمولة مع ما بعدها ليشعركم بلاواسطة حرف، او بتقدير الباء او هى بمعنى لعلّ و قرئ بكسر الهمزة فتكون مستأنفة.

[لٰا يُؤْمِنُونَ] قرئ بالغيبة و بالخطاب و لفظة لا زائدة او اصليّة [وَ نُقَلِّبُ اَفْئِدَتَهُمْ وَ اَبْصٰارَهُمْ] عطف على لا يؤمنون عطف السّبب على المسبّب او عطف المسبّب على السّبب، و الفؤاد يطلق على القلب

اللّحمانىّ و على النّفس الانسانيّة و على اللّطيفة السّيارة الانسانيّة و على القلب الّذى هو مرتبة من مراتب الانسان و على الجهة الرّوحانيّة من الانسان اذا علمت ذلك.

فاعلم، انّ روحانيّة الانسان اى قلبه كبدنه خلق مستوى القامة رأسه من فوق و تقليبه عبارة عن تعلّقه بمشتهيات الحيوان و استقامته عبارة عن تعلّقه بما اقتضته انسانيّة الانسان، و استقامة الابصار عبارة عن ادراك ما يوافق آلاخرة من كلّ ما يدركه البصر او البصيرة، و تقليبها سبب لادراك مقتضيات الحيوان و الاحتجاب عن الاعتبار بالمدركات.

[كَمٰا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ] اى بما انزل من الآيات او بالقرآن او بالنّبىّ(ﷺ) [اَوَّلَ مَرَّةٍ] اى قبل اقتراحهم، او اوّل مرّة نزول الآية او فى عالم الذّرّ او اوّل الدّعوة.

[وَ نَذَرُهُمْ فِي طُغْيٰانِهِمْ] متعلّق بنذرهم او بقوله:[يَعْمَهُونَ] اى يتردّدون فى الضّلال و يتحيّرون، قرئ نقلّب و نذرهم بالتّكلّم و بالغيبة و قرئ تقلّب مبنيّاً للمفعول بتاء التّأنيث.

[وَ لَوْ اَنَّنٰا نَزَّلْنٰا عَلَيْهِمُ الْمَلاٰئِكَةَ] ردّ لاقتراحاتهم و ردع للرّسول (ﷺ) وللمؤمنين عن ارادة الاتيان بشىءٍ منها فانّهم كما نقل قالوا يا محمّد (ﷺ) كان للانبياء الماضين آيات، فقال: اىّ شيء تحبّون منها ان آتيكم به؟ - فقالوا: اجعل لنا الصّفا ذهباً، و ابعث لنا بعض موتانا نسألهم عنك، و أرنا الملائكة يشهدون لك، اوائتنا باللّه و الملائكة قبيلاً، و سأل المسلمون الرّسول (ﷺ) ان يأتى لهم، فأراد الرّسول (ﷺ)

ان يجيبهم فنزل جبرئيل (عليه السلام) و قال: ان سألت اجبت و لكن ان لم يؤمنوا عذّبتهم و ان شئت تركتهم حتّى يتوب تائبهم، فقال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) بل يتوب تائبهم، فأنزل اللّه تعالى و لو انّنا نزّلنا عليهم الملائكة.

[وَ كَلَّمَهُمُ الْمَوْ تٰى] فى رسالتك [وَ حَشَرْنٰا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلاً] جمع القبيل بمعنى الكفيل او جمع قبيل هو جمع القبيلة بمعنى الجماعة من النّاس او هو مصدر بمعنى المعاينة و المقابلة و المعنى انّا اوجمعنا عليهم كلّ آية معاينة و مقابلة لهم، اولو جمعنا كلّ شيءٍ من اللّه و الملائكة و غيرهم كفلاء بما بشّروا و انذروا او جماعات و حمل الجمع على كلّ شيءٍ باعتبار عمومه .

[مٰا كٰانُوا لِيُؤْمِنُوا اِلّٰا اَنْ يَشٰاءَ اللّٰهُ] ردّ لسببيّة الاسباب الظّاهرة للايمان و اثبات بسببيّة المشيّة له وردع للمشركين و المؤمنين من نظرهم الى الواسطة و غفلتهم عن سببيّة المشيّة و اقتراحهم و تمنّيهم للآية، بانّ الوسائط ليست اسباباً، بل هى مظاهر لمشيّته و السّبب لكلّ مسبّب هو المشيّة، فلو شاء اللّه لاتى كلّ نفس هديها من غير واسطةٍ و لو لم يشأ لم تهتد و ان كان لها كلّ واسطة .

[وَ لٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ] اكثر المؤمنين او المشركين او الجميع [يَجْهَلُونَ] انّ المشيّة هى السّبب للايمان لا الآية المقترحة و المتمنّاة، و لذا يقترحون و يتمنّون او الفعل منسيّ المفعول و المعنى اكثرهم جهلاء [وَ كَذٰلِكَ] اى كما جعلنالك عدوّاً من قومك.

[جَعَلْنٰا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً] يعنى لا تحزن على معاداة قومك فانّ

سنّتنا علی وفق حکمتنا جرت بجعل العدوّ لکلّ نبیّ لیکون تکمیلاً لهم و اصلاحاً لامّتهم و سبباً لامتیاز المنافق منهم عن الموافق و اظهاراً لفضائلهم علی السنة حسّادهم، فانّ فضل المحسود کثیراً یظهر علی لسان الحاسد و احتجاجاً علی طالبی الدّین بمعاداة المعاندین، فانّ معاند الانبیاء(علیهم السلام) لایظهر بمعاداته الّا اتّباعه الهوی و ارادة الدّنیا و ادباره عن آلاخرة، لانّ الانبیاء لایعارضون احداً فی امور الدّنیا بل یدعون فی کمال الشّفقة الی الاخرة، و هذا تسلیةٍ للرّسول (صلّی الله علیه و آله) و سائر المومنین، و العدوّ ضدّ الصّدیق یستوی فیه الواحد و الکثیر و المذکّر و المؤنّث و لذا ابدل عنه الجمع.

[شَیٰاطِینَ الْاِنْسِ وَ الْجِنِّ] اعلم، انّ الانسان و جملة عالم الطّبع واقع بین العالمین العلویّ و السفلیّ کماسبق و لاهل کلّ من العالمین جهة تسلّط و تصرّف فی الانسان، و عالم الطّبع و العالم السفلیّ مهوی الشّیاطین و الجنّ و دار الاشقیاء و جحیمهم، و العالم العلویّ القریب من عالم الطّبع مقرّ الملائکة ذوی الاجنحة دون المقرّبین.

فانّ عالمهم اعلی من ذلك و الانسان قابلٌ لتصرّف اهل العالمین و له امکان التّوجّه الی کلیهما، فمن توجّه بسوء اختیاره الی السّفلیّ و قبل تصرّف الشّیاطین و الجنّة و تمکّن فی ذلك القبول و لم یبق له جهة استعداد قبول تصرّف الملائکة صار مظهراً للشّیاطین و متحقّقاً بهم بحیث لم یکن فی وجوده الاّ الشّیطان و کان فعله فعله و امره امره و خلقه خلقه و قوله قوله کما قیل بالفارسیّ :

چون پری غالب شود بر آدمی گم شود از مرد وصف مردمی
هرچه گوید او پری گفته بود زین سری نه زان سری گفته بود

و ان كان مع ذلك باقياً عليه بعض اوصاف الانسان كان شيطان الانس و ان لم يكن كان شيطان الجنّ، و يحتمل ان يكون المراد بشياطين الجنّ، الجنّة الّتى تؤذى من طريق الباطن و على اىّ تقدير فالمقصود التّعريض بالحبتر و الزرّيق كما فى الخبر.

و من توجّه بتوفيق اللّه الى العالم العلوىّ و قبل تصرّف اهله و تمكّن فى ذلك بحيث لم يبق له استعداد تصرّف الشّيطان صار مظهراً للملائكة بل للّه و كان فعله و قوله و خلقه ظهور افعال الملائكة و اقوالهم و اخلاقهم كما قيل :

چون پری را این دم و قانون بود
کردگار آن پری خود چون بود
پس خداوند پری و آدمی
از پری کی باشدش آخر کمی

و عن الصّادق (عليه السلام) : من لم يجعله اللّه من اهل صفة الحقّ فاولئك شياطين الانس و الجنّ.

[يُوحِي] اى يلقى او يوحى من طريق الباطن شياطين الجنّ الى شياطين الانس [بَعْضُهُمْ اِلٰى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ] حسن القول الكاذب بتمويهه [غُرُوراً] وحى غرور او للغرور او غارّاً.

[وَ لَوْ شٰاءَ رَبُّكَ مٰا فَعَلُوهُ] فلاتبتئس بما فعلوا فانّه بمشيّتنا و فيه مصالح و حكم لكم [فَذَرْهُمْ] من غيرتعرّض لهم بالرّدّ و القبول [وَ مٰا يَفْتَرُونَ] ليقولوا ما يريدون حتّى يجرى حكمنا و مصالحنا.

[وَ لِتَصْغىٰ اِلَيْهِ اَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْاٰخِرَةِ] عطف على محذوف كما ذكرنا او عطف على غروراً [وَلِيَرْضَوْهُ وَ لِيَقْتَرِفُوا] يكتسبوا [مٰا هُمْ مُقْتَرِفُونَ] حتى يتميّزوا من المؤمنين و يخلصوا ايمان المومنين بايذائهم ايّاهم.

[اَفَغَيْرَ اللّٰهِ اَبْتَغِي حَكَماً] بتقدير قل او بتقدير قال او يقول او يقال جواباً لسؤال مقدّرٍ [وَ هُوَ الَّذِي اَنْزَلَ اِلَيْكُمُ الْكِتٰابَ] القرآن و النبوّة.

[مُفَصَّلاً وَ الَّذِينَ اٰتَيْنٰاهُمُ الْكِتٰابَ يَعْلَمُونَ اَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ] يعنى الّذين آتيناهم النّبوّة بتسليم احكامها و قبولها و آتيناهم كتاب النّبوّة فى صورة كتاب سماوىّ كأهل الكتابين يعلمون انّ القرآن او كتاب نبوّتك او ولايتك فانّهما روح القران منزّل من ربّك [بِالْحَقِّ] متلبّساً بالحقّ الّذى هوالولاية او بسببه او معه.

[فَلاٰ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ] و هو من قبيل ايّاك اعنى و اسمعى يا جاره.

[وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ] كلمة الرّبّ هى المشيّة الّتى هى الولاية المطلقة و تماميّتها بظهورها بنحو الاطلاق فى هذا العالم، و ظهورها كذلك ما كان الّا بمحمّد (صلى الله عليه وآله) و علىّ (عليه السلام) فانّ سائر الانبياء (عليهم السلام) و

الاولياء ولايتهم مقيّدة جزئيّة مقتبسة من ولاية علىّ (عليه السلام) الّتى هى المطلقة الكلّية.

[صِدْقاً] من حيث الصّدق او صادقة فانّ الولاية ما لم تخرج من التّقيّد و التّحدّد لم يتمّ صدقها[وَ عَدْلاً] العدل ضدّ الجور و هو اعطاء كلّ ذى حقٍّ حقّه كما انّ الجور منع المستحقّ من حقّه و بمعنى الاستقامة ضدّ الاعوجاج و بمعنى التّوسطّ فى الامور و يصحّ اعتباره بكلّ من معانيه .

[لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ] فلاتبال بمايقولون و لاتبتئس بما يكذبون [وَ هُوَ السَّمِيعُ] لما يقولون فى علىّ (عليه السلام) و القادر على منعهم من امضاء ما يقولون و اظهار ما يريدون [الْعَلِيمُ] بحال كلّ و استحقاقه [وَ اِنْ تُطِعْ اَكْثَرَ مَنْ فِي الْاَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ] لان الاكثر منكوسوا الرّؤس منحرفون عن الولاية الّتى هى سبيل اللّه الى عالم السّفل الّذى هو عالم الشّياطين و الارواح الخبيثة و اطاعتهم تؤدّى الى الانحراف الى ما توجّهوا اليه و هو تعريض بالامّة و انّما قال اكثر من فى الارض .

لانّ الانسان ثلاثة اصناف : صنف عرجوا من ارض الطّبع الى سماء الارواح، و شأنهم الطّاعة و الانقياد لصاحب الرّسالة و الولاية الكليّة لا الاستقلال و المطاعيّة ، و صنف وقفوا فى ارض الطّبع لكن لهم التّهيّؤ و الاستعداد للعروج الى عالم الارواح فهم و ان كانوا فى ارض الطّبع لكن موافقتهم لاتصير سبباً للضّلال عن التّوجه الى عالم الارواح، وصنف واقفون فى ارض الطّبع منكوسون الى السّفل متوجّهون الى عالم الشّياطين و هم اكثر من فى الارض. وطاعتهم و موافقتهم توجب

الانحراف عن الولاية.

[اِنْ يَتَّبِعُونَ اِلاَّ الظَّنَّ] الظّنّ من صفات النّفس فانّ علومها و ان كانت يقينيّةً و ادراكاتها غيرظّنيّة فهى ظنون و ليست بعلوم لما مضى مراراً انّ العلم هو الّذى يكون وجهه الى العلوّ و يكون فى الاشتداد و علم النّفس الغير المطيعة يكون وجهه الى السّفل و يكون فى التّنزّل، فالمعنى مايتّبعون الاّ الادراكات النّفسانية الّتى هى مبادى الاراء الرّديّة والاهواء الخبيثه، و ايضاً لمّا كان علوم النّفوس مغايرة لمعلوماتها و جائزة الانفكاک عنها كان حكمها حكم الظّنون فى مغايرتها لمظنوناتها وجواز انفكاكها عنها.

[وَ اِنْ هُمْ اِلَّا يَخْرُصُونَ] الخرص التّقدير و الكذب و الظّنّ و هو المراد هنا يعنى لايتّبعون الاّ الظّنّ و ليس لهم علم اصلاً حتّى يتصوّر منهم امكان متابعة العلم، لانّهم فى مرتبة النّفس المنكوسة لايتجاوزون عنها فلايكون لهم علم.

[اِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ اَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] فالمتّبع هو ما قاله الرّبّ لا ما قالوه من نسبة الضّلال و الاهتداء الى النّاس بظنونهم فلاتبالوا بما قالوا و لابما حرّموا واحلّوا و ائتمروا بامور ربّكم.

[فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ] ولا تبادلوا بما قالوا من انّكم تأكلون ماقتلتم بايديكم و لاتأكلون ما قتله اللّه من الانعام، و بعد ما علمت انّ الاكل أعمّ من فعل القوى و الاعضاء و صفات النّفس و ادراك

المدارك الظّاهرة و الباطنة و العقائد العقلانيّة، و انّ الاصل فى اسم اللّه هو الولاية و انّها الاسم الاعظم و ان لااسم الاّ و هو ظلّ لذلك الاسم الاعظم، و انّ عليّاً (عليه السلام) هو مظهره الاتمّ.

و لذا ورد عنه (عليه السلام) : لا اسم اعظم منّى.

امكنك تعميم الاكل فى كلّ فعل و قول و اكل و شرب و ادراك و خاطر و علم و معرفة و اعتقاد و كشف و شهود و عيان، فانّ الكلّ اكل بالنّسبة الى القوى الّتى هى مبدأه، و كذا امكنك تعميم اسم اللّه فى الاسم القولىّ و القلبىّ المتّصلين بصورته الملكوتيّة الّتى تسمّى فكراً و سكينةً و حضوراً و ذكراً حقيقيّاً فى لسانهم، فكلّ مافعل مع الحضور عند الاسم الاعظم و تذكّره بصورته الملكوتيّة فهو حلال و لا وزرمعه و لا وبال، و مع تذكّر الاسم الاعظم بما قلنا لايقع منه ما هو مكروه الاسم الاعظم و مكروهه مكروه اللّه فلا يقع منه حرام خارج عن السّنة و لذا قيل : «كفر گيرد ملّتى ملّت شود»

و مع عدم ذكر اللّه لابالقول و لابالقلب و لابالفكر كلّما فعل و ان كان مباحاً كان حراماً كما قيل: «هرچه گيرد علّتى علّت شود»

و عن الصادق (عليه السلام) فى حديث ذكر الانهار انّه (عليه السلام) قال : فما سقت و استقت فهولنا و ماكان فهو لشيعتنا، و ليس لعدوّنا منه شىءٌ الاّ ما غصب عليه، و انّ وليّنا لفى اوسع فيما بين ذه و ذه مشيراً الى السّماء و الارض ثمّ تلا: قل هى للّذين آمنوا فى الحيوة الدّنيا المغصوبين عليها خالصة لهم يوم القيامة بلا غصبٍ .

و قد ورد: ولیّ علیٍّ (عليه السلام) لا یأ کل الاّ الحلال کما قیل :

گـــر بگـیرد خـون جـهان را مـال مـال

کـــی خـــورد مـــرد خـــدا الاّ حـــلال

[اِنْ کُنْتُمْ بِاٰیاٰتِهِ مُـؤْمِنینَ] و اعـظم الایـات مـحمّد (صلی الله علیه و آله) و علی (عليه السلام) و هو شرط تهییج علی نفی التّحرّج عن فعل ذکر اسم اللّه علیه و عدم الاعتناء بقول اصحاب التخمین و الظنّ، او تقیید لاباحة ما ذکر اسم اللّه علیه.

[وَ ماٰ لَکُمْ اَلّٰا تَأْکُلُوا مِمّٰا ذُکِرَ اسْمُ اللّٰهِ عَلَیْهِ] ایّ فائدة لکم فی ان لاتا کلوا ممّا ذکر اسم اللّه علیه .

[وَ قَدْ] اباحه لکم [فَصَّلَ لَکُمْ ماٰ حَرَّمَ عَلَیْکُمْ] بالذّات ممّا سبق فی اوّل سورة المائدة فی آیة تحریم الدّم و المیتة (الی آخرها) و ما حرّم علیکم بالعرض من الصّید حین الاحرام و ما لم یذکر اسم اللّه علیه و ما ذکر اسم غیراللّه علیه، و قریء فـصّل بـالبناء للـفاعل و حـرّم بـالبناء المفعول، و قریء فیهما بالبناء للفاعل و بالبناء للمفعول .

[اِلاّٰ مَا اضْطُرِرْتُمْ اِلَیْهِ] استثناء من المستتر فی حـرّم او مـن المقدّر بعده عائداً للموصول.

[وَ اِنَّ کَثیراً لَیُضِلُّونَ بِاَهْوٰائِهِمْ بِغَیْرِ عِلْمٍ] عطف علی ما حرّم باعتبار جواز تعلیق الفعل الغیر القلبیّ او بتضمین فصّل معنی اعـلم او حال متعلّق باجزاء جملة مالکم ان لاتأ کلوا (الی آخرها) او باجزاء جملة قد فصّل (الی آخرها).

[اِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ] استيناف جواب للسّؤال عن علمه تعالى بهم و وضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بأنّهم فى اضلالهم معتدون و انّه تعالى كما يعلمهم يعلم اعتداءهم و تجاوز هم عن حدود اللّه و قد أخبركم بتجاوزهم فلا تبالوا بما قالوا فى حرمة الذّبيحة و الميتة و حلّيّتهما و ائتمروا بأمراللّه.

[وَ ذَرُوا ظاهِرَ الْاِثْمِ وَ باطِنَهُ] من قبيل اضافة الصّنف الى النّوع او اضافة جهتى الشّيء الواحد اليه او جزئى الشّيء المركّب اليه.

اعلم، انّ الانسان اعنى اللّطيفة السّيّارة الانسانيّة واقع بين عالمى النّور و الظّلمة و الاطلاق و التّقييد و الوحدة و الكثرة و الملائكة و الجّنة، و وجوده يكون دائماً فى الخروج من القوّة الى الفعل مثل سائر الكائنات.

و هذا معنى قولهم: الكون فى التّرقّى فاذا كان افعاله و اقواله و علومه و عقائده و خطراته و خيالاته ناشيةً من توجّهه الى عالم النّور، او قرينة لذلك التّوجّه كان خروجه من القوّة اليه فعليّة النّور و من التّقييد الى الاطلاق و من الظّلمة الى النّور و كانت هذه منه طاعة و مرضيّة و عبادة، و اذا كانت تلك ناشية من توجّهه الى عالم الظّلمة او قرينه لغفلته عن اللّه تعالى و عن عالم النّور كان خروجه من القوّة الى فعليّة الظّلمة و من الاطلاق الى التقييّد و من النّور الى الظّلمة، و كانت هذه منه اثماً و ذنباً و معصية سواء كانت بصورة الطّاعات او لم تكن.

و الى هذا اشار الصّادق (عليه السلام) بقوله: من كان ذاكراً للّه على

الحقيقة فهو مطيع و من كان غافلاً عنه فهو عاصٍ، و الطّاعة علامة الهداية و المعصية علامة الضلالة و اصلهما من الذّكر و الغفلة.

و قوله تعالى: اَللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمٰاتِ اِلَى النُّورِ (الى آخر الآية) اشارة الى انّ الايمان يقتضى التّوجّه الى عالم النّور، و ذلك التّوجّه تقتضى الخروج من القوّة الى فعليّة النّور والكفر بعكس ذلك وانَّ الانسان اذا تمكّن فى التّوجّه الى عالم الظّلمة صار متجوهراً بالظّلمة و اصلا لكلّ الظّلمات و متحقّقاً بالاثم و اصلاً لكلّ الآثام، و اذا تمكّن فى التّوجّه الى عالم النّور صار متجوهراً بالنّور و اصلاً لكلّ الانوار بعد نور الانوار.

و لذلك كان محمّد (صلّى الله عليه وآله) و علىّ (عليه السلام) اصلاً لكلّ حسن و اليهما يرجع حسن كلّ حسن، و اذا لم يتمكّن فى شيءٍ منهما فامّا ان ينضّم توجّهه الفطرىّ الى التّوجّه الاختيارىّ بالبيعة العامّة او الخاصّة الصّحيحة او الفاسدة او لاينضّم، و كلٌّ من الثّلاثة ما صدر منه من حيث التّوجّه الفطرىّ او الاختيارىّ الى عالم النّور كان حسناً و صواباً، و ما صدر من حيث التّوجّه الى عالم الظّلمة كان اثماً و ذنباً.

اذا عرفت هذا، فصحّ تفسير ظاهر الاثم بالاوّل وباطنه بالثّانى علىّ (عليه السلام) و بالزّنا الظّاهر و الزّنا الخفىّ و بنكاح زوجة الاب و الزّنا و بأعمال الجوارح السّيّئة و العقائد و الرّذائل و الخيالات و الخطرات و العزمات و النّيّات، و باتّباع مخالفى علىٍّ (عليه السلام) و المنافقين معه و بالسّيّئات الشّرعيّة و صور الحسنات الشّرعيّة الفاسدة، و المقصود منه

النّهى عن متابعة المخالفين و المنافقين و عن ارتكاب ما ينشأ عن متابعتهما كائناً ما كان كما انّ المقصود ممّا يأتى الامر بمتابعة محمّد (صلى الله عليه وآله) و علىّ (عليه السلام) المشاراليه بقوله تعالى فمن كان ميتاً فأحييناه (الآية).

[اِنَّ الَّذينَ يَكْسِبُونَ الْاِثْمَ] يحصّلون ما ينشأمن متابعتهما [سَيُجْزَوْنَ بِما كانُوا يَقْتَرِفُونَ] الاقتراف الاكتساب او فعل الاثم و هو فى موضع تعليل للاوّل.

[وَ لا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ] تصريح بالمفهوم تسجيلاً و تاكيداً ،[وَ اِنَّهُ لَفِسْقٌ] يعنى مالم يذكر اسم اللّه عليه خارج عن الحقّ كائناً ما كان و هو عطف على محذوف، و التّقدير انّه اثم او حرام او مثل ذلك و انّه لفسق او حال .

[وَ اِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ اِلى اَوْلِيائِهِمْ] من الكفّار [لِيُجادِلُوكُمْ وَ اِنْ اَطَعْتُمُوهُمْ] فى قولهم انّكم تاكلون ماتقتلون بانفسكم و لاتاكلون ما قتله اللّه و ان اطعتموهم مطلقاً فى هذا او غيره [اِنَّكُمْ] بتقدير الفاء و انّما حسن حذفه لكون الشّرط ماضياً مضعفاً لحكم الشّرط [لَمُشْرِكُونَ] فانّ الاشراك هو طاعة غيرمن نصبه اللّه للطّاعة، و المقصود انّ شياطين الجنّ ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم فى علىّ(عليه السلام) او شياطين الانس ليوحون الى اتباعهم ليجادلوكم فى علىّ(عليه السلام) باظهار مايرى انّها مثالب لعلىّ (عليه السلام) و ان اطعتموهم صرتم مشركين باللّه بواسطة الاشراك فى الولاية.

[اَوَمَنْ كانَ مَيْتاً] عن الحيوة الانسانيّة و ان كان حيّاً بالحيوة الحيوانيّة [فَاَحْيَيْناهُ] بالحيوة الانسانيّة بقبول الدّعوة النّبويّة و البيعة العامّة او باستعداد قبول الولاية و استحقاق البيعة الخاصّة.

[وَجَعَلْنالَهُ نُوراً] اماماً او ايتماماً بامام منّا [يَمْشي بِهِ] بسببه او معه [فِى النّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ] المثل بالتّحريك و المثل بالكسر و المثيل كامير الشّبيه، و المثل بالتّحريك الحجّة و الحديث و الصّفة و المعنى كمن هو شبيه من احينياه حالكونه.

[فِى الظُّلُماتِ] او كمن شبيهه ثابت فى الظّلمات او كمن حديثه او صفته ثابتة فى الظّلمات، او كمن صفته البقاء فى الظّلمات سواء كان حيّاً بالحيوة الانسانيّه و قبول الدّعوة النّبويّة و لم يكن له نورٌ او لم يكن حيّاً فضلاً عن النّور.

[لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها] عن الباقر (عليه السلام) الميت الّذى لايعرف هذا الشّأن يعنى هذا الامر.

و اقول: المراد به الولاية اى الدّعوة الباطنة و قبولها و البيعة لها و قال (عليه السلام) جعلنا له نوراً اماماً يأتمّ به يعنى علىّ بن ابى طالب(عليه السلام) كمن مثله فى الظّلمات قال (عليه السلام) بيده هذا الخلق الّذين لايعرفون شيئاً.

و بهذا المضمون اخبار كثيرة، و يستفاد من هذا الخبر انّ المراد بالميّت غير العارف بأمر الولاية سواء كان عارفاً بامر النّبوّة او لم يكن، و الحيوة معرفة امر الولايه بقبول الدّعوة الباطنة فانّه لا يتصوّر معرفة هذا الامر الاّ بالبيعة الخاصّة الولويّة و قبول الدعوة الولويّة، و المراد بالنّور

امّا نفس قبول الدّعوة و البيعه او الامام الظاهر عليه بشريّته، او المراد بالنّور الامر الدّاخل فى القلب بالبيعة الخاصّة او المراد به ملكوت الامام الظّاهر على السّالك فانّه به يحصل معرفة الامام بالنّورانيّة.

[كَذٰلِكَ] التّزيين الّذى زيّنّا لمن مثله فى الظّلمات [زُيِّنَ لِلْكٰافِرِينَ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ] فى ظلمات جهالاتهم محجوبين عن امر الولايه و ضالّين عنه، [وَ كَذٰلِكَ] اى مثل ما جعلنا فى قريتك اكابر مجرميها [جَعَلْنٰا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ اَكٰابِرَ مُجْرِمِيهٰا لِيَمْكُرُوا فِيهٰا] لتخليص المومنين و تمييز المنافقين عنهم.

[وَ مٰا يَمْكُرُونَ] فى مكر الانبياء و المومنين [إِلّٰا بِاَنْفُسِهِمْ] لانّهم فى مكرهم يخرجون اوّلاً انفسهم من حدّ الاعتدال و التّوجّه الى كمالها الى حدّ التّفريط و التّوجّه الى نقصانها [وَ مٰا يَشْعُرُونَ] انّ المكر فى الحقيقة بأنفسهم.

[وَ إِذٰا جٰاءَتْهُمْ آيَةٌ] بيان لمكرهم او تعنّت آخرلهم [قٰالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتّٰى نُؤْتىٰ مِثْلَ مٰا اُوتِيَ رُسُلُ اللّٰهِ اَللّٰهُ اَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسٰالَتَهُ] و هذا ردٌّ عليهم بانّ الرّسالة ليست بالاية و لا بالنّسب و الحسب و المال بل بعلم اللّه بمحلّه و صلاح محلّه و بمشيّته و حيث مفعولٌ به ليعلم المقدّر، او بتقدير افعل التّفضّل بمعنى اسم الفاعل لعدم جواز تعدية اسم التّفضيل الى المفعول به.

[سَيُصِيبُ الَّذِينَ اَجْرَمُوا صَغٰارٌ] فى الدّنيا اى ذلّة و هوان كما اصابهم يوم بدرٍ و يوم فتح مكّة [عِنْدَ اللّٰهِ] اى عند مظاهره او فى الاخرة

عنده [وَ عَذٰابٌ شَديدٌ] فى الاخرة [بِمٰا كٰانُوا يَمْكُرُونَ فَمَنْ يُرِدِ اللّٰهُ اَنْ يَهْدِيَهُ] الى الرّسالة الّتى جعلها حيث يشاء [يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْاِسْلاٰمِ] الصّدر محلّ الاسلام و محلّ قبول الرّسالة و احكامها باعتبار وجهه الى القلب كما انّه محلّ الكفر و قبول احكام الشّيطان باعتبار وجهه الى الحيوانيّة و الطّبع، و شرحه عبارة عن استعداده لقبول احكام كلّ من الطّرفين بجهتيه فشرحه للاسلام كمال استعداده لقبول مايرد عليه ممّا يوجّهه الى القلب، و شرحه للكفر عبارة عن كمال استعداده لقبول ما يرد عليه ممّا يوجّهه الى الشّيطان و الى اهويتها، و ارادة اللّه للهداية و الاضلال مسبوقة بحسن استعداد العبد و اختياره او سوء استعداده و اختياره فلاجبر كما انّه لا تفويض، و قد سبق تحقيق هذا المطلب فى سورة البقرة عند قوله و لكنّ اللّه يفعل ما يريد و لمّا كان شرح الصّدر للاسلام عباره عن توجّه النّفس الى القلب و انصرافها عن جهة الدّنيا.

ورد عن النّبىّ (ﷺ) حين سئل: هل لذلك من امارة يعرف بها؟

انّه قال : نعم الانابة الى دارالخلود، و التّجافى عن دار الغرور، و الاستعداد للموت قبل نزول الموت.

[وَ مَنْ يُرِدْ اَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً] عن قبول ما يوجّهه الى جهة القلب، و الضّيق الّذى بقى له منفذ و الحرج و قرء بكسر الحاء الّذى لامنفذ فيه كما فى الخبر [كَاَنَّمٰا يَصَّعَّدُ فِى السَّمٰاءِ] فى قبول الرّسالة و الاسلام.

[كَذٰلِكَ] كما يجعل الشّك و الضّيق على من يريد ان يضلّه [يَجْعَلُ اللّٰهُ الرِّجْسَ] بكسر الرّاء و فتحها و كسر الجيم و بالتّحريك القذر و المأثم و كلّ ما استقذر من العمل و الشّك و العقاب [عَلَى الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ وَ هٰذٰا] الّذى ذكر من جعل صدر بعض منشرحاً للاسلام و بعضٍ ضيّقاً [صِرٰاطُ رَبِّكَ] سنّة ربّك [مُسْتَقِيماً] غيرمنحرفٍ فى الارادتين عن ميزان الاستعدادين فانّ الارادتين بقدر استعدادهما و استحقاقهما.

او هذا الّذى انت عليه من الولاية الّتى هى روح نبوّتك و رسالتك صراط ربّك مستقيماً فانّه افراط فيها و لا تفريط.

[قَدْ فَصَّلْنَا الْآيٰاتِ] التّدوينيّة فى بيان الآيات التّكوينيّة الواردة فى صدور النّاس بحسب استعداداتهم المختلفة او الآيات التكوينيّة مطلقة بالآيات التّدوينيّة [لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ] يتذكّرون اشارة الى انّ الذّاكر باللّسان فقط لايتنبّه لتلك الآيات بل الذّاكر باللّسان و الرّاجع الى الجنان يتنبّه لها فانّ الانسان مالم يرجع الى باطنه و لم ينظر ببصيرته الى حالاته الواردة عليه لايميّز بين ضيق الصّدر و شرحه او بين مطلق الايات العلويّة و السّفلية، و الرّاجع الى نفسه يميّز بين الواردات فيتوب عمّا يؤذيه و ينيب الى ما ينفعه فيكون [لَهُمْ دٰارُ السَّلاٰمِ عِنْدَ رَبِّهِمْ] اى دارالسّلامة عن الافات اودار اللّه الّتى اعطاها ايّاهم [وَ هُوَ وَلِيُّهُمْ] لما انقطعوا عن غيره و توسّلوا به.

[بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ] من الفرار عمّا يبعّدهم و العمل بما يقرّبهم

[وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً] بتقدير اذكر او ذكّر او نقول و الضّمير للثّقلين.

[يا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْاِنْسِ] استكثره الماء ارادمنه ماءً كثيراً و استكثر من الشّيء رغب فى الكثير منه و المعنى طلبتم كثيراً منهم او رغبتم فى الكثير منهم فجعلتموهم من سنخكم او اتباعكم.

[وَ قالَ اَوْلِياؤُهُمْ مِنَ الْاِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ] استمتاع الانس من الجنّ باتّباعهم فى الالتذاذ بالشّهوات و استمتاع الجنّ من الانس بحصول مرادهم منهم من اغوائهم و تمكّنهم منهم فى الامر و النّهى قالوها تحسّراً و اعترافاً:[وَ بَلَغْنا اَجَلَنَا الَّذي اَجَّلْتَ لَنا] من القيامة او من امد الحياة [قالَ] اللّه النّار لهم :[اَلنّارُ مَثْويٰكُمْ خالِدينَ فيها اِلّا ماشاءَاللّٰهُ] قبل دخول النّار حتّى لاينافى مادّة العامل فى الاستثناء او الاّ ماشاء لمن يشاء بناء على خروج بعض من النّار، و بعض من قال بانقطاع العذاب لكلّ احد تمسّك بامثال هذه الاية من النّقليّات بعد التّوسّل بالعقليّات.

[اِنَّ رَبَّكَ حَكيمٌ] فى عقوبة المعاقب لا يظلم احداً[عَليمٌ] بقدر استحقاقه.

[وَ كَذٰلِكَ] مثل مانولّى بعض الانس بعض الجنّ فى الدّنيا او فى القيامة [نُوَلّي بَعْضَ الظّالِمينَ بَعْضاً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ] بالسّنخيّة الّتى يكسبونها باعمالهم السّيّئةاى نصرف وجوه بعضٍ الى بعضٍ

ونتركهم و نصرف وجوههم عن اوليائى، او المعنى نولّى بعض الظّالمين بعضاً للانتقام منهم كما اشير اليه فى الخبر.

[يٰا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْاِنْسِ] بتقدير القول حالاً او مستأنفاً [اَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ] من وجودكم فى عالمكم الصّغير او من سنخكم فى العالم الكبير و هو توبيخ لهم، و قدورد انّ اللّه قد بعث من الجنّ رسولاً اليهم، و رسالة رسولنا (صلى الله عليه وآله) كان الى الانس و الجنّ كما ورد فى الاخبار.

[يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ اٰيٰاتي وَ يُنْذِرُونَكُمْ لِقٰاءَ يَوْمِكُمْ هٰذٰا قٰالُوا] اعترافاً بتقصيرهم [شَهِدْنٰا عَلٰى اَنْفُسِنٰا] لمّا لم يجدوا مفرّاً اقرّوا [وَ غَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيٰا وَ شَهِدُوا عَلٰى اَنْفُسِهِمْ اَنَّهُمْ كٰانُوا كٰافِرِينَ] عطف على قالوا [ذٰلِكَ] اى ارسال الرّسل و قصّ الايات والانذار من يوم القيامة .

[اَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرٰى بِظُلْمٍ] منه من دون اتمام الحجّة او بظلمهم لانفسهم او لغيرهم ،[وَ اَهْلُهٰا غٰافِلُونَ] غيرمتذكّرين لثواب و عقاب [وَ لِكُلٍّ] من افراد الجنّ و الانس محسناً كان او مسيئاً او من اصناف المحسن و المسيء او من جنس المحسن و جنس المسيء [دَرَجٰاتٌ] فى العلوّ و العالم العلويّ و فى النّزول و العالم السّفليّ، و الدّرجة بالضمّ و السّكون و بالتّحريك و كهمزة المرقاة و اذا اعتبرفيها الارتقاء كان تسمية دركات المسيء بالدّرجات من باب التّغليب او باعتبارها من الاسفل فانّ الاسفل بالنّسبة الى ما فوقه درجة.

[مِمّٰا عَمِلُوا] اى هى عبارة ممّا عملوا على تجسّم الاعمال او

ناشئة ممّا عملوا، و ما موصولة او موصوفة او مصدريّة [وَ مٰا رَبُّكَ بِغٰافِلٍ عَمّٰا يَعْمَلُونَ] قرىء بالخطاب و بالغيبة و المقصود انّ درجات اعمال العباد ظاهرة عنده و هو غير غافلٍ عنها فيرفع كلّاً و ينزل بقدر درجات اعماله و دركاتها .

[وَ رَبُّكَ الْغَنِىُّ ذُوالرَّحْمَةِ] جمع بين المتقابلين من صفاته من القهر و اللّطف و التّنزيه و التّشبيه وعداً و وعيداً .

[اِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ] باقتضاء غناه و عدم حاجته لكن يبقيكم مدّة لتستكملوا فيها باقتضاء رحمته [وَ يَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مٰا يَشٰاءُ] الاتيان بما للاشارة الى كمال قدرته بحيث لوارادان يستخلف منكم غيرذوى العقول كان قادراً فضلاً عمّن هو من سنخكم و باعدادكم نطفهم و مادّتهم لقبول صورة الانسان .

[كَمٰا اَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ اٰخَرِينَ] فى زيادة الذّريّة اشارة الى انّ هذا كان مستمرّاً [اِنَّ مٰا تُوعَدُونَ لَاٰتٍ] لمّا لم يقتض الشّرط وضع المقدّم صار المقام مظنّة السّؤال عن وقوع المقدّم فاجاب بانّ ماتوعدون من مشيّة الاذهاب و الاستخلاف واقع.

[وَ مٰا اَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ] له عن الاذهاب [قُلْ] تهديداً لهم [يٰا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلٰى مَكٰانَتِكُمْ] قرىء مكاناتكم حيثما وقع اى حالكونكم ثابتين على مقامكم و مكانكم فى الكفر او مشتملين على غايه تمكّنكم فانّ المكانة كالمكان بمعنى المقام او من الّتمكّن بمعنى الاستطاعة [اِنّي عٰامِلٌ] على مرتبتى فى التّوحيد و الاسلام.

[فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُون لَهُ عٰاقِبَةُ الدّٰارِ] امّا استفهام علّق الفعل عنه، او استفهام منقطع عن سابقه، او موصول مفعول لتعلمون و على ايّ تقدير فالمقصود بقرينة المقام انّكم سوف تعلمون انّ لنا عاقبة الدّار و لذا علّله بقوله.

[اِنَّهُ لٰا يُفْلِحُ الظّٰالِمُونَ] كأنّه قال لانّكم ظالمون و لاعاقبة محمودة للظّالم او هو من قول اللّه تعليلاً للامراى قل لهم ذلك لانّهم ظالمون و الظّالم لايفلح بحجّة.

[وَ جَعَلُوا لِلّٰهِ] بيانٌ لظلمهم و عطف باعتبار المعنى اى انّهم ظلموا و جعلوااللّه [مِمّٰا ذَرَاَ] اى خلق .

[مِنَ الْحَرْثِ وَ الْاَنْعٰامِ نَصِيباً فَقٰالُوا هٰذٰا لِلّٰهِ بِزَعْمِهِمْ] من غير حجّةٍ و سلطانٍ [وَ هٰذٰا لِشُرَكٰائِنٰا] يعنى اصنامهم.

[فَمٰا كٰانَ لِشُرَكٰائِهِمْ فَلاٰ يَصِلُ اِلَى اللّٰهِ] لانّ الوصول الى اللّه لايكون الاّ اذا كان الصّدور ايضاً من اللّه و ليس لهم لطيفة آلهيّة تصيرسبباً لان يكون الصّدور من اللّه .

[وَ مٰا كٰانَ لِلّٰهِ فَهُوَ يَصِلُ اِلىٰ شُرَكٰائِهِمْ] لما ذكر [سٰاءَ مٰايَحْكُمُونَ] بتشريك المخلوق للخالق و جعل النّصيب من المخلوق للخالق من غير امرٍ منه، روى انّهم كانوا يعيّنون شيئاً من حرثٍ و نتاجٍ للّه و يصرفونه الى الصّبيان و المساكين و شيئاً منهما لالهتهم و ينفقونه على سدنتها و يذبحون عندها، ثمّ ان رأوا ما عيّنوا اللّه ازكى بدّلوه بما لالهتهم، و ان رأوا ما لآلهتهم ازكى تركوه لها حبّاً لآلهتهم و اعتلّوا لذلك

بانّ اللّه غنیٌّ.

اعلم، انّ فی الانسان لطیفة آلهیّة تسمّی عقلاً و عقل المعاش طلیعة منه و هو المتصرّف و الحاکم من اللّه فی وجوده، ولطیفة شیطانیّة تتصرّف فیه و تحکم علیه و الاوّل هو الاله فی العالم الصّغیر و الثّانی هو الشّیطان فی العالم الصّغیر، و الانسان واقع بین الحاکمین و الغرض من تکلیف الانسان بالاعمال الشّرعیّة خلاصه من حکومة الشّیطان و دخوله تحت حکومة اللّه و خلوص حکومته، فمن أخلص نفسه لقبول حکومة اللّه فهو مؤمنٌ موحّدٌ و من اخلص نفسه لحکومة الشّیطان فهو کافرٌ بل هو شیطان مرید.

و من أشرك بین الحکومتین فهو مشرك موزّع لجملة اعماله و مکاسبه علیهما، و لمّا کان اللّه تعالی شأنه أغنی الشّرکاء فما کان لشریکه فلا یصل الی الله، و ما کان للّه فهو یصل الی شریکه، لانّ الشّیطان مادام له حکومة ما فی وجود الانسان فکلّما عمل للّه یداخله الشّیطان قبل العمل او حینه او بعده من مداخل خفیّةٍ، حتّی یجعل نفسه شریکاً لّلطیفة الآلهیّة، و لمّا کان اللّه اغنی الشّرکاء یترك ما جعل ما بشراکة غیره الی الشّریك فما کان خالصاً للشّریك کان له و ما کان للّه یدعه اللّه للشّریك، و فی لفظ ذرأ اشارة الی کمال سفاهتهم حیث جعلوا اللّه ممّا خلقه نصیباً له و الخالق اقوی مالك لمخلوقه.

[وَ کَذٰلِكَ] ای مثل تزیین جعل النّصیب للّه من مخلوقاته [زَیَّنَ لِکَثیرٍ مِنَ الْمُشْرِکینَ قَتْلَ اَوْلاٰدِهِمْ شُرَکٰاؤُهُمْ] و هم الّذین کانوا

یرتکبون قتل اولادهم او وأدهم للعار اولخوف العیلة اوللاصنام و قریء زیّن مجهولاً و قتل بالرّفع و اولادهم بالنصب وشرکاؤهم بالجرّ بناءً علی توسّط المفعول بین المضاف و المضاف الیه، و قریء زیّن مجهولاً و قتل بالرّفع و اولادهم بالجرّ و شرکاؤهم بالرّفع، علی ان یکون شرکاؤهم فاعل القتل، و قریء زیّن معلوماً و قتل بالنّصب و اولادهم بالجرّ و شرکاؤهم بالرّفع، و حینئذٍ یکون فاعل زیّن ضمیراً راجعاً الی اللّه و شرکاؤهم فاعلاً للمصدر او شرکاؤهم فاعل زیّن و فاعل المصدر محذوف یعنی المشرکین او شرکاؤهم متنازع فیه لزیّن و للمصدر، و تعمیم القتل و الاولاد و الشّرکاء لما فی الکبیر و الصغیر یناسب کون شرکاؤهم فاعلاً للمصدر او متنازعاً فیه.

[لِیُرْدُوهُمْ] لیهلکوهم بالاغواء عن الحیوة الانسانیّة [وَ لِیَلْبِسُوا عَلَیْهِمْ] لیخلطوا علیهم [دِینَهُمْ] الفطریّ الّذی کانوا علیه بحسب الفطرة من التّوجّه الی الآخرة و التّوحید او طریقتهم الّتی کانوا علیها، آلهیّةً کانت او شیطانیّةً حتّی لایستقیموا علی تلك الطّریقة الّتی یسمّونها دیناً.

[وَ لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ مٰا فَعَلُوهُ] تسلیة للرّسول (صلی الله علیه وآله) بصرف نظره عن صورة افعالهم الی السّبب الاصلیّ لها، حتّی لایضیق صدره بما فعلوا و لایتحسّر علیهم [فَذَرْهُمْ وَ مٰا یَفْتَرُونَ] تسکین له (صلی الله علیه وآله) عن تعب الدّعوة و الاهتمام بمنعهم من شنائع اعمالهم.

[وَ قٰالُوا] بیان لظلم آخر منهم [هٰذِهِ] الانعام و الحرث [اَنْعٰامٌ وَ

حَرْثٌ حِجْرٌ] الحجر بتثليث الحاء المنع والحرام.

[لٰا یَطْعَمُهٰا اِلّٰا مَنْ نَشٰاءُ] یعنی من نشاء بالمواضعة الّتی بیننا و فیه تعییرٌ لهم، بانّ حکمهم لیس الاّ بمقتضی اهویتهم کانوا یمنعون غیر خدّام الاصنام من اکلها[بِزَعْمِهِمْ] متعلّق بقالوا یعنی قالوه بزعمهم من غیر حجّة من اللّه.

[وَ اَنْعٰامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهٰا] یعنی البحیرة و السّائبة و الوصیلة و الحام، [وَ اَنْعٰامٌ] عطف علی انعام ای قالواهذه انعام لاینبغی ان یذکر اسم اللّه علیها، او ابتداء کلام من اللّه و الجملة معطوفة علی قالوا ای لهم انعام او انعام اخر.

[لٰا یَذْکُرُونَ اسْمَ اللّٰهِ عَلَیْهَا] فی الذّبح و النّحر اولا یحجّون علیها یحرّمون ذکر اسم اللّه بالتلبیة علیها.

[افْتِرٰاءً عَلَیْهِ سَیَجْزِیهِمْ بِمٰا کٰانُوا یَفْتَرُونَ وَ قٰالُوا] وجه آخر لظلمهم و انحرافهم عن الحقّ و استبدادهم برأیهم من غیر حجّةٍ.

[مٰا فِي بُطُونِ هٰذِهِ الْاَنْعٰامِ خٰالِصَةٌ] قریء بالتأنیث و التّذکیر مرفوعاً و منصوباً فی کلا الحالین، و التأنیث باعتبار معنی ما، و هی الاجنّة، او التّاء فیه للمبالغة او هو مصدرٌ کالعافیة.

[لِذُکُورِنٰا وَ مُحَرَّمٌ عَلٰی اَزْوٰاجِنٰا وَ اِنْ یَکُنْ مَیْتَةً فَهُمْ فِیهِ شُرَکٰاءُ] کانوا یحرّمون الجنین الّذی یخرجونه من بطون الانعام المفصّلة السّابقه حیّاً علی النّساء فاذاکان میتاً یأکله الرّجال و النّساء علی السّواء.

و قیل: المراد بما فی بطونها البانها، و قیل: المراد الالبان و الاجنّة

كلتاهما.

[سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ] اى جزاء وصفهم هذا او نفس وصفهم على تجسّم الاعمال [اِنَّهُ حَكِيمٌ] يعطى حقّ كلّ ذى حقّ من الخير و الشّرّ [عَلِيمٌ] بمقادير استحقاقاتهم.

[قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا اَوْلادَهُمْ] تصريح بخسرانهم و ضلالهم بعد التلويح تاكيداً و تفضيحاً، قيل: كانوا يقتلون الاولاد للاصنام و يقتلون بناتهم مخافة العار و السبى و العيلة [سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ] بانّ اللّه رازق لاولادهم و انّه خالقهم لمصلحة النّظام [وَ حَرَّمُوا ما رَزَقَهُمُ اللّٰهُ] من الانعام السّالفة على انفسهم او على غيرهم من النّساء او حرّموا ما رزقهم اللّه من الاولاد فانّهم نعمة ايضاً رزقهم اللّه.

[افْتِراءً عَلَى اللّٰهِ] صرّح هنا بالافتراء تأكيداً لما سلف.

[قَدْ ضَلُّوا وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ] الى امر الحقّ تعالى و ابتغاء رضاه [وَ هُوَ الَّذِي اَنْشَأَ جَنّاتٍ] مشتملات على الاشجار المثمرة من الكروم و غيرها [مَعْرُوشاتٍ] مرفوعات على اصولها كالاشجار الّتى لها اصول او على ما يحملها كالكروم الّتى تحمل على غيرها [وَ غَيْرَ مَعْرُوشاتٍ] كالّتى تلقى على وجه الارض من الكروم.

[وَ النَّخْلَ وَ الزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ] اكل ذلك المذكور من الاثمار و الحبوب و البقول فى الشّكل و اللّون و الطّعم و الرّائحة و النّوع و الجنس مع اتّفاقها فى الارض و الماء [وَ الزَّيْتُونَ وَ الرُّمّانَ مُتَشابِهاً] فى المذكورات [وَ غَيْرَ مُتَشابِهٍ] قائلاً [كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ] على ألسنة الانبياء

(عليهم السلام) و الاولياء (عليهم السلام) ترخيصاً لكم فى التّصرّف قبل اخراج حقوقه او قائلاً بلسان الحال حيث اباحه لكم.

[اِذٰا اَثْمَرَ] و المراد بالّثمر مطلق ما يحصل منها من المنافع حتّى يدخل فيه ثمر الزّرع [وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصٰادِهِ] اى حقّه المفروض بناءً على وجوب الاداء اوّل وقت الامكان او حقّه المسنون من التّصدّقات على السّائلين و هكذا فسّرت فى الاخبار.

فعن الصّادق (عليه السلام): فى الزّرع حقّان حقّ تؤخذ به و حقّ تعطيه، امّا الّذى تؤخذ به فالعشر و نصف العشر، و امّا الّذى تعطيه فقول اللّه تعالى عزّوجلّ: و آتوا حقّه يوم حصاده فالضّغث تعطيه ثمّ الضّغث حتّى تفرغ و يؤيّد كون المراد هو الحقّ المسنون.

قوله تعالى:[وَ لاٰ تُسْرِفُوا] فانّ المفروض لا يتصوّر السّرف فيه بخلاف المسنون [اِنَّهُ لاٰ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ] عن الرّضا (عليه السلام) انّه سئل عن هذه الآية فقال كان ابى يقول: من الاسراف فى الحصاد و الجذاذ ان يتصدّق الرّجل بكيفيّه جميعاً، و كان ابى اذا حضر شيئاً من هذا فرأى احداً من غلمانه يتصدّق بكفيّه صاح به: اعط بيدٍ واحدة.

[وَ] انشأ [مِنَ الْاَنْعٰامِ حَمُولَةً] ما يحمل الاثقال [وَ فَرْشاً] من شعرها و صوفها و برها قائلاً: [كُلُوا مِمّٰا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ]من لحومها و البانها و لاتحرّموا شيئاً ممّا اباحه اللّه لكم منها .

[وَ لاٰ تَتَّبِعُوا خُطُوٰاتِ الشَّيْطٰانِ] بالاسراف فيما اباحه اللّه لكم و التّجاوز الى تحريم ما احلّه اللّه و تحليل ما حرّمه منها و قد سبق فى

سورة البقرة تحقيق و تفصيل لخطوات الشّيطان و الاية تكون كسابقها اشارةً الى التّوسّط بين الافراط و التّفريط.

[اِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ثَمٰانِيَةَ اَزْوٰاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اِثْنِينِ] الاهلىّ و الوحشىّ [وَ مَنِ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ] كذلك [قُلْ آلذَّكَرَيْنِ] من الجنسين [حَرَّمَ] اللّه [اَمِ الْاُنْثَيَيْنِ] من الجنسين.

[اَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ اَرْحٰامُ الْاُنْثَيَيْنِ] اى الجنين من الجنسين ذكراً كان او انثى [نَبِّؤُنى بِعِلْمٍ] لابظنّ و هوى و خديعة من النّفس او بما به يحصل العلم بانّ اللّه حرّم شيئاً من ذلك او بأمر معلوم مقطوع به لكم [اِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ] فى دعويكم حرمة شيءٍ من ذلك.

[وَ مِنَ الْاِبِلِ اثْنَيْنِ] العراب و البخاتى [وَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ] الاهلىّ و الوحشىّ [قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ اَم الْاُنْثَيَيْنِ اَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ اَرْحٰامُ الْاُنْثَيَيْنِ] و المقصود انكار تحريم شيءٍ منها و الزامهم انّ قولهم بحرمة الذّكور منها تارة و الاناث اخرى و الاجنّة اخرى كماسبق ليس عن علم و حجّة بل محض تخمين و ظنّ من انفسهم.

[اَمْ كُنْتُمْ شُهَدٰاءَ] حاضرين [اِذْ وَصّٰيكُمُ اللّٰهُ بِهٰذٰا] يعنى امثال ذلك امّا ان يعلم ببرهان فيمكن اعلام الغير بذلك البرهان، او يعلم بشهود و سماع حتّى يكون عن علمٍ و ان لم يكن اعلام الغير به، و لمّا لم يكن لكم برهان و لاشهود لم يكن حكمكم هذا الاّ محض افتراءٍ على اللّه فلفظة ام و ان كانت منقطعة لكنّها معادله لقوله نبّؤنى بعلمٍ باعتبار المعنى يعنى الكم برهان ام كنتم شهداء.

[فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِباً] تقريع على ما تقدّم باعتبار ثبوت الافتراء اوجزاء لشرطٍ مقدّرٍ بهذا الاعتبار، يعنى اذا لم يكن لكم برهان و علم كمال دلّ عليه نبّؤنى بعلم و لم تكونوا شهداء كما دلّ عليه قوله:ام كنتم شهداء فانتم مفترون و لا اظلم ممّن افترى على اللّه فهو اشارة الى نتيجة قياس مستفاد من سابقه والى قياس اخر منتج اى انتم لاعلم لكم و لاشهود، و كلّ من لاعلم له و لاشهود فى قوله فهو مفتر، و كلّ مفترلااظلم منه فانتم لا اظلم منكم.

[لِيُضِلَّ النّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ اِنَّ اللّٰهَ لٰا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ] و هذا الّذى ذكر من تفسير الازواج بماذكر هو الّذى ورد فى الاخبار و لمّا امراللّه تعالى نبيّه (صلّى الله عليه وآله) بالسّؤال عن حرمة شيءٍ من الازواج و عن البرهان عليها او الشّهود بها امره ان يجيب:بانّ طريق العلم امّا برهان او شهود و هما منتفيان عنكم كما سبق و امّا وحى بتوسّط سفراءاللّه و ملائكته او تقليد لصاحب الوحى و انتم اهله و انا اهل ذلك الوحى و مدّع له، لا انتم لعدم ادّعائكم ذلك و اعترافكم بانّكم لستم اهلاً للوحى.

فقال :[قُلْ] لهم [لٰا اَجِدُ فِيما اُوحِىَ اِلَىَّ مُحَرَّماً] من هذه الازواج كما تزعمون انّ بعضها محرّم على بعض كما سبق: [عَلٰى طٰاعِمٍ يَطْعَمُهُ] و بهذا التّفسير يندفع عن هذه الاية الاشكال بانّ المحرّمات كثيرة و ماذكر هنا اقلّ قليل منها، و امّا ماذكر فى البقرة فقد سبق هناك ما يندفع به الاشكال عن الآ يتين.

[اِلّٰا اَنْ يَكُونَ] اى الاّ فى حال ان يكون الطّعام [مَيْتَةً] خرج

عنها مقتول الكلاب المعلّمة و المقتول بآلة الصّيد على ما فصّل فى الفقه لانّه فى حكم المذبوح [اَوْ دَماً مَسْفُوحاً] مصبوباً لاالبقيّة الّتى تبقى فى لحوم الذّبائح و هو مجمل تفصيله موكول الى بيانهم و قد فصّل فى الفقه.

[اَوْ لَحْمَ خِنْزيرٍ فَاِنَّهُ رِجْسٌ] بيّن وجه الحرمة فيه لانّ كونه رجساً مخفىّ على آكليه بخلاف سابقيه او الضّمير راجع الى المجموع باعتبار المذكور [اَوْ فِسْقاً اُهِلَّ لِغَيْرِاللّٰهِ بِهِ] سمّى المذبوح للاصنام فسقاً مبالغة و قوله اهلّ لغيراللّه به بيان لعلّة كونه فسقاً.

[فَمَنِ اضْطُرَّ] الى اكل شيءٍ من ذلك [غَيْرَ باٰغٍ] على الامام [وَ لاٰ عاٰدٍ] حدّ الرّخصة و قد مضى فى سورة البقرة تفصيل لهذه الآية [فَاِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحيمٌ] لايؤاخذه و يرحمه بترخصه فى الاكل حفظاً لنفسه.

[وَ عَلَى الَّذينَ هاٰدُوا حَرَّمْناٰ كُلَّ ذى ظُفُرٍ] من الدّوّاب و الطّيور ذكر التّحريم على اليهود بطريق الحصر عقيب هذه الآية و تعقيبه بكونه جزاءً لبغيهم للمنّ على امّة محمّد (ﷺ) و لتهديدهم يؤيّد الاشكال بلزوم حلّيّة ذبيحة كلّ نوع من الحيوان :[وَ مِنَ الْبَقَرِ وَ الْغَنَمِ حَرَّمْناٰ عَلَيْهِمْ شُحُومَهُماٰ اِلّاٰ ماٰ حَمَلَتْ ظُهُورُهُماٰ اَوِ الْحَواٰياٰ] اى ما تعلّق بالامعاء [اَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذٰلِكَ] التّحريم [جَزَيْناٰهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَ اِنّاٰ لَصاٰدِقُونَ] فى الاخبار.

[فَاِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ واٰسِعَةٍ وَ لاٰ يُرَدُّ بَأْسُهُ] لانّه لا مانع له من انفاذه [عَنِ الْقَوْمِ الْمجْرِمينَ] جمع بين شأنى اللّطف و القهر و الارجاء و التّخويف و الوعد و الوعيد تعليماً لمحمّد (ﷺ) و

اوصيائه(عليهم السلام) طريق الدّعوة و تكميلاً له فيها و تثبيتاً له فى الدّعوة بين جهتى الرّضا و السّخط. فانّه لايتمّ الدّعوة الاّ بهما.

فالمعنى فان كذّبوك فلا تخرج عن التّوسّط وعدهم رحمة الرّبّ باضافة الرّبّ اليهم اظهاراً للّطف بهم و قل ربّكم ذو رحمة واسعة فيرحمكم و لا يؤاخذكم بجهالاتكم، و لكن اذا اراد مؤاخذتكم فلا رادّ لمؤاخذته فاحذروها.

[سَيَقُولُ الَّذِينَ اَشْرَكُوا] لرفع القبح عن اشراكهم بل لتحسينه بعد ان عجزوا عن الحجّة [لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ مٰا اَشْرَكْنٰا وَ لاٰ اٰبٰاؤُنٰا وَ لاٰ حَرَّمْنٰا مِنْ شَيْءٍ] كما هو ديدن النّفس و المرأة الفاحشة فانّهما لاترضيان بنسبة السّوء الى انفسهما بل تحسّنان القبيح بما امكن، فاذا عجزتا عن ذلك تنسبانه بالتّسبيب الى غيرهما من الشّيطان و القرين و مشيّة اللّه و هو كذب محض.

فانّ الشّيطان و القرين ليس لهما الاّ الاعداد، و المشيّة و ان كانت فاعلة او سبباً للفعل لكنّ الفاعل مادام يرى نفسه فى البين ليس له نسبة الفعل الى المشيّة او تعليقه عليها ولو نسب لاينبغى الغفلة عن استعداد القابل و بهذا يرتفع التّناقض المترائى بين تكذيبهم فى قولهم هذا و بين تعليق ذلك على المشيّة فى قوله و لوشاءاللّه لهديكم .

[كَذٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] اى مثل تكذيبهم ايّاك بتعليق الاشراك و التّحريم على المشيّة دون نسبته الى انفسهم كذّب الّذين من قبلهم انبياءهم (عليهم السلام) .

[حَتّٰى ذٰاقُوا بَأْسَنٰا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنٰا] يعنى ليس عندكم برهان على دعويكم يمكنكم الاحتجاج به على الغير، و اطلاق العلم على البرهان من قبيل اطلاق المسبّب على السّبب.

او لانّ البرهان هو العلم الّذى يحصل به علم اخر و لمّا كان البرهان هو الّذى يمكن اعلام الغير به قال فتخرجوه لنا فنفى بهذا عنهم البرهان و بقوله :ان تتّبعون (الى آخره) نفى علمهم مطلقاً، يعنى لابرهان لكم و لاشهود و لاسماع عن صادق او وحى و بقوله: قل هلّم شهداءكم نفى صحّة تقليدهم لانّ التحدّى بمثل هذا يدلّ على عدم شاهد لهم يصحّ الاعتماد عليه.

[اِنْ تَتَّبِعُونَ اِلَّا الظَّنَّ وَ اِنْ اَنْتُمْ اِلّٰا تَخْرُصُونَ] يعنى لاعلم لكم فى انفسهم بمدّعاكم كما لابرهان لكم لاعلام غيركم، ذمّهم اوّلاً على اتّباع الظّنّ فى اعمالهم، و ثانياً على انّ شأنهم الخرص و التّخمين لا العلم و اليقين، و العاقل لايقف على الظّنّ و التّخمين بل يتعمّل فى تحصيل العلم و اليقين و مالم يحصل اليقين يقف عن العمل الاّ اذا اضطرّ فيحتاط لا انّه يتّبع الظّنّ فيعمل و يفتى بظنّه من غير اذنٍ و اجازةٍ و لا يحصل اليقين الاّ بالبيان و البرهان، او بادراك مدارك الحيوان، اوبالوحى و العيان، او بتقليد صاحب الوحى و خليفة الرّحمن، فمن ظنّ انّ الظّنّ مطلقاً والاستحسان طريق حكم اللّه او المخطىء له اجرٌ و المصيب له اجران فقد أخطأ طريق الجنان .

و سلك طريق النّيران فمن فسّر القرآن برأيه و احكام اللّه نزول

القرآن فليتبوّء مقعده من النّيران .

و امّا الخاصّة فظنونهم قائمة مقام العلم بل نقول ظنونهم اشرف و اعلى من العلم فقد حقّقنا سابقاً انّ اجازة المجيز اذا كانت الاجازة الصّحيحة بلغت الى المجاز تجعل ظنّ المجاز اشرف من علم غيره لانّ العلم بدون الاجازة لااثر فى قول قائله و الظّنّ مع الاجازة يؤثّر و ليس الاجازة الآلهية بأقلّ من الاجازة الشّيطانيّة، و الحال انّ المرتاضين بالاعمال الشّيطانيّة ان تعلّموا تعلّماً صحيحاً مع تصحيح الالفاظ جميع المناطر لم يؤثّر شىءٌ منها ما لم يجزه صاحب الاجازة، و اذا اجازه صاحب الاجازة يؤثّر قوله و لوكان مغلوطاً فالاجازةتجعل المغلوط اشرف من الصّحيح و هكذا الحال فى الاجازة الآلهيّة و لمّا نفى البرهان عنهم فى تعليق الاشراك و التّحريم على مشيّة اللّه المفهوم من مفهوم الشّرط.

فانّ المراد بقرينة المقام من هذا الشّرط الدّلالة على تعلّق الاشراك بمشيّة اللّه و ان كان بحسب اللّغة اعمّ، و نسب تكذيب النّبىّ (ﷺ) اليهم بذلك التّعليق مشعراً بذمّهم فيه و او هم ذلك نفى تعليق الافعال على المشيّة امر نبيّه (ﷺ) بان يقول لهم: انّ البرهان منحصر فى اللّه و فيمن اخذ عن اللّه تمهيداً لتعليق الافعال على مشيّة اللّه رفعاً لتوهّم عدم سببيّة المشيّة النّاشى عمّا سبق.

فقال تعالى: [قُلْ فَلِلّٰهِ لْحُجَّةُ الْبٰالِغَةُ] فى كلّ ما قال و ما فعل [فَلَوْ شٰاءَ لَهَدٰيكُمْ اَجْمَعِينَ] فله الحجّة فى صدق هذا القول و قد اظهرها لى يعنى لى الحجّة فى تعليق اشراككم و تحريمكم على مشيّة المفهوم

من مفهوم قولكم لوشاءاللّه ما اشركنا لالكم و له الحجّة فى ترك تلك المشيّة و مشيّة ضدّه.

اعلم انّ مشيّة اللّه و هى اضافته الاشراقيّة الّتى بها وجود كلّ ذى وجود كالرّحمة و الارادة عامّة وهى الّتى بها وجود كلّ ذى وجودٍ امكانىٍّ بكمالاته الاولويّة و الثّانويّة فى سلسلة النّزول و الصّعود مثل الرّحمة الرّحمنيّة و خاصّة .

و هى الّتى بها وجود الكمالات الثّانويّة للمكلّفين فى سلسلة الصّعود مثل الرّحمة الرّحيميّة و تسمّى بالرّضا و المحبّة و لا يرضى لعباده الكفر، و يحبّهم و يحبّونه اشارة اليها .

فالمشيّة العامّة لها السّببيّة لكل ذات و فعل وصفة لكنّ الفاعل ما لم يخرج عن حّد نفسه و لم ينظر الى مشيّة اللّه بنور بصيرته و يرى نفسه فاعل فعله كما يشعر به قولهم ما اشركنا بنسبة الاشراك الى انفسهم ماصحّ له نسبةالفعل او تعليقه على المشية و كان مذموماً كاذباً فى نسبة فعله الى المشيّة .

و بهذا ايضاً يصحّ ذمّهم فى قولهم لوشاءاللّه ما اشركنا بتعليق عدم الاشراك اى الاهتداء على المشيّة مع اثبات هذا التّعليق بقوله فلوشاءلهديكم اجمعين .

و كذلك المشيّة الخاصّةَ لها السّببيّة فى الافعال التّكليفيّةالصّالحة، فلو ارادوا تلك المشيّة فالجمع بين ذمّهم على قولهم و اثبات قولهم بمثل ماذكر فى المشيّة العامّة و لمّا ابطل قولهم ذلك بعدم

البرهان و عدم علمهم فى انفسهم اراد ان يبطل علمهم التّقليدىّ ايضاً باستحضار الرّؤساء الّذين قلّدوهم و الزامهم جهلهم و ضلالتهم حتّى يتبيّن لهم انّ تقليدهم فاسد.

و انّ التّقليد يصحّ اذا كان تقليداً لمن نصبه اللّه للتّقليد كالانبياء(عليهم السلام) و اوصيائهم عليهم السلام و غيرهم كائناً من كان لا ينفكّ عن الهوى و تقليده اتّباع للهوى فقال:[قُلْ]لهم ايّها العاجزون عن البرهان و القاصرون عن العلم [هَلُمَّ شُهَدٰاءَكُمْ]اى رؤساء كم الّذين تقلّدونهم.

[اَلَّذِينَ يَشْهَدُونَ اَنَّ اللّٰهَ حَرَّمَ هٰذٰا]حتّى اظهرلكم جهلهم و اتّباعهم للهوى [فَاِنْ شَهِدُوا]بذلك.

[فَلاٰ تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَ لاٰ تَتَّبِعْ اَهْوٰاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيٰاتِنٰا] وضع الظّاهر موضع المضمر للدّلالة على انّ شهادتهم ناشئة عن اتّباع الهوى لانّهم موصوفون بتكذيب آيات اللّه و المكذّبون بآيات اللّه لايكونون الاّ صاحبى الاهوية النّفسانيّة.

[وَ الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْاٰخِرَةِ]وصف آخر باعث لاتّباع الهوى [وَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ] اى يسوّون غيره به وصفهم باوصاف ثلاثةٍ كلّ واحد منها يكفى فى ردّ شهادتهم.

[قُلْ]بعد عجزهم عن العلم و اقامة البرهان و الزامهم فساد تقليدهم لرؤسائهم [تَعٰالَوْا] الىّ فانّى منصوب من اللّه.

[اَتْلُ مٰا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ] حتّى تقلّدونى تقليداً صحيحاً.

[اَلاّٰ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً] اعراب اجزاء الآيه انّ ما فيما حرّم

مصدريّة او موصوفة او موصولة او استفهاميّة و عليكم ظرف متعلّق بحرّم اوباتل او بهما او ابتداء كلام، و ان فى ان لا تشركوا مصدريّة ولانافية او ناهية و النّهى اوفق بمايأتى من عطف الامر عليه، و هو امّا بتقدير اللّام او خبر مبتدء محذوف اى المتلّو او المحرّم ان لا تشركوا و اذا قدّر المحرّم مبتدءً كان لازائدةً او هو مفعول فعل محذوف.

اى اعنى ان لاتشركوا او عليكم خبر مقدّم و ان لاتشركوا مبتدء، او عليكم اسم فعل و الاّ تشركوا منصوب به، او ان لاتشركوا مفعول اتل على ان يكون ما فى ما حرّم مصدريّة او هو بدل ممّا و ابداله ممّا باعتبار حرمة الاشراك، او يكون لازائدة او لفظة ان تفسيريّة و الجملة تفسير لاتل او لحرّم و تفسيره لحرّم باعتبار الاشراك، او ان لاتشركوا مفعول لوصيّكم اللّه و هذا اوفق بقوله.

[وَ بِالْوٰالِدَيْنِ اِحْسٰاناً] و على الوجوه السّابقة فالتّقدير احسنوا بالوالدين وللاهتمام بالوالدين اسقط الفعل ايهاماً لعطفه على الجارّ و المجرور ليتوهّم انّ المعنى ان لاتشركوا بالوالدين احساناً، واتى بالمصدر للاشعار بانّ المقدّر احسنوا واتى به موضع لاتسيئوا فانّه الموافق لسابقه و لاحقه للدّلالة على الاهتمام بالاحسان اليهما و عدم الاكتفاء بترك الاساءة، و الوالدان اعمّ من الصّوريّ و الرّوحانيّ.

[وَ لاٰ تَقْتُلُوا اَوْلاٰدَكُمْ مِنْ اِمْلاٰقٍ] بالوءد و غيره [نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ اِيّٰاهُمْ] فلا تخشوا الفقر.

[وَ لاٰ تَقْرَبُوا الْفَوٰاحِشَ] ما استقبحه العقل و استكرهه الشّرع

[مٰا ظَهَرَ مِنْهٰا] كالّتى شاعت و صارت سيرةبينكم، كنكاح زوجة الاب و عبادة الاصنام و غيرها من السّنن الرّذيلة الّتى لايرتضيها العقل و لم تثبت فى شريعةٍ آلهيّةٍ، و النّهى عن القرب مبالغة فى النّهى عن الفعل.

[وَ مٰا بَطَنَ] كالزّنا و كلّ مالم يصر شائعاً و سيرة بينكم من المستقبحات العقليّة و الشّرعيّة او المراد بما ظهر ما ظهر قبحه كالزّنا و الّواط لا ما ظهر ذاته كنكاح زوجة الاب و بما بطن ما بطن قبحه كنكاح زوجة الاب، او المراد بما ظهر ما ظهر منها على الاعضاء و بما بطن ما بطن فى النّفوس كالرّذائل النّفسانيّة و الخطرات السّيّئة و الخيالات الفاسدة و العقائد الكاذبة، او المراد بالفواحش الزّنا فقط او اعمّ منه و ممّا كان مثله فى القبح فى الانظار كالّواط و هذا اوفق بترتيب المعاصى كما لا يخفى على من تأمّل فى الفقرات الثّلاث. و لذا ورد تفسيرها فى الاخبار بالزّنا و مثله.

اعلم، انّ ظلم الانسان و عصيانه امّا ظلم لنفسه او ظلم لغيره، و ظلم الغير امّا مسرٍ الى ذات الغير او الى ماله، و اعظم مراتب ظلم النّفس الزّنا، و اعظم مراتب ظلم ذات الغير ازهاق روحه، و اعظم مراتب ظلم مال الغير أخذ مال اليتيم عدواناً، و بالفقرات الثّلاث المصدّرة باداة النّهى اشارتعالى شأنه الى هذه الثّلاثة.

[وَ لاٰ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّٰهُ اِلّٰا بِالْحَقِّ] ذكر خاصٍّ بعد العامّ للاهتمام به كما انّ ما سبق على ذكر الفواحش كان ذكر خاصٍّ قبل العامّ لذلك بناءً على تعميم الفواحش، و امّا اذا كان الفواحش خاصة بالزّنا

و الّواط كان ذكر قتل الاولاد مقدّماً على الكلّ، و عدم الاكتفاء بذكر قتل النّفس للاهتمام بوأد الاولاد و قتلهم و للتّشديد فى حرمته.

[ذٰلِكُمْ وَصّٰيكُمْ بِهٖ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] قبحه وسوء عاقبته فتتركونه [وَ لٰا تَقْرَبُوا مٰالَ الْيَتيمِ اِلّٰا بِالَّتي هِيَ اَحْسَنُ] اى بالنّيّة الّتى هى احسن و هى نيّة حفظ ماله و نفسه و انماء ماله .

[حَتّٰى يَبْلُغَ اَشُدَّهُ] جمع الشّدّ بالفتح كفلس و افلس او الشّدّة كالنّعمة والانعم او مفرد، و على جمعيّته فالمقصود الاشارة الى قوّة جميع قواه البدنيّة و النّفسانيّة و هو البلوغ الشّرعىّ الّذى فيه قوّة قواه البدنيّة و النّفسانيّة بكمال تميزه و دركه الخير و الشّرّ البدنيّين و النّفسانيّين .

[وَ اَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْميزٰانَ بِالْقِسْطِ] المراد بهما المعروفان و قد مضى فى بيان الميزان ما يمكنك التّعميم به و كذا فى سائر فقرات الآية، و التّقييد بالقسط امّا للتّأكيد او للمنع من اعطاء الزّيادةعلى قدر الاستحباب فانّه كالتّبذير الممنوع او مورث لجهالة المكيل و الموزون المفسدة للمعاملة و لذا جاء بقوله:

[لٰا نُكَلِّفُ نَفْساً اِلّٰا وُسْعَهٰا] معترضاً فانّ القسط الحقيقىّ فى الايفاء هواداء تمام ما حقّه ان يؤدّى بحيث لايزيد و لاينقص حبّة و هو أمرليس فى وسع البشر.

[وَ اِذٰا قُلْتُمْ] فى حكومة اذا حكّمكم النّاس او فى شهادة او اصلاح او نصح او ترحّم او سخط او معاش او معاد او واجب او مباح

بألسنتكم او بسائر اعضائكم او بقواكم العلّامة او العمّالة .

[فَاعْدِلُوا] توسّطوا بين الافراط و التّفريط فى الاقوال و الاحوال و الافعال، و التّأدية بصورة الشّرط و بلفظ اذا و المضىّ للاشارة الى انّ القول غيرمأمور به لكنّ الانسان لا يخلوعن قولٍ ما خصوصاً على التّعميم المذكور و يكون مأموراً بالتّوسّط فى القول.

[وَ لَوْ كٰانَ ذٰا قُرْبٰى] جسمانيّاً او روحانيّاً فى العالم الكبير او الصّغير .

[وَ بِعَهْدِ اللّٰهِ اَوْفُوا] تقديم المعمول للاهتمام به ولشرافته و لابراز العلّة للامر قبل الاتيان به لا لقصد الحصر اوللحصر ايضاً بناءً على انّ الوفا بسائر العهود من شرائط عهدالله .

اعلم، انّ العهد و العقد و الميثاق و البيعة مع اللّه فى عرف اهل اللّه اذا اطلقت يراد بها البيعة العامّة النّبويّة او البيعة الخاصّة الولويّة، و بالاولى يحصل الاسلام و بالثّانيّة يحصل الايمان و تسمّى تلك البيعة بيعةً و مبايعةً، لانّ البايع بتلك البيعة يبيع نفسه و ماله بثمنٍ هو الجنّة كما قال تعالى: انّ الله اشترى من المومنين انفسهم و أموالهم بانّ لهم الجنّة و تسمّى عهداً و معاهدةً لتعهّد البايع و المشترى القيام بما عليهما و عقداً لانعقاد يد البائع على يد المشترى و ميثاقاً لاستحكام ذلك العهد بتقبّل الشّروط من الطّرفين و وثوق كلّ بالاخر بذلك العقد، و لمّا كان المشترى منصوباً من اللّه و وكيلاً منه فى تلك المبايعة صحّ نسبتها الى اللّه انّ الّذين يبايعونك انّما يبايعون الله، يداللّه فوق ايديهم، انّ اللّـه

اشترى من المؤمنين، و من اوفى بعهده من اللّه و اذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل، اوفوا بعهدى اوف بعهدكم، و غيرذلك من الآيات و الاخبار الدّالّة على نسبة هذه الى اللّه.

[ذٰلِكُمْ وَصيّٰكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] التّذكّر هو الالتفات الى المعلوم و الاستشعار به بعد الغفلة عنه او مطلقاً و هو من صفات العقل كما انّ الغفلة من صفات النّفس و لذا اخّره عن قوله تعقلون و كرّر ذلك للاشارة الى مراتب المعاصى و انّ بعضها لايصدر عن العاقل و بعضها لا يصدر عن المتذكّر و ان كان قد يصدر عن العاقل الغافل، و بعضها لا يصدر عن المتّقى و ان كان قد يصدر عن العاقل المتذكّر.

و المراد بالتّقوى فى قوله لعلّكم تتّقون، هو التّقوى الحقيقيّة الّتى هى الرّجوع عن طرق النّفس المعوّجة و اتّباع ائمّة الجور الى طريق القلب و اتّباع الامام الحقّ، و العاقل المتذكّر ما لم يصل الى الامام الحقّ لايمكنه الرّجوع الى طريق القلب و لذا اقتصر هناك على اتّباع الصّراط المستقيم.

[وَ اَنَّ هٰذٰا صِراطي مُسْتَقيماً فَاتَّبِعُوهُ] قرىء بفتح همزة انّ و تشديد النّون او تخفيفه مخفّفة من المثقّلة و حينئذٍ تكون مع بعدها عطفاً على ان لا تشركوا و اعتبار الحرمة فيه باعتبار ترك المتابعة، او تكون بتقدير اللّام متعلّقاً بقوله اتّبعوه و قرىء بكسر همزة انّ فتكون عطفاً على تعالوا، و قرىء صراط ربّك و صراط ربّكم و هذا اشارة الى المستفاد ممّا ذكر من قوله ان لا تشركوا الى اخر الآيات و هو التّوسّط بين الافراط و التّفريط فى الفعل و القول و هو صراط الولاية، او هو

اشارة اوّلاً الى طريق الولاية الّذى كان معهوداً عنده.

[وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ] اصله تتفرّق حذف تاء المضارعة و الفعل منصوب بان بعد الفاء و الباء للتّعدية و المعنى لاتتّبعوا السّبل فان تتفرّق بكم اى تفرّقكم و تزيل اجتماعكم و اتّحادكم فى الصّراط، و لمّا كان التّوسّط بين الافراط و التّفريط لا يحصل الّا بالولاية بل كان هو الولاية و الولاية من شؤن الولىّ بل هى الولىّ صحّ تفسيره بالولاية و بمحمّد (صلّى الله عليه وآله) و بعلىّ (عليه السلام) كما ورد فى الاخبار، و لمّا كان الانحراف عن التّوسّط و الميل الى الافراط و التّفريط لا يحصل الاّ باتّباع الهوى بل هو اتّباع الهوى و الهوى ليس الاّ من شؤن اعداء اهل البيت صحّ تفسير اتّباع السّبل بمحبّة اعدائهم.

[ذٰلِكُمْ] التوسّط [وَصَّيكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] السّبل المتفرّقة فانّ التّقوى الحقيقيّة هى الاحتراز عن الطّرق المنحرفة و الثّبات على الصّراط المستقيم.

[ثمّ اٰتَيْنا مُوسَى الْكِتٰابَ] كتاب النّبوّة او التّوراة الّتى هى صوره النّبوّة و العطف باعتبار المعنى كأنّه قال هذا ما آتينا محمّداً(صلّى الله عليه وآله) ثمّ آتينا موسى (عليه السلام) الكتاب.

و العطف بثمّ باعتبار الاخبارين و الاعلامين او باعتبار تفاوت الخبرين فى الشّرف باعتبار موضوعيهما و يحتمل العطف على جملة ذلكم وصيّكم به، لكنّه بعيد عن الفصاحة لعدم المناسبة بينهما.

و امّا العطف على وصيّكم كما قيل فبعيد غاية البعد لعدم ظهور

الرّابط لمبتدء المعطوف عليه [تَمٰاماً] من غير نقصٍ فيه او تماماً للنّعمة و هو حال او مفعول مطلق او تعليل،

[عَلَى الَّذِي اَحْسَنَ] صار ذاحسنٍ او جعل عمله حسناً و باحد هذين المعنيين ورد تفسيره بان تعبد اللّه كانَّكَ تراه او احسن الى الغير و منع اسائته عنهم.

اعلم، انّ الحسن المطلق منحصر فى الولاية المطلقة الّتى صاحبها علىّ (عليه السلام) بعد محمّد (صلى الله عليه و آله) و حسن غيرها من الذّوات و الصّفات و الافعال باعتبار اتّصاله بها.

و تفاوت الحسن فى الاشياء باعتبار تفاوتها فى القرب و البعد عنها فالطّالب للولايه يكون فى نفسه حسناً و افعاله الّتى تصدرعن طلبه تكون حسنة، و القابل لها يكون احسن و افعاله الّتى تصدر عن جهة ذلك القبول احسن من افعال الطّالب، و القابل المشاهد لصورة الولىّ و النّاظر الى ملكوته احسن من القابل الغائب عن المشاهدة، و تلك المشاهدة هى الّتى تسمّى عند الصّوفيّة بالفكر و تمثّل صورة الشّيخ و النّظر الى صورته احسن من جميع افعاله و المتحقّق بحقيقة الولاية و افعاله احسن من القابل المشاهد و افعاله .

[وَ تَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ] اعلم، انّه تعالى وصف كتاب موسى(عليه السلام) بكونه تماماً و تفصيلاً لكلّ شيءٍ ههنا.

و قال فى سورة الاعراف: و كتبناله فى الالواح من كلّ شيءٍ موعظة و تفصيلا لكلّ شيءٍ .

و هذا يدلّ على انّه تعالى جعل فى كتاب رسالته كلّ شيءٍ مشتملا على كلّ شيءٍ و كلّ شيءٍ مظهراً تامّاً و مرآةً كاملة لكلّ شيءٍ. و قد قال بعض الصّوفيّة: كلّ شيءٍ فى كلّ شيءٍ لكن ليس لكلّ احدٍ ان ينظر كلّ شيءٍ فى كلّ شيءٍ.

و لهذا قال: و كتبنا لموسى و ما كان لغيره ذلك، و لمّا كان موسى(عليه السلام) بعد نبيّنا (صلى الله عليه وآله) و بعد ابراهيم (عليه السلام) اوسع نظراً من حيث النّظر الى الكثرات و مراتب كلّ و مباديه و غاياته، وصف كتابه المنزل عليه بأنّه كتب له فيه من كلّ شيءٍ تفصيلا لكلّ شيءٍ، بمعنى انّه تعالى جعل لوح صدر موسى (عليه السلام) بحيث اذ انتقش فيه شيءٌ من الاشياء انتقش فيه جميع مباديه الى مبدء المبادى و جميع غاياته الى غاية الغايات وانتقش جميع لوازم المبادى و الغايات، و اذا انتقش جميع المبادى و الغايات و لوازمها فى شيءٍ لم يبق شيءٌ الاّ انتقش فيه، لانّ الموجودات كلّها متلازماتٌ اذا الكلّ معاليل علّة واحدة.

[وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لَعَلَّهُمْ] اى بنى اسرائيل [بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ] ان كان المراد بربّهم الرّبّ المطلق فالمراد باللّقاء لقاء جزائه و حسابه و حُسّابه.

و ان كان المراد به الرّبّ المضاف و هو ربّهم فى الولايه فالمراد باللّقاء لقاء ملكوت ذلك الرّبّ و هو ادنى مراتب اللّقاء و المعرفة بالنّورانيّه وفوقه لقاء جبروته بمراتبها.

يعنى آتينا موسى الكتاب للدّعوة الظّاهرة حتّى يستعدّوا بقبول

تلك الدّعوة لقبول الدّعوة الباطنة، و يستعدّوا بقبول تلك الدّعوة لفتح باب القلب و يشاهدوا بفتح باب القلب صورة ولىّ الامر بملكوته، و هو لقاء ربّهم الّذى هو ولىّ امرهم و بهذا اللّقاء يحصل الفوز بالرّوح والرّاحة و الامن و الامان و السّلامة من حوادث الزّمان و النّجاة من مضيق المكان، والى هذا اللّقاء اشار من قال:

كرد شهنشاه عشق در حرم دل ظهور

قد ز ميان بر فراشت رايت اللّه نور

و قد فسّر السّكينة فى الاخبار بما يدلّ على ظهور ملكوت ولىّ الامر فى القلب حيث ورد: انّها ريح تفوح من الجنّة لهاوجه كوجه الانسان، فانّ الملكوت من الجنّة، و كونها ذات وجه كوجه الانسان يدلّ على انّها من الذّوات الجوهريّة الملكوتيّة لكونها من الجنّة لامايفهم من لفظ الرّيح، و يسمّى فى عرف الصّوفيّة ظهور ملكوت ولىّ الامر على قلب الانسان بالسّكينة كما يسمّى بالفكر و الحضور.

و هذا اللّقاء هوالمراد بما يقولون: لابدّ للسّالك ان يجعل صورة المرشد نصب عينيه، يعنى ينبغى ان يصفونفسه بالعبادات حتّى يظهر فى قلبه ولىّ امره فيكون مع الصّادق معيّة حقيقيّة لامايتوهّم من ظاهر اللّفظ من انّه لابدّ ان يتعمّل و يتصوّر صورة مخلوقة له مردودة اليه، و قد ورد منهم: وقت تكبيرة الاحرام تذكّر رسول اللّه (صلّى الله عليه وآله) و اجعل واحداً من الائمّة نصب عينيك.

و على هذا كان المراد بالايمان ههنا الايمان الشّهودىّ لا الايمان

بالغيب.

[وَ هٰذٰا كِتٰابٌ اَنْزَلْنٰاهُ مُبٰارَكٌ] كثير الخير و النّفع لانّ البركة الزّيادة و النّماء فى الخير و هو كلمة جامعة لكلّ ما ذكر فى وصف كتاب موسى(عليه السلام) مع شىءٍ زائد و هو تعميم البركة لكلّ ما يتصوّر فيه البركة، و فى لفظ انزلنا دون آتينا دلالة على شرافة هذاالكتاب كانّ كتاب موسى(عليه السلام) كان من سنخ هذاالعالم فآتاه اللّه، و القرآن كان فى مقام اعلى من هذا العالم فانزل اللّه الى هذا العالم السّفلىّ و آتاه محمّداً(صلى الله عليه وآله).

[فَاتَّبِعُوهُ] حتّى تفوزوا من اتّباعه بولىّ امركم و اتّباعه فانّ فيه حجّته و باتّباعه تفوزون بفتح باب القلب و بفتحه نزول الرّحمة من اللّه و ادنى مراتب حقيقة الرّحمة هو ملكوت ولىّ الامر.

[وَ اتَّقُوا] مخالفة ما فيه [لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] بلقاء ملكوت ولىّ امركم فانّ دار الشّياطين هى حقيقة سخط اللّه و الدّنيا هى مظهر رحمته و سخطه معاً و الملكوت العليا هى حقيقة رحمته المتجوهرة و كذاالجبروت و المشيّة.

و فى الاقتصار على لفظ ترحمون هنا والاتيان بقوله بلقاء ربّكم تؤمنون هناك دلالة على شرافة هذاالكتاب كمالا يخفى.

[اَنْ تَقُولُوا] يعنى انزلنا الكتاب كراهة ان تقولوا بعد ذلك اوفى القيامة اولئلّا تقولوا كذلك او كراهة هذاالقول الواقع منكم على سبيل الاستمرار.

اعلم انّ مثل هذه العبارة كثيرة فى الكتاب و السّنة و جارية على

السنة العرف.

و المقصود من مثلها انّ هذا القول كان واقعاً منكم و صار وقوع هذاالقول سبباً لانزال الكتاب لكراهتنا وقوع هذا القول منكم ولئلّا يصدر مثله بعد منكم، ولمّا كان صدور هذا القول سبباً لكراهته، و كراهتة لهذا القول الصّادر سبباً لانزال الكتاب، و انزال الكتاب سبباً لمنع هذا القول صحّ تفسيره بكراهة ان تقولوا، و بقولهم لئلاّ تقولوا، و لكن لاحاجة الى تقدير الكراهة او تقدير لا و على هذا كان المعنى انزلنا الكتاب لكثرة ما كنتم تقولون اظهاراً للعذر فى تقصيركم فى العبادات و تحسّراً على كونكم امّيّين.

[اِنَّمٰا اُنْزِلَ الْكِتٰابُ عَلٰى طٰائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنٰا] والاتيان باداه القصر لشهرة الكتابين و اهلهما عندهم كانّهم كانوا لايعرفون اهل ملّة و كتاب غيرهما.

[وَ اِنْ كُنّٰا] ان مخفّفة من المثقّلة [عَنْ دِرٰاسَتِهِمْ] قراءتهم و بيانهم للكتابين [لَغٰافِلِينَ اَوْ تَقُولُوا] اوللتّوزيع يعنى كان بعضهم يقولون ذلك و بعضهم هذا[لَوْ اَنّٰا اُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتٰابُ لَكُنّٰا اَهْدٰى مِنْهُمْ] لانّا احدّ ذهناً و ادقّ فهماً، و هذا هو ديدن النّسوان لانّهنّ لا يرضين بنسبة النّقص الى انفسهنّ و يعتذرون بالاعذار الكاذبة و يفتخرن باستعداد الكمالات و قواها حين فقدانها على المتّصف بها و يتحسّرن على الفانية بالّتمنيّات و التّعليق على الفائتات.

[فَقَدْ جٰاءَكُمْ] جواب لشرط مقدّر، اى ان كنتم صادقين فقد

جاءكم [بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ] كتاب هو حجّة واضحة على كلّ شى من صدق النّبىّ (صلى الله عليه وآله) و نبوّته والاحكام الّتى هى معالم الهداية [وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِاٰياتِ اللّٰهِ] التّدوينيّة و التّكوينيّة و اعظمها علىّ (عليه السلام) فانّ الآيات التّدوينيّة تدلّ على التّكوينيّة و تكذيبها مؤدٍّ الى تكذيبها، و هو تعريض بانّهم كذّبوا بآيات اللّه بعد وضوحها ولا اظلم منهم.

[وَ صَدَفَ عَنْها] اعرض اومنع لكن الثّانى اولى للتّاسيس يعنى ضلّ و اضلّ.

[سَنَجْزِى الَّذينَ يَصْدِفُونَ عَنْ اٰياتِنا سُوءَ الْعَذابِ بِما كانُوا يَصْدِفُونَ هِلْ يَنْظُرُونَ] ما ينتظرون [اِلّا اَنْ تَاْتِيَهُمُ الْمَلاٰئِكَةُ] لقبض ارواحهم اولعذابهم حين الموت [اَوْ يَاْتِىَ رَبُّكَ] فى الولاية و هو علويّة محمّد(صلى الله عليه وآله) و وجهة ولايته كماقال(عليه السلام) : ياحار همدان من يمت يرنى.

[اَوْيَاْتِىَ بَعْضُ اٰياتِ رَبِّكَ] كاشياع علىّ(عليه السلام) الّذين هم آياته تعالى، و تفسيرالآيات فى الاخبار بالعذاب فى دارالدّنيا لاينافى كونها عندالموت قبل الارتحال من الدّنيا و لاينافى التّفسير باشياع علىّ(عليه السلام) لانّ العذاب آية علىّ(عليه السلام) النازلة و اشاعة آياته العالية.

[يَوْمَ يَاْتى بَعْضُ اٰياتِ رَبِّكَ] يعنى حين معاينة الموت [لاٰ يَنْفَعُ نَفْساً ايمانُها لَمْ تَكُنْ اٰمَنَتْ مِنْ قَبْلُ اَوْ كَسَبَتْ فى ايمانِها خَيْراً] هو اشدّ آية على اهل الايمان خصوصاً على من لايراقب جهة

ايمانه الّذى هو ذكره و فكره، و قد فسّرت الآيات فى هذه الآية بالائمّة (عليهم السلام) و بطلوع الشّمس من مغربها و بخروج الدّجال و بظهور القائم (عجّل الله فرجه) و بخروج دابّة الارض، و لاينا فى ما ذكرنا.

[قُلْ انْتَظِرُوا] احدى الثّلاث [اِنَّا مُنْتَظِرُونَ] لها فانّ لنا بذلك الفوز و لكم الويل [اِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ] الدّين يقال لكلّ سيرة و سنّة. النّاس على دين ملوكهم، و على السّيرة الشّرعيّة الآلهيّة، اليوم اكملت لكم دينكم، و للجزاء مالك يوم الدّين و يطلق على الاسلام و العادة و العبادة و الطّاعة و الذّلّ و الحساب و القهر و الاستعلاء و الملك و الحكم و التّدبير و التّوحيد و جميع ما يتعبّداللّه به، و الملّة و الخدمة و الاحسان و على غيرذلك من المعانى.

و التّحقيق انّ حقيقة الدّين هى الطّريق من القلب الى اللّه و السّير الى ذلك الطّريق او عليه و يسمّى بالطّريقة و هما الولاية التّكوينيّة المعبّر عنها بالحبل من اللّه، والولاية التّكليفيّة المعبّر عنها بالحبل من النّاس و بالولاية التّكليفيّة ينفتح باب ذلك الطّريق و صاحب الولاية المطلقة هو علىّ(عليه السلام)و هو متّحد مع الولاية المطلقه، والولايات المقيّدة اظلال من هذه الولاية و لذلك صار علىّ(عليه السلام) خاتم الولاية و كلّ الانبياء(عليهم السلام) و الاولياء(عليهم السلام) يكونون تحت لوائه، و كلّما يسمّى ديناً من الشّرائع الآلهيّة فانّما يسمّى ديناً لاتّصالة بالولاية و ارتباطه بحقيقة الدّين، و تسمية السّيرة الغير الآلهية بالدّين من باب المشاكلة مع السّيرة الآلهية فعلى قراءة فرّقوا.

فالمعنى انّ الّذين فرّقوا دينهم الّذى هو ما وصل اليهم من طريق القلب بالولاية التّكوينيّة من فيض العقل على الاهويّة الفاسدة اوما وصل اليهم من هذا الطّريق بالولاية التّكليفيّة من الايمان الّذى دخل فى قلوبهم على الاغراض الكاسدة و المهامّ المتبدّدة. فانّ الانسان اذا صار مقبلاً على النّفس و الدّنيا كان يفرّق كلّما يصل اليه من جهة الآخرة على جهات النّفس و نعم ما قيل:

انصتوا يعنى كه آبت را بلاغ

هين تلف كم كن كه لب خشك است باغ

او المعنى فرّقوا دينهم و بعّضوه بان آمنوا ببعض و كفروا ببعض، اوالمعنى افترقوا فى دينهم بان اختار كلّ منهم ديناً غير دين الآخر، كما ورد من افتراق الامّة على ثلاث و سبعين فرقة، و قرىء فارقوا دينهم اى فارقوا و لايتهم التّكوينيّة من الغفلة التّامة عن طريق القلب اوفارقوا و لايتهم التّكليفيّة بالهجرة و الغفلة عن ذكرهم الّذى دخل فى قلوبهم اوفارقوا عليّاً (عليه السلام) كما عملت، و كما ورد فى الخبر انّ الآية فارقوا دينهم و انّ المراد المفارقة عن علىّ (عليه السلام).

[وَ كانُوا شِيَعاً] متفرّقة يشيع كلّ منهم هوى او غرضاً او اماماً باطلاً اويصير كلّ منهم مشايعاً لاهوية عديدة او اغراض عديدة او ائمّة عديدة بجعل كلّ واحد كانّه فرق مختلفة كما قال تعالى: ضرب اللّه مثلاً رجلاً فيه شركا متشاكسون و كما قيل بالفارسيّة:

«ترا يكدل دادم كه در آن يك دلبر گيرى نه آنكه آن يكدل را صدپاره كنى و

هر پاره را دنبال مهمی آواره»

[لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ] اى لست متمكّنا منهم فى شيء من التّمكّن فانّ تمكّنك امّا بتمكّن صورتك الملكوتيّة فى قلوبهم، او بتمكّن الذّكر الّذى اخذوا منك بالولاية التّكليفيّة فى قلوبهم، او بتمكّن الانقياد الّذى اخذوه منك بالبيعة العامّة فى صدورهم فانّ الكلّ من شؤنك و نازلتك، اولست من شفاعتهم فى شيءٍ، اولست من مسائلتهم و محاسبتم اوعذابهم فى شيءٍ، او لست من مجانستهم فى شيءٍ و مرجع الكلّ الى تمكّنه (صلّى الله عليه وآله) فى قلوبهم باحد الوجوه المذكورة، و لفظة منهم خبر لست او حال مقدّم من شيءٍ، و كلمة من بيانيّة او ابتدائيّة او تبعيضيّة.

[اِنَّما اَمْرُهُمْ اِلَى اللّٰهِ]لانّك لست ولىّ امرهم بانحرافهم عنك فامرهم و حكمهم مفوّض او راجع الى اللّه.

[ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ]فى تفرّقهم فيجازيهم على حسبه [مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ اَمْثالِها] الحسنة و صف من الحسن و التّاء فيه للنّقل من الوصفيّة الى الاسميّة، فانّها صارت اسماً لاشياء مخصوصة ورد عن الشّريعة حسنها او للتّانيث فى الاصل بتقدير الخصلة الحسنة، و حقيقة الحسن هى الولاية المطلقة و هى علىّ (عليه السلام) بعلويّته و النّبوّات و احكامها القالبيّة و الولايات الجزئيّة و احكامها القلبيّة اظلال الولاية المطلقة و قبول النّبوات و الولايات ايضاً ظلّها، و كلّ فعل و قول و خلق كان من جهة الولاية كان حسناً بحسنها لكونه ظلّها ايضاً، و يعلم

السّيّئة بالمقايسة الى الحسنة فاصل السّيّئة اتّباع النّفس المعبّر عنه بولاية اعداء آل محمّد(صلى الله عليه وآله) و مخالفيهم.

و اعلم، انّ الانسان مفطور على السّير الى الآخرة و دار النّعيم و حيازة درجاتها، فاذا فرض عمل بعينيه على سيره و عمل آخر مثل هذا العمل يقسره على الحركة الى الجحيم و الى خلاف فطرته، فاذا كان تحريك العمل الى جهة خلاف الفطرة درجة مثلاً كان تحريك العمل الموافق للفطرة ازيد من تحريك العمل المخالف للفطرة بمراتب عديدة، و اقلّها عشر درجات و اكثرها لاحدّلها بتفاوت استعداد الاشخاص و هذا نظير تحريك الحجرها بطاً و صاعداً بقوّةٍ واحدةٍ، فانّ الهابط يكون اسرع حركة من الصّاعد.

[وَ مَنْ جٰاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاٰ يُجْزٰى اِلّٰا مِثْلَهٰا وَ هُمْ] اى المحسنون و المسيئون [لاٰ يُظْلَمُونَ] بنقص الجزا و تضعيف العقاب [قُلْ] لهم موادعة و تعريضاً بنصحهم بابلغ وجه :[اِنَّنِي هَدٰانِي رَبِّي] فلاحاجة لى اليكم و لا تعرّض لى بكم فانتم و شانكم [اِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ] هو صراط القلب و هوالولاية التّكوينيّة و بالولاية التّكليفيّة الحاصلة بالبيعة الخاصّة الولويّة ينفتح صراط القلب، و هما ظهور الولاية المطلقة و نازلتها و الولاية المطلقة متّحدة مع علىّ (عليه السلام) و علويّته. فصحّ تفسير الصّراط بالولاية تارة و بعلىٍّ (عليه السلام) اخرى [دِيناً قِيَماً] الدّين قد مضى قبيل هذا تحقيقه، و القيّم الدّين الّذى لااعوجاج له [مِلَّةَ اِبْرٰاهِيمَ] اظهار لنصحهم بانّ دينه دين ابراهيم الّذى لااختلاف لهم فى حقّيّته [حَنِيفاً]

الحنيف المستقيم و الصّحيح الميل الى الاسلام الثّابت عليه كلّ من حجّ او كان على دين ابراهيم(عليه السلام) و هو حال من مفعول هدانى او صفة ديناً او حال منه او من المستتر فى قيماً او من ملّة ابـراهـيم(عليه السلام). و التّـذكير باعتبار معنى الملّة و هو الدّين او من ابراهيم على ضعف جعل الحال من المضاف اليه من دون كون المضاف عاملاً، او فى حكم السّقوط.

[وَ مٰا كٰانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] عطف على حنيفاً او حال من المستتر فيه او حالٌ بعد حال بناءً على انّ حنيفاً حال من ابراهيم(عليه السلام) و هو تعريض بانّهم مخالفون لابراهيم (عليه السلام) فى شركهم فهم مبطلون لانّ ابراهيم (عليه السلام) كان محقّاً بالاتّفاق [قُلْ] بعد نفى الشّرك الصّورىّ عن نفسك نفياً للشّرك المعنوىّ تاكيداً لنفى الشّرك الصّورىّ:[إِنَّ صَلاٰتِي وَ نُسُكِي] تـعميم بعد تخصيص اهتماماً بالخاصّ فانّه عمود الدّين و اصل كلّ نسك.

[وَ مَحْيٰايَ وَ مَمٰاتِي] يعنى انّ افعالى التّكليفيّة الاختياريّة و اوصافى التّكوينيّة الالهيّة خالصة من شوب مداخلة النّفس و الشّيطان [لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ لاٰ شَرِيكَ لَهُ] تعميم بعد تخصيص و تاكيد لما يفهم التزاماً فانّه اذا لم يكن فى افعاله و اوصافه شريك للّه لم يكن فى وجودة شريك للّه، و اذا لم يكن فى وجودة شريك للّه لم ير فى العالم شريك للّه، لانّ روية الشّريك فى العالم يقتضى السّنخيّة بين الرّائى و المرئىّ الّذى هو العالم الّذى فيه شريك، والسّنخيّة تقتضى الشّريك للّه فى وجوده و كون الشّريك فى وجوده يقتضى الشّريك فى صفاته.

[وَ بِذٰلِكَ أُمِرْتُ] تعريض بهم بانّ شركهم غير مبتن على امر[وَ

اَنَا اَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ] لانّ كلّ من اخلص ذاته و صفاته و افعاله و جميع ماله للّه تعالى، فهو مقدّم على الكلّ و خاتم سلسلة الصّعود و اقرب الصّاعدين اليه، و هو اوّل من اقرّ فى الذّرّ بالوحدانيّة كما ورد فى الخبر و لانّه اوّل من اتّصف بدين الاسلام.

[قُلْ] لهم انكاراً لابتغاء غيراللّه ربّاً مع اقامة الدّليل على ذلك الانكار بانّ غيره مربوب تعريضاً بمن اخذ غيره ربّاً [اَغَيْرَ اللّٰهِ اَبْغِي رَبّاً وَ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ] و غيره مربوب فما حالكم اذا انحرفتم عن الرّبّ وجعلتم المربوب ربّاً.

[وَ لٰا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ الّٰا عَلَيْهٰا] هذا ممّا استعمل فيه سلب الايجاب الكلّىّ فى السّلب الكلّىّ و مثله كثير فى الآيات و الاخبار و استعمال العرب، و المقصود انّ ابتغاء غيراللّه ربّاً مع كونه مربوباً و بال لامحالة و لا يمكننى طرح هذا الوبال على غيرى، لانّه لا تكسب كلّ نفس ما تكسب ممّا هو وبال الاّ عليها، يعنى كسبكم الوبال باتّخاذ غير الرّبّ ربّاً وبال عليكم.

[وَ] لا يمكن غيرى ان يحمل و بالى عنّى لانّه [لٰا تَزِرُ وٰازِرَةٌ وِزْرَ اُخْرٰى] هذه مجادلة بالّتى هى احسن بحيث لايورث شغباً[1] و لجاجاً للخصم حيث نسب ابتغاء غيراللّه ربّاً الى نفسه و ذكر مفاسدة و عرّض بهم.

---

۱- الشّغب بالسّكون و قد يحرّك و قيل لا يحرّك - اصل تهييج الشّرّ.

[ثُمَّ اِلٰى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ] يوم القيامة نسب الرجوع اليهم دون نفسه تنبيهاً على التّعريض بحيث لا يمكنهم ردّه [فَيُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ فيهِ تَخْتَلِفُونَ] و هوالدّين الّذى فرّقتموه على اهويتكم اواختلفتم فى بطلانه و حقيّته، و فيه تعريض بالامّة كانّه قال فتنبّهوا يا امّة محمّد (صلى الله عليه وآله) فلاتختلفوا بعده فى الدّين الّذى اتمّه بولاية علىّ (عليه السلام).

[وَ هُوَ الَّذي جَعَلَكُمْ خَلاٰئِفَ الْاَرْضِ] عطف على قوله هو ربّ كلّ شىءٍ او حال معمول لواحدة من الجمل السّابقة و تعليل آخر لانكار ابتغاء غيره ربّاً و بيان لكيفيّة ربوبيّته بما فيه غاية الانعام على طريق الحصر.

يعنى هو الّذى جعلكم خلائف الارض لا غيره الّذى هو مربوب و المقصود انّه جعلكم خلائفه فى ارض العالم الكبير بان اعطاكم قوّه الّتميز و التّصرّف فيها باىّ نحو شئتم و اباح لكم التّصرّف فيها، و فى ارض العالم الصّغير بان مكّنكم فيها و جعل لكم فيها كلّ ما جعل لنفسه من الجنود والحشم و سخّرها لكم مثل تسخّرها لنفسه، و هذه هى غاية الانعام حيث خلقكم على مثاله.

[وَ رَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجٰاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ] ايّها المرفوعون [فيمٰا اٰتٰيكُمْ] من جاهكم و مالكم و قواكم و بسطكم و احتياج غير المرفوعين اليكم كيف تعاملون مع انفسكم و مع اللّه باداء الشّكر و صرف النّعمة فى وجهها و مع المحتاجين بايصال حقوقهم اليهم، فعلى هذا كان الخطاب للمرفوعين،او يكون الخطاب للمرفوعين و غيرهم

جميعاً، فانّ المحتاج مبتلى بحاجته كما انّ المرفوع مبتلى بالمحتاج.

[اِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقابِ] استيناف من اللّه و خطاب لمحمّد(ﷺ) او خطاب عامّ و جواب لسؤالٍ مقدّر كانّه قيل: ما يريد بالابتلاء؟ فقال: يريد عقوبة المسيء و رحمة المحسن منهم لانّ ربّك سريع العقاب، و تقديم العقاب لقصد ختم السّورة بالرّحمة رحمة بهم.

[وَ اِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ] عن الصّادق (ع) انّ سورة الانعام نزلت جملة واحدة شيّعها سبعون الف ملك حتّى نزلت على محمّد (ﷺ) فعظّموها و بجلّوها.

فانّ اسم اللّه فيها فى سبعين موضعاً، و لو يعلم النّاس ما فى قراءتها ما تركوها و كفى به فضلاً.

# سورة الاعراف

مكّيّة وروى انّها مكّيّة غيرقوله : وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ (الى قوله) بِماٰ كاٰنُوا يَفْسُقُونَ

بسم الله الرحمن الرحيم

[آلمَصّ] قد مضى فى اوّل البقرة، انّه فى حال المحو و الغشى و انقلاب الدّنيا الى الآخرة يرى الانسان و يشاهد من الحقائق فيعبّرله عمّا يشاهده بالحروف المقطّعة و يفهم من تلك ما يشاهد من الحقائق، ثمّ بعد الافاقة لا يمكنه القاء تلك الحقائق على الغير و افهامها ايّاه فضلاً عن التّعبير عنها بتلك الحروف وافهامها بها، و اذا القى تلك الحروف على غيره مشيراً الى تلك الحقائق لايمكن له تفسيرها الاّ بما يناسبها كالمنامات و تعبيراتها.

فانّ المناسبات الّتى تذكر للغير كالمناسبات الّتى يراها النّائم من الحقائق فى المنام، فانّ حال الخلق بالنّسبة الى الحقائق كحال النّائم بالنّسبة اليها من غير فرقٍ.

لانّ الخلق نائمون عن الحقائق و لذلك اختلف الاخبار فى تفاسيرها و تحيّر الخلق فى فهمها و التّعبير عنها، و قد ذكر فى تفسيرها وجوه عديدة متخالفة متناسبة فى الاخبار و التّفاسير، و الكلّ راجع الى ما

ذكرنا من التّعبير عن تلك الحقائق بمايناسبها و تفسيرها بحسب صورة تلك الحروف من حيث الخواصّ والاعداد و الفواعد المترتّبة عليها و الاشارات المستنبطة منها، كقيام قائم من ولد هاشم عند انقضاء مدّة مقطّعات اوّل كلّ سورة منها، و انقضاء ملك بنى اميّة عند انقضاء المص ،كما ورد فى الاخبار لاينافى ماذكرنا، فانّها ممّا يستنبط من اعتبار حروفها و لاينا فى ذلك اعتبار حقايقها.

[كِتابٌ] قد عرفت الفرق بين الكتاب و الكلام و انّ العالم بوجهٍ كتابه و بوجهٍ كلامه تعالى، و انّ الانسان مختصر من هذا الكتاب، و القرآن ظهوره بصورة الحروف و الاصوات و نزوله فى لباس النّقوش و الكتاب ترحّماً على العباد، فانّ الانسان لمّا تنزّل الى مقام التّجسّم و احتاج فى ادراكه الى مدارك الحيوان انعم اللّه عليه بتنزيل تلك الحقائق فى صورة الحروف و العبارة ، او النّقوش و الكتابة لتناسب مداركه النّازلة و نعم ما قيل:

چون نهاد آن آب و گل بر سر كلاه    گشت آن اسماء جانى رو سياه
كه نقاب حرف دم در خود كشيد    تا شود بر آب و گل معنى پديد

و انّ الرّسالة و النّبوّة ليست الّا التّحقّق بحقائق العالم فهما ايضاً مراتب العالم و قد عرفت ايضاً انّ الكلّ ظهور الولاية الّتى هى فعل الحقّ و تجليّه الفعلىّ و انّها مبدء الكلّ و صورته و غايته، فان كانت فواتح السّور عبارة عن مراتب العالم الصّغير او الكبير او مراتب النّبوّة او الرّسالة او الولاية او مراتب وجوده (صلّى اللّه عليه و آله) .

كماورد انّها اسماء للنّبىّ (صلّى اللّه عليه و آله) او كان المراد بها القرآن او السّور

المفتتحة بها، كما فصّل ذلك فى اوّل البقرة فلفظ كتاب خبر عن المص او خبر مبتدءٍ محذوفٍ، او مبتدء خبرٍ محذوفٍ او مبتدء موصوف متضمّن لمعنى الشّرط و خبره قوله فلا يكن او لتنذر و يجرى فيه وجوه اخركما سبق.

[أُنْزِلَ اِلَيْكَ] صفة لكتاب، او خبر بعد خبر، او استيناف لبيان الغرض منه و لمّا كان المقصود ترتّب النّهى عن وجود الحرج على نزول الكتاب المعلوم الّذى هو اصل كلّ النّعم و حقيقتها.

قال تعالى [فَلاٰ يَكُنْ فى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ] قبل تمام الكلام بذكر الغاية و لواخّره لاوهم ترتّبه على غايته و هى الانذار [لِتُنْذِرَ بِهِ] المنحرفين و الكفّار باللّه او بالولاية او بما فى الكتاب [وَ ذِكْرٰى] لتذكّر تذكيراً فانّه اسم للتّذكير و قائم مقام الفعل و عطف على لتنذر او على تنذر او هو بنفسه عطف على تنذر لانّه بتأويل الانذار اوعلى كتاب او على انزل بتأويل معنى الوصف، او خبر مبتدءٍ محذوفٍ.

[لِلْمُؤْمِنينَ] باللّه بالايمان العامّ الّذى هو البيعة على يدك و هو الايمان بك، او بالايمان الخاصّ الّذى هو البيعة الولويّة و هو الايمان بالولاية، ثمّ صرف الخطاب عنه (صلى الله عليه وآله) الى قومه (صلى الله عليه وآله) فقال : [اِتَّبِعوُا ماٰ أُنْزِلَ اِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ] من الكتاب الّذى هو صورة الولاية الّتى كانت متّحدة مع علىّ (عليه السلام) بقرينة قوله.

[وَلاٰ تَتَّبِعوُا مِنْ دُونِهِ] اى من دون ما انزل فانّه ظاهر الّلفظ [اَوْلِيٰاءَ] من شياطين الانس الّذين ما نزل اليكم من ربّكم فيهم شىءٌ [قَليلاً مٰاتَذَكَّروُنَ] تحسّر عليهم لقلّة تذكّرهم.

[وَ كَمْ مِنْ قَرْيَةٍ اَهْلَكْناها فَجاءَها بَأْسُنا] من قبيل عطف التّفصيل على الاجمال او بتقدير اردنا اهلاكها [بَياتاً] وقت غفلة وراحة [اَوْ هُمْ قائِلوُنَ] فى النّهار و هو ايضاً وقت دعة و راحة.

[فَما كانَ دَعْويٰهُمْ] اى استغاثتهم او ادّعاؤهم حين نزول العذاب على سبيل التّهكّم يعنى انّ دعويهم قبل ذلك انّ آلهتهم شفعاءهم و انّ الآلهة تدفع عنهم الضّرّ و تجلب اليهم النّفع فيتبدّل تلك الدّعوى و ما كان دعويهم.

[اِذْ جاءَهُمْ بأْسُنا اِلّا اَنْ قالوُا اِنّا كُنّا ظالِميْنَ] الاّ الاعتراف بالظّلم. [فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذينَ اُرْسِلَ اِلَيْهِمْ] من امم الانبياء عن كيفيّة تبليغ الرّسل و اجابتهم لهم و اطاعتهم ايّاهم.

[وَ لَنَسْئَلَنَّ اْلمُرْسَلينَ] عن تبليغهم و كيفيّة اجابة اممهم [فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ] على الرّسل و المرسل اليهم.

[بِعِلْمٍ] يعنى انّ المقصود من سؤالهم تذكيرهم بما وقع منهم و تبكيت المخالف منهم، والاّ فنحن نعلم جميع ذلك و نقصّ عليهم تمام ما وقع منهم، [وَ ما كُنّا غائِبينَ] عنهم حين فعلوا ما فعلوا، اتى بما يوافق مقام التّهديد متدرّجاً من الادنى الى الاعلى.

[وَ الْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ] الوزن تعيين قدر الشّيء و وزن كلّ شيء بحسبه و كذا ميزانه، و تبادر تحديد الاجسام الثّقيلة من لفظ الوزن و ما به يوزن الاجسام الثّقيلة من الميزان بسبب شيوعه بين العامّة والاّ فلا اختصاص له بها، فميزان الاجسام الثّقيلة هو ذو الكفّتين و القبّان و الكيل و ميزان المتكمّمات القارّة الشّبر و الذّرع و الفرسخ، و ميزان الغير القارّة

السّاعات و الايّام و الشّهور و الاعوام، و ميزان المغشوش من الفلزّات و غيره المحكّ و النّار، و ميزان الاعمال صحيحها و سقيمها العقل، و لاسيّما العقل الكامل اعنى النّبى (صلّى الله عليه و آله) و الولىّ (عليه السلام).

و ما اسّسنا لتحديد الافعال و الاقوال و الاحوال و العقائد و سائر العلوم، فميزان الاعمال القالبيّة المعاشيّة هو العقل الجزئىّ المدبّر لدفع الضّرّ و جلب النّفع، و ميزان المعاديّة منها هو الاتّصال بالنّبىّ (صلّى الله عليه و آله) بالكيفيّة المخصوصة المقرّرة عندهم بالبيعة العامّة النّبويّة و صدورها من جهة ذلك الاتّصال لامن تصرّفات الخيال و الشّيطان.

و ثقل هذا الميزان باتّصال الاعمال بالنّبى (صلّى الله عليه و آله) او خليفته و جذبها ايّاه الى جهة عاملها او جذبها عاملها الى النّبىّ (صلّى الله عليه و آله) او خليفته، و خفّتها بانقطاعها عن هذا الميزان و عدم جذبها ايّاه الى عاملها، و لمّا كان لكلّ من صفحتى النّفس العمّالة و العلّامة جهتان علويّة و سفليّة، شيطانيّة و ملكيّة فلاغرو فى ظهورهما يوم العرض بصورة ذى الكفّتين و يظهر مثل تلك فى الآخرة، لانّه كما سبق كلّ ما وجد فى النّفس و العالم الصّغير يظهر مثله فى العالم الكبير فى الآخرة فلا وجه لانكار بعض ظهور ذى الكفّتين و وزن الاعمال به.

و كذلك ميزان الاعمال القلبيّة هو الاتّصال بالامام بالكيفيّة المقرّرة و البيعة الخاصّة الولويّة و صدورها من جهة ذلك الاتّصال و ثقلها باتّصالها و خفّتها بانقطاعها مطلقاً او حين العمل بالغفلة عن الاتّصال، و بتفاوت الاتّصال بالشّدّة و الضّعف يتفاوت الاعمال فى الثّقل فالمتّصل بالصّورة البشريّة اقلّ ثقلاً، و المتّصل بملكوت الامام تعمّلاً

اكثر ثقلاً، و المتّصل بملكوته من غير تعمّل اكثر ثقلاً، و المتّصل بجبروته بمراتبها اكثر ثقلاً، و المتحقّق به هو الثّقيل المطلق. فلكلّ عمل موازين عديدة من بشريّة النّبىّ (صلى الله عليه وآله) او الامام (عليه السلام) ، و قوله و فعله و ملكوته و جبروته، و لكلٍّ مراتب عديدة، و كلّ مرتبة ميزان لاعمال المتّصل بتلك المرتبة.

هذا اذا اريد بالحقّ معناه الوصفىّ اللّغوىّ اى الثّابت المحقّق، و امّا اذا اريد معناه العرفىّ اى الحقّ المضاف و الولاية المطلقة.

ولذا جيء به معرّفاً باللّام مشيراً الى الحقّ المعهود. فالمعنى انّ الوزن يعنى الميزان يؤمئذٍ الولاية و لمّا كان للولاية مراتب كما انّ لعلىّ (عليه السلام) مراتب بحسب بشريّته و ملكوته و جبروته و حقّيّته، و كما انّ للعالم مراتب بحسب ملكوته السّفلىّ و ملكه و ملكوته العليا و جبروته بمراتب كلّ منها، و كلّ مرتبةٍ منها ميزان لما يناسبها و يوافقها.

قال تعالى: [فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوٰازِينُهُ] بصيغة الجمع و وجه الثّقل و الخفّة قد عرفت، [فَاُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] فانّ الفلاح بالانجذاب الى العلو و المتّصل منجذب الى العلو بخلاف المنقطع فانّه قد ينجذب الى السّفل و هو الجحيم.

[وَ مَنْ خَفَّتْ مَوٰازِينُهُ فَاُولٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا اَنْفُسَهُمْ] باهمال قوّة الاتّصال و الاستعداد له الّتى اعطاها اللّه تعالى بضاعة لهم [بِمٰا كٰانُوا بِاٰيٰاتِنٰا يَظْلِمُونَ] بعدم الاتّصال بالآيات القرآنيّة و النّبويّة و الولويّة بمراتبها و الانفسيّة، و ظلمها عبارة عن جحودها كما فى الخبر يعنى عدم الاتّصال بها بالكيفيّة المخصوصة و عدم التّوجّه اليها و عدم

السّير اليها، فانّ الظلم منع الحّق عن المستحقّ و قوّة قبول الولاية و التّوجّه اليها و السّير اليها و الحضور عند صاحبها و الفناء فيه حقّ الامام، و بما ذكرنا فی كيفيّة الوزن و الميزان يرتفع الاختلاف عن الاخبار مع غاية اختلافها.

[وَ لَقَدْ مَكَّنّاكُمْ فِي الْاَرْضِ] الطّبيعيّة او ارض البدن او ارض القرآن و السّير و الاخبار لان تؤدّوا الحقوق الى مستحقّيها [وَجَعَلْنالَكُمْ فيها مَعايِشَ] لابدانكم و ارواحكم [قَليلاً ما تَشْكُرُونَ] باداء الحقّ الّذى هو استعداد الاتّصال و القبول من عقلٍ او نبيٍّ او وصيٍّ اليه.

[وَ لَقَدْ خَلَقْناكُمْ] تعداد للنّعم و قبح الكفران بها، [ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ] يعنى خلقنا اباكم آدم (عليه السلام) بجمع ترابه الّذى هو بمنزلة النّطفة، ثمّ صوّرناه بعد اربعين صباحاً كذا قيل، او خلقناكم بالقاء نطفكم فی الارحام، ثمّ بعد مضىّ زمانٍ صوّرناكم بالصّورة الجسمانيّة من امتياز العين و الانف و اليد و الرّجل و الحسن و القبيح و القصير و الطّويل و غيرذلك، و بالصّورة الرّوحانيّة من الاخلاق الحسنة و السّيئّة و السّعادة و الشّقاوة، والى هذا أشير فی الخبر و لاينافی ذلك قوله تعالى: [ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ] فانّ ذرارى آدم (عليه السلام) بعد نزول اللّطيفة الآدميّة الى ارض البدن و هبوطها على صفا نفسها و هبوط حوّاء على مروتها اللّتين هما جهتا النّفس العليا و السّفلى، يصيرون مثل آدم (عليه السلام) ابى البشر و يؤمر الملائكة الّذين هم موكّلون عليهم بالسّجود لتلك اللّطيفة فيسجدون و ينقادون لها غيرابليس الواهمة، فانّه مالم يكسر سورة كبريائه و استعلائه بالرّياضات الشّرعيّة و العبادات القالبيّة و

القلبيّة لا يسلّم لآدم (ع) و لاينقاد له، و شيطانی اسلم علی يدی، اشارة الی ما ذكرنا.

[فَسَجَدُوا اِلَّا اِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ] لم يقل لم يسجد اشارة الی انّ فطرته كانت فطرة العتوّ و الاستكبار و انّه لم يكن من سنخ السّاجدين و لايمكنه السّجود الا بتبديلها.

و لذا ورد انّه لم يكن من المأمورين بالسّجود و أدخل نفسه فی المأمورين [قَالَ مَا مَنَعَكَ اَلَّا تَسْجُدَ] ای ما منعك مضطرّاً الی ان لاتسجد او لا زائدة و تزاد لا للتّأكيد خصوصاً بعد المنع [اِذْ اَمَرْتُكَ قَالَ اَنَا خَيْرٌ مِنْهُ] يعنی حملنی علی ترك السّجدة كونی خيراً منه و خيّرتنی منه بخيريّة مادّتی لانّك.

[خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ] و النّار علويّة شفيفة سريعة الاثر منيرة مبدلة كلّ ما اتّصل اليها بسرعةٍ، و الطّين خلافها، و فی خبرٍ: انّ اوّل من قاس ابليس، و فی خبرٍ: انّ اوّل معصية ظهرت الانانيّة من ابليس الّعين، و أقسم بعزّته لا يقيس أحد فی دينه الاّ قرنه مع عدوّه ابليس فی اسفل درك من النّار.

و فی خبر آخر: كذب ابليس ما خلقه اللّه الاّ من طينٍ قال اللّه الّذی جعل لكم من الشّجر الاخضر ناراً، قد خلقه اللّه من تلك النّار و من تلك الشّجرة و الشّجرة اصلها من طينٍ.

[قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا] من السّماء [فَمَا يَكُونُ لَكَ اَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا] فانّ المحلّ الرّفيع لمن تواضع للّه [فَاَخْرُجْ اِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ] الاذّلاء [قَالَ] بعد ما علم انّه لايعود الی السّماء و محلّه اسفل السّافلين.

[اَنْظِرْنى] أمهلنى [اِلٰى يَوْمِ يُبْعَثُونَ] فلا تعجل فى عقوبتى و اماتتى، [قٰالَ اِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ] انظره ابتلاءً لعباده و تمييزاً للطّيّب منهم عن الخبيث.

[قٰالَ فَبِما اَغْوَيْتَنِى] نسب الاغواء الى اللّه كما هو عادة المتأنّفين من نسبة القبيح الى أنفسهم و الغالب فى ذلك هى النّسوان، [لَاَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ] مترصّداً لاغوائهم كما يترصّد قطّاع الطّريق للفرصة من المارّة، و الصّراط المستقيم هو صراط القلب و هو الولاية التّكوينيّة و التّكليفيّة.

[ثُمَّ لَاٰتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ اَيْدِيهِمْ] من جهة تزيين المشتهيات الاخرويّة و اتعابهم فى العمل لاجلها [وَ مِنْ خَلْفِهِمْ] من جهة المشتهيات الدّنيويّة، [وَ عَنْ اَيْمٰانِهِمْ] بتزيين الاعمال الدّينيّة بحيث يستلذّها و يعجب بها فيفسدها [وَعَنْ شَمٰائِلِهِمْ] بتزيين الاعمال القبيحة بحيث يعدّون قبائحهم حسناتٍ و يباهون بمعاصيهم و ملاهيهم و مقصوده منه، تصوير المخاصمة معهم بكلّ ما يتصوّر المخاصمة به من الخصمين من المباغتة من كلّ جهة و لذلك لم يذكر من فوقهم و من تحتهم، فانّه لايتصوّر للعدوّ الصّوريّ الاتيان منهما و لانّ جهة الفوق جهة الرّحمة الالهيّة و لا يتصوّر نزول الشّيطان منها، وجهة التحت هى جهة الموادّ من العنصريّة و الجماديّة و النّباتيّة و الحيوانيّة.

يعنى مقام الحيوان الخارج عن حدّ الانسان، لا المشتهيات الحيوانيّة الّتى هى تحت الانسانيّة و متّحدة معها و الانسان بالطّبع نافر منها كلّ النّفرة متوحّش كلّ التوحّش لايمكن اغواؤه من تلك الجهة،

والاتيان فى الاوّلين بحرف الابتداء و فى الاخيرين بحرف المجاوزة لتصوير تلك المخاصمة بصورة المخاصمة الصّوريّة.

فانّ الخصم الآتى من القدّام متوجّه الى خصمه غيرمتجاوز عن جهة قدّامه، و كذا الآتى من الخلف يباغت الخصم من خلفه لكنّ الآتى من احد الجانبين يتجاوز عنه و يباغته، او ينصرف المأتىّ اليه بوجهه الى الآتى من احد جانبيه فى الاغلب.

[وَلا تَجِدُ اَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ] لغفلتهم عن الانعام و ابتهاجهم بنفس النّعمة او بصرف النّعمة الّتى انعمت عليهم فى غيروجهها بتلبيسى عليهم وجهها.

[قالَ اخْرُجْ مِنْها] من السّماء [مَذْؤُماً] مذموماً. [مَدْحُوراً] مطروداً [لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ] أقسم مقابلة لقسمه و تأكيداً [لَاَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ اَجْمَعِينَ وَ يا اٰدَمُ] قال يا آدم [اسْكُنْ اَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُما وَ لا تَقْرَبا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظّالِمِينَ] قد سبق فى سورة البقرة.

[فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطانُ] فعل الوسوسة و هى الصّوت الخفىّ فى الاصل ثمّ غلب على ما يلقى الشّيطان فى النّفوس من الخواطر الخفيّة السّيّئة او المؤدّية الى السّوء.

و ان كان المراد ظاهر ماورد فى الاخبار من انّه اختفى بين لحيتى الحيّة و أظهر النّصح لهما بلسانٍ ظاهرىٍّ و سمعاه بالسّمع الظّاهر، فالمقصود انّه اظهر النّصح لهما بصوتٍ خفىٍّ اظهاراً لهما انّه محض التّرحّم و الشّفقة لهما مبالغةً فى الغرور.

فانّ الرّحمة و الشّفقة تقتضيان اخفاء الصّوت لا الاجهار به، والاتيان باللّام للاشارة الى انّه نصح نافع لهما.

[لِيُبْدِيَ لَهُمٰا] اللّام للعاقبة او للغاية على انّه كان عالماً بانّ قرب الشّجر مورث لان يبدى لهما [ما وُرِيَ عَنْهُمٰا مِنْ سَوْاٰتِهِمٰا] و قدورد انّ المراد كان بالسّوأة هو العورة و كانت قبل ذلك مختفيةً غيرظاهرة على انفسهما و لا على غيرهما.

و لكن اذا اريد بالشّجرة شجرة النّفس؛ فانّها مجمع تمام الرّذائل و الخصائل، و به يجمع بين ماورد فى تفسيرها مع اختلافها و تضادّها كماسبق، و بآدم الرّوح المنفوخة فى جسده الّتى هى طليعة العقل، و بحوّاء جهتها السّفلىّ الّتى خلقت من جانبها الا يسر، كان المراد بوسوسة الشّيطان الخطرات الّتى تقرّب الانسان الى المشتهيات النّفسانيّة و بسؤاتهما الرّذائل المكمونة و الاهواء الفاسدة و الآراء الكاسدة الّتى تظهر بعد الاختلاط بالنّفس و مشتهياتها.

و المراد من ورق الجنّة مااقتضاه العقل من الحياء و التّقوى فانّهما من اوراق الجنّة، و بهما و بسائر صفات العقل يستر المساوى و لايتجاهر الانسان بها الاّ ان يهلك العقل و يخرج من الجنّة و حكومة العقل، و نداء الرّبّ عبارة عن نداء العقل فى وجود الانسان بالتّوبيخ على ما يصدر عنه ممّا فيه نقصه.

[وَ قٰالَ مٰانَهٰيكُمٰا رَبُّكُمٰا] عطف على وسوس و تفصيل لها [عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ اِلّٰا اَنْ تَكُونٰا مَلَكَيْنِ اَوْ تَكُونٰا مِنَ الْخٰالِدِينَ] كأنّهما استشعرا ان ليس فى جبلّتهما ما فى الملك و لاما يقتضى الخلود و

استشعرا ما فى الملكيّة و الخلود من الكمال بالنّسبة الى المخلوق المركّب من طباع العناصر فاشتاقا الى الوصفين.

فقال لهما: انّ الاكل من الشّجرة مورث للوصفين و انّ اللّه كرّه لكما الوصفين و لذلك نهاكما عن الاكل.

[وَ قاسَمَهُما] كأنّهما لم يعتمدا على قوله و طلباً منه البيّنة و القسم و عهدا قبول قوله و لذا أتى بلفظ قاسم [اِنّي لَكُما لَمِنَ النّاصِحينَ فَدَلّيهُما] اى اهبطهما مع تعلّقٍ منهما بمقامها العلوىّ [بِغُرورٍ] بمعنى المصدر او بمعنى ما يغرّ به من القسم الكذب و غيره.

[فَلَمّا ذاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُما سَوْاٰتُهُما وَ طَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ] قد مضى البيان [وَ ناديٰهُما رَبُّهُما اَلَمْ اَنْهَكُما عَنْ تِلْكُمَاالشَّجَرَةِ وَ اَقُلْ لَكُما اِنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبينٌ] تقريع و توبيخ لهما على ارتكاب النّهى و الاغترار بقول العدوّ حتّى يتنبّها على نقصهما و يستدركاه بالتّوبة و لذلك ابتدرا بالاعتراف و الاستغفار.

[قالا رَبَّنا ظَلَمْنا اَنْفُسَنا وَ اِنْ لَمْ تَغْفِرْلَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرينَ قالَ اهْبِطوُا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ و لَكُمْ فِى الْاَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتاعٌ اِلى حينٍ] قد سبق الآية فى سورة البقرة.

[قالَ فيها] فى ارض العالم الكبير او الصّغير [تَحْيَوْنَ] بالحيوة الحيوانيّة او بالحيوة الانسانيّة.

[وَ فيها تَمُوتُونَ] بالموتين [و مِنْها تُخْرَجُونَ] فانّ السّعادة و الشّقاوة تحصلان فى الدّنيا و فى غلاف الطّبع و ليس خروج الانسان و

انتقاله الى الجنان او النّيران، الاّ من جهة المادّة و القوّة الّتى هى ارضيّة الدّنيا و الطّبع لا من جهة الصّورة و فعليّتها الّتى هى سماويّتها بوجهٍ.

[يَا بَنِي اٰدَمَ] خطاب منه تعالى لبنى آدم (عليه السلام) اعتناءً بهم و تعداداً لنعمهم [قَدْ اَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوٰارِي سَوْاٰتِكُمْ وَ رِيشاً] يعنى خلقنا لكم ما يستر بشرتكم و يقيكم من الحرّ و البرد و ما يستر عوراتكم البشريّة عن الانظار، و ما تتجمّلون به من الملبوس الفاخر فانّ الرّيش هو ما يتجمّل به، و ريش الطّائر جماله.

و الوصفان قد يجتمعان فى واحدٍ، و يطلق الرّيش على متاع البيت و على ما يعيش الانسان به و على سعته و مكنته و نزولهما بحسب نزول اسباب مادّتهما من الامطار و الآثار من تأثيرات الكواكب و حركات الافلاك، و نزول اسباب تحصيل صورتهما من الّتميز و قوّة التّدبير، واذا اريد باللّباس ما يستر العورات المعنويّة من الافعال الحميدة و الصّفات الجميلة و يؤيّده قوله.

[وَ لِبٰاسُ التَّقْوىٰ ذٰلِكَ خَيْرٌ] فنزوله واضح، واضافة اللّباس الى التّقوى من قبيل اضافة العامّ الى الخاصّ، او اضافة المسبّب الى السّبب، او اضافة المشبّه به الى المشبّه.

فانّ التّقوى و ان كان مفهومها راجعاً الى العدم لكن لها حقيقة وجوديّة بها يحصل التّنزّه عن الرّذائل من الافعال و الاوصاف و بالتّنزّه تحصل الخصائل الّتى بها تسترالعورات المعنويّة و النّقائص النّفسانيّة و يحصل التّجمّلات الانسانيّة.

و فى الخبر: و امّا لباس التّقوى فالعفاف انّ العفيف لايبدوله عورة

و ان كان عارياً من الثّوب، و الفاجر بادى العورة و ان كان كاسياً من الثّياب، و تخلّل اسم الاشارة بين المبتدء .

و الخبر للاهتمام بذلك اللّباس و تصوير الامر المعنوىّ متمثّلاً حاضراً و قرىء لباس التّقوى بالنّصب عطفاً على لباساً.

[ذٰلِكَ مِنْ اٰيٰاتِ اللّهِ] اى انزال اللّباس مع شدّة حاجتكم اليه، او كون لباس التّقوى خيراً بحيث لايخفى عليكم او لباس التّقوى، فانّ ذلك كلّه من آيات علمه و حكمته و قدرته [لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ] صرف الخطاب عنهم بطريق الالتفات و هو غاية لانزال اللّباس او لجعل ذلك من آياته.

[يٰا بَنِى اٰدَمَ] نداء آخر لهم بعد ذكر نعمة ستر عوراتهم لنهيهم عمّا يزيل تلك النّعمة [لاٰ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ] بتزيين شجرة النّفس و ثمرة مشتهياتها وايلاعكم بها فيزيل عنكم تلك النّعمة من، فُتِنَ الى النّساء، على صيغة المفعول اذا اولع بهنّ و اراد الفجور.

[كَمٰا اَخْرَجَ اَبَوَيْكُمْ] بالافتتان بشجرة النّفس [مِنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمٰا لِبٰاسَهُمٰا لِيُرِيَهُمٰا سَوْاٰتِهِمٰا اِنَّهُ يَرٰيكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاٰ تَرَوْنَهُمْ] لانهّم من اهل الملكوت السّفلى و لايراهم البشر ببصره الملكىّ بل ببصيرته الملكوتيّة و الجملة تعليل للتّحذير و التّذكير المستفاد من النّهى تأكيداً له، و لمّا كان هناك مظنّة سؤال ان لايمكن الخلاص لاحدٍ من فتنته لعداوته و خفائه و خفاء مخايل عدواته فلم يكن فائدة لنّهى و التّحذير عنه، قال تعالى جواباً انّ وجه الخلاص منه الايمان بالآخرة و الخروج من الرّسوم و العادة ، لانّالم نجعل للشّياطين تصرّفاً و تسلّطاً على من هذه صفته.

[اِنَّا جَعَلْنَا الشَّياطِينَ اَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لا يؤمنوُنَ] لتخليتنا بينهم و بينهم بعدم محافظة الملائكة.

[وَاِذٰا فَعَلوا فاحِشَةً قالُوا] لساناً او حالاً [وَجَدْنا عَلَيْها اٰباءَنا] يعنى اعتمدوا و اطمأنّوا على ما اعتادوه، و نسبوا عاداتهم الى اللّه كما هو شأن عامّة النّاس.

[وَ] قالوا: [اللّٰهُ اَمَرَنا بِها قُلْ] ردّاً لهم فى نسبة العادات الى اللّه [اِنَّ اللّٰهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ] ليس المراد بالفحشاء ما يستقبحه العقل و الشّرع بحسب الصّورة، بل المراد ما صدر عن النّفس لغايات نفسانيّة سواء كان صورته صورة ما قرّره الشّرع او نهى عنه.

فالصّلوة رياءً او لقصد الجاه او المال او حفظ مالٍ او عرضٍ او دمٍ فاحشة.

[اَ تَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ ما لا تَعْلَمُونَ] فى الخبر انّه لايزعم احد انّ اللّه يأمر بالزّنا و شرب الخمروشيءٍ من هذه المحارم، بل هذا فى ائـمّة الجور ادّعوا انّ اللّه أمرهم بالايتمام بقوم لم يأمرهم اللّه بالايتمام بهم، و هو يؤيّد ما ذكرنا من تفسير الفحشاء و كذا يؤيّده قوله:

[قُلْ اَمَرَ رَبّي بِالْقِسْطِ] فانّ القسط هو توسّط النّفس فى الافعال و الاقوال و الاحوال و الاخلاق و العقائد بين تفريط النّفس عن الاغراض العقليّة و افراطها فيها بحيث يؤدّى الى ما نهى عنه كالاغراض الدّنيويّة.

[وَ اَقيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ] و هذا يؤيّد ما ذكـر فـى الخبر من تفسير الفحشاء، و اقامة الوجه صرفه عن الانـحراف الى مـا ينبغى ان يتوجّه اليه من قبلته، و قبلة وجه البدن اشرف بقاع الارض، و

قبلة وجه النّفس القلب، قبلة وجه القلب الرّوح، و قبلة الرّوح هى الولاية المطلقة، و قبلة الكلّ هى خليفة اللّه.

و المسجد ايضاً يعمّ المساجد الطّينيّة و المساجد الرّوحانيّة من القلب و الرّوح و الولاية المطلقة و الايّام المتبرّكة و السّاعات الشّريفة من كلّ يومٍ، و المساجد الحقيقيّة البشريّة الّذين هم خلفاءاللّه فى ارضه و بيوته لخلقه و اصل الكلّ هو خليفة اللّه الاعظم اعنى عليّاً (عليه السلام).

و جمع الوجوه بجمع الكثرة مضافاً مفيداً للاستغراق والاتيان بكلمة كلّ فى جانب المسجد للاشارة الى تعميم الوجه و المسجد و قد فسّر المسجد ههنا فى الخبر بالائمّة (عليهم السلام).

[وَادْعُوهُ] اى ادعوا ربّى او ادعوا المسجد و هو عطف على اقيموا كما انّ اقيموا عطف على امر ربّى ليكون مقولاً لقل، او عطف على امر بتقدير قال ليكون مقولاً لقول اللّه تعالى و المعنى ،ادعوا ربّى او المسجد بتصفية بيوت قلوبكم عمّا يمنعه من دخولها و استيلائه عليها ثمّ باستدعاء دخوله بالسنة قالكم و حالكم و استعدادكم، فانّ قلب المؤمن عرش الرّحمن و بيت اللّه الّذى اذن ان يرفع كما قيل:

هر كه خواهد هم نشينى با خدا

گو نشيند در حضور اوليا

و كما قيل:

مسجدى كو اندرون اولياست

سجده گاه جمله است آنجا خداست

لكن لايدخله الاّ بعد تصفيته عمّا لايليق به تعالى و قد سبق فى

سورة البقرة عند قوله تعالى: و من أظلم ممّن منع مساجد اللّه (الى آخرها) تحقيق للمسجد.

[مُخْلِصينَ لَهُ الدّينَ] اى طريق الدّعوة من الاغراض والاهواء خارجين من ارادتكم و اختياراتكم كالميّت بين يدى الغسّال مؤتمرين بأمر، موتوا قبل ان تموتوا،فانّه [كَمٰا بَدَأَكُمْ] من غيرارادةٍ منكم و اختيارٍ و غرضٍ و هوىً.

[تَعُودُونَ] فمن أراد العود اليه فليخرج من جميع ما ينسب الى نفسه و الاّ فسيعيده الملائكة الغلاظ كاعادة العبد الجانى الآبق الى مولاه للمؤخذة، او المعنى ادعوه متضرّعين منتظرين للورود عليه مخلصين له الطّاعة و العبادة لانّه كمابدأكم تعودون اليه فيجازيكم على طاعاتكم و على اىّ تقدير يكون قوله كما بدأكم تعودون فى مقام التّعليل.

[فَريقاً هَدٰى] جملة حاليّة او مستأنفة لبيان حال العباد حين العود كما فى الخبر او مطلقاً ترغيباً و تحذيراً، [وَ فَريقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ اِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطينَ اَوْلِيٰاءَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ] تعليل لحقّيّة الضّلالة و المراد بالشّياطين شياطين الجنّ فى تزيين الاهواء و المشتهيّات و شياطين الانس فى تزيين باطلهم بصورة الحقّ من ائمّة الجور و اظلالهم؛ [وَ يَحْسَبُونَ اَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ] فى اتّباع العادات و الاهواء و استنباط احكام اللّه بالآراء و الاستبداد بالظّنون المستنبطة من الاقيسة و الاستحسانات، و اخذ احكام اللّه ممّن لم يؤمروا بالاخذ منهم و الايتمام بهم، و التّحاكم الى من أمر اللّه ان يكفروا به والعمل بما لم يأخذوا ممّن

امروا ان يأخذوا منه ممّن نصّ اللّه و رسوله (ﷺ) عليه.

و بالجملة كلّ من لم يكن منصوصاً من اللّه و لا من رسوله(ﷺ) و لا اوصيائه (عليهم السلام) خصوصاً و لا عموماً و لا آخذاً من المنصوص عليه كذلك فقوله و فعله و حاله كلّها ضلالة، سواء استبدّ برايه او اخذ من غير المنصوص عليه سواء كان ذلك الغير من ائمّة الجور و المستبدّين بالآراء او من المتقلّدين للعلماء و الآباء، و سواء كان المأخوذ موافقاً لصور احكام اللّه او لا، و سواء كان من العادات و الرّسوم اولا، ثمّ بعد التّنبيه على وجوب اقامة الوجوه عند كلّ مسجد و اخلاص الدّين للّه صرف الخطاب عنه (ﷺ) الى الخلق.

فقال :[يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ] ما به جمالكم من طهارة الابدان من الاخباث و الاحداث و الثّياب الجميلة الطيّبة و تحسين شعور رؤسكم و الحاكم بالمشط، و غيره ممّا يتزيّن به من الادهان و الخضاب، و من الافعال الحميدة و الاقوال الفصيحة المفصحة عن أمور الآخرة و من محبّة ذوى القربى و العقائد الصّحيحة، و من الاحوال و الاخلاق الجميلة و المكاشفات الصّحيحة والمشاهدات القلبيّة و المعاينات الرّوحيّة.

[عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ] و قد سبق بيان المسجد و وجه دخول لفظ العموم عليه و انّ اصل الكلّ هو خليفة اللّه فى الارض، و قد فسّر الزّينة و المسجد فى هذه الآية و فى غيرها بما ذكرنا من اراد الاطّلاع على ماورد عن المعصومين(عليهم السلام) فليرجع الى الكافى و الصّافى و غيرهما.

[وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا] فانّ التّزيّن و الاكل و الشّرب مباحة لكم و لا

تنافى اقامة الوجوه عند المساجد بل تقويكم على ذلك، و لا يخفى تعميم الاكل و الشّرب كالزّينة.

[وَ]لكن [لاٰ تُسْرِفُوا] بالافراط فى التّزيّن بحيث يمنعكم من اقامة الوجوه لاشتغال نفوسكم بتحصيلها و تحصيل ثمنها و حفظها عن التدنّس و بالافراط في الاكل و الشّرب و فى طيبوبة المأكول و المشروب لتضرّركم بالزّيادة على قدر اشتهائكم فى ابدانكم و نفوسكم و كسالتكم و اشتغالكم.

[اِنَّهُ لاٰ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ] فى اىّ شيءٍ كان لانّ الاسراف يجرى فى جملة الافعال و الاقوال و الاحوال، كما ورد فى جواب من قال: افى الوضوء اسراف ؟ ـ من قوله (عليه السلام) : نعم فى الوضوء اسراف ولو كنت على نهرٍ، فانّ استعمال القوى و الاعضاء فى كلّ فعلٍ زائداً على تحصيل حقيقة ذلك الفعل واجباً كان ام مندوباً، ام مباحاً و زائداً على تحصيل كمالاته اسراف. هذا بحسب التّنزيل، و امّا بحسب التّأويل و الباطن فالاسراف فى الاكل و الشّرب و اللّبس بأنّه يكون كلّ منها بغلبة النّفس على العقل و الغفلة عن الامر و النّهى، فانّه اسراف استحصال النّفس فى مشتهياتها حتّى تصير غالبة على العقل و الامر الآلهىّ.

[قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِي اَخْرَجَ لِعِبادِهِ] كأنّهم كانوا يعدّون ترك التّزيّن و ترك الطّيّب من المأكول و المشروب من لوازم العبادة و طلب الآخرة، فأمرهم اوّلاً بالتّزيّن و الاكل و الشّرب، و ثانياً بانكار تحريمه تأكيداً، و التّوصيف بالاخراج لعباده اشارة الى انّ الزّينة اوّلاً و بالذّات لمن صار عبداً له و لغيره بتبعيّته لا انّه حرام عليه لعبادته.

[وَ الطَّيِّبٰاتِ مِنَ الرِّزْقِ]البدنىّ النّباتىّ و الحيوانىّ و الانسانىّ و من الرّزق الرّوحانىّ من ارزاق النّفوس و القلوب و الارواح.

[قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ اٰمَنُوا فِى اْلحَيٰوةِ الدُّنْياٰ] اعلم، انّ الدّنيا و الآخرة خلقتا لخليفة اللّه بالذّات و هذا احد وجوه قوله: لولاك لما خلقت الافلاك، فمن اتّصل به بالاتّصال التّقليدىّ الّذى هو قبول الدّعوة الظّاهرة و قبول ما اخذ عليه بالبيعة العامّة و عقد يده على يد الخليفة بالمعاهدة الاسلاميّة، او اتّصل به بالاتّصال الايتمام الّذى هو قبول الدّعوة الباطنة و قبول ما اخذ عليه بالبيعة الخاصّة و عقديده على يد الخليفة بالمعاهدة الايمانيّة ، فدخل الايمان الّذى هو صورة نازلة من الخليفة فى نازل مراتب قلبه الّذى هو الصّدر، ثمّ دخل صورة اخرى له ملكوتيّة فى مرتبةٍ اخرى من قلبه هى اعلى من تلك المرتبة.

و هكذا الى ان يتحقّق بحقيقة الخليفة فهما كانتا له بقدر اتّصاله و يرث من الخليفة بحسبه، و من لميتّصل به بشيءٍ من الاتّصال فهما عليه حرامان و اذا ملك شيئاً من الدّنيا ممّا غلب عليه كان مغصوباً فى يده، و لذلك قال: هى للّذين آمنوا فى الحيوة الدّنيا، من غيرتقييد بالخلوص من يد الغير يعنى سواء غلب عليها غيرهم او لم يغلب عليها، و لمّا لم يمكن غلبة الغير عليها فى الآخرة .

قال: [خاٰلِصَةً يَوْمَ القِيٰمَةِ] قرىء خالصةً بالرّفع و بالنّصب و اعراب الآية ان هى مبتدءٌ و للّذين آمنوا خبره، او حال و فى الحيوة الدّنيا خبر، او خبر بعد خبرٍ، او حال عن فاعل آمنوا، او عن المستتر فى الظّرف، او ظرف لغو متعلّق بآمنوا ، او بقوله للّذين آمنوا، او بعاملٍ من افعال

الخصوص حال، او خبر بعد خبر، او خبر ابتداءٍ اى مغصوب عليها فى الحيوة الدّنيا، و خالصة على قراءة الرّفع خبر هى، او خبر بعد خبرٍ، او خبر مبتدءٍ محذوفٍ، و على قراءة النّصب حال من واحد من العوامل السّابقة.

و عن الصّادق (ع) بعد ان ذكر انهار الارض فما سقت و استقت فهو لنا و ما كان لنا فهو لشيعتنا و ليس لعدوّنا منه شيءٌ الاّ ما غصب، و انّ وليّنا لفى اوسع ممّا بين ذه و ذه، يعنى ممّا بين السّماء و الارض ثمّ تلاهذه الآية : قل هى للّذين آمنوا فى الحيوة الدّنيا المغصوبين عليها خالصة لهم يوم القيامة بلا غصبٍ.

و فى قوله تعالى :اَلْيَوْمُ اُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبات بعد قوله : اَلْيَوْمُ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُم و بعد قوله : اَلْيَوْمُ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُم اشارة الى ذلك.

[كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْاٰيٰاتِ] اى الآيات التّكوينيّة من استحقاق كلّ لما يحقّ له و اعطاء كلّ ذى حقّ حقّه بالآيات التّدوينيّة.

[لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] يشتدّون فى السّلوك الى الآخرة و يزدادون فى علمهم، فانّ العلم هو ما كان متعلّقاً بالآخرة مع ازديادٍ و اشتدادٍ و كلّ ادراك لم يتعلّق بالآخرة او كان متعلّقاً بها لكن لم يكن له اشتداد بل كان واقفاً او منكوساً بواسطة الاغراض الدّنيويّة لايسمّى علماً عند اهل اللّه بل جهلاً، و اذا اطلق عليه اسم العلم من باب المشاكلة و الموافقة لمخاطباتهم، فقلّما ينفكّ عمّا يشعر بذمّه او ينفى اسم العلم عنه و لقد علموالمن اشتريه ماله فى الآخرة من خلاق، و لبئس ماشروا به انفسهم لوكانوا يعلمون، يعلمون ظاهراً من الحيوة الدّنيا و هم عن الآخرة هم

غافلون، ذلك مبلغهم من العلم.

و قد سمّاه اشباه النّاس عالماً ان يتّبعون الاّ الظّنّ و ان هم الاّ يخرصون، و لذلك سمّوا شيعتهم الّذين بايعوهم بالبيعة الخاصّة الولويّة الّذين دخل الايمان فی قلوبهم علماء و عرفاء: شيعتنا العلما، شيعتنا العرفاء بطريق الحصر، فمن لم يكن سالكاً الی الآخرة و سائراً الی اللّه بقدم الايتمام بامامٍ حقٍّ منصوصٍ من اللّه و ان بلغ ما بلغ فی علومه الحكميّة و ظنونه الفرعيّة لايسمّی عالماً و هو لا ينتفع بتفصيل الآيات، لانّ نظره الی الآيات من حيث انفسها، او من حيث جهاتها الدّنيويّه لامن حيث انّها آيات دالاّت علی اللّه و علی امور الآخرة.

كما نقل عن الصّادق (عليه السلام) انّه قال لابی حنيفة فی جملة كلامه: و ما اراك تعرف من كتابه حرفاً، و من توسّل بهم بالايتمام بالبيعة الولويّة و ان لم يكن قرأ حروف التّهجّی فهو عالم عارف و هو المنتفع بالآيات و تفصيلها، لانّ نظره الی الاشياء الآفاقيّة و الا نفسيّة من حيث صدورها عن اللّه و دلالتها عليه، و لمّا اباح لهم الاكل و الشّرب و اكّد ذلك باختصاص الزّينة و طيّبات الرّزق بهم اراد ان يأمر نبيّه (صلی الله عليه و آله) ببيان المحرّمات بالذّات و الموجبات لحرمة المباحات بالعرض، ليتبيّن الطّيّب من غير الطّيّب.

فقال تعالی [قُلْ اِنَّما حَرَّمَ رَبِّیَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ الْاِثْمَ وَ الْبَغْیَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ اَنْ تُشْرِكُوا بِاللّٰهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَ اَنْ تَقُولُوا عَلَی اللّٰهِ مالا تَعْلَمُونَ] فذكر تعالی بطريق الحصر خمسة اشياء راجعة الی ثلاثة هی اصول المحرّمات.

اعلم، انّ اللّه خلق الانسان من نطفةٍ ضعيفة غير حافظة لصورتها واودع فيها لطيفة سيّارة سالكة الى اللّه بقدم الصّدق على الطّريق المستوى و الخطّ المستقيم عن الجماديّة الّتى هى انزل مراتب المواليد الى النّباتيّة ثمّ منها الى الحيوانيّة، ثمّ الى البشريّة الّتى هى ملكوت بين الملكوتين السّفليّة الّتى هى دار الشّياطين و الجنّة و سجن المتكبّرين و المعذّبين من الآ دميّن، و العلويّة الّتى هى دار الملائكة ذوى الاجنحة و دار السّعداء و اصحاب اليمين.

فاذا استحكم علمه بعلمه و شعوره بشعوره و تقوّى ارادته و اختياره و تميّزه بين الخير و الشّرّ الحقيقيّين، استعدّ لقبول التّكليف و الدّعوة النّبويّة، فان ساعده التّوفيق و تداركه الدّعوة النّبويّة و قبل تلك الدّعوة و انقاد تحت حكم الدّاعى صار مسلماً و مشرفاً على التّوحيد الحقيقىّ و الايمان و قبول الدّعوة الباطنة الولويّة، و يسمّى حينئذٍ مؤمناً و موحدّاً باعتبار اشرافه على الايمان و التّوحيد، و ان لم يتداركه الدّعوة العامّة او لم يقبلها اولم يعمل على مقتضاها حتّى ابطل استعداده القريب للدّعوة الخاصّة و اختفى طريق القلب و اماراته و طريق التّوحيد و علاماته، اولم يبطل استعداده القريب لقبول الدّعوة الخاصّة و بقى له استعداد قريب لذلك لكن لم يخرج تلك القوّة و الاستعداد الى الفعل بعدُ و توجّه تارةً الى ما اقتضاه استعداده و طلب مايدلّه على طريق القلب و يخرجه من القوّة الى الفعل.

و تارة الى ما اقتضته نفسه و اهويتها من مشتهيات الحيوانيّة لم يكن حينئذٍ مؤمناً موحّداً لاحقيقةً و لامجازاً بل كان كافراً اذا لم يبق له

استعداد قريب، سواء اقرّ بدينٍ و كتابٍ و نبيٍّ و سمّى مسلماً و مؤمناً ام لم يقرّ و سمّى كافراً، او كان مشركاً اذا بقى له استعداد سواء أشرك باللّه فى الظّاهر صنماً و كوكباً و غيرهما ام لا، و سواء قرّ بدينٍ و نبيٍّ ام لا، و سواء بايع نبيّاً او وليّاً بالبيعة العامّة او الخاصّة ام لا،و سواء اتّصل او اعتقد بائمّةالجور و مظاهر الشّياطين املا.

و بهذا المعنى فسّر الكفر و الشّرك فى الآيات بالكفر بالولاية و الشّرك بالولاية و هذان غيرالكفر و الشّرك الظّاهرين لجواز اتّصاف المسلم و المؤمن بهما، والكافر بهذا المعنى مطيع للنّفس و الشّيطان، و افعاله ليست الّا من طاعتهما و هكذا اخلاقه و هى امّا متناهية فى القبح بحيثٍ يعدّها الشّرع و العقل و العرف قبيحة، كالزّنا و اللّواط و السّبعيّة المفرطة و الشّرّه المفرط ممّا يستقبحه كلّ احدٍ و يستخفى فاعله حين الفعل من النّاس حتّى من امثاله و تسمّى بالفواحش، و افعال الجوارح الّتى كانت كذلك هى الفواحش الظّاهرة و رذائل النّفس هى الفواحش الباطنة.

و قد يسمّى بعض افعال الجوارح بالباطنة اذا صارت عادة بحيث لايستخفى فاعلها عن الخلق، كنكاح زوجة الاب الّذى كان فى الجاهليّة و كنكاح المحارم الّذى كان بين الهنود، و كالتّجسّس و الغيبة و التّهمة و التّنابز بالالقاب مع انّها اشدّ من نكاح المحارم الّتى شاعت بين المسلمين.

لانّ كونها فاحشة مختفٍ عن انظار امثال فاعلها، و قد يفسّر الفاحشة الباطنة بالّتى يستخفى فاعلها كالزّنا و اللّواط و الظّاهرة بالّتى

لايستخفى كنكاح زوجة الاب عكس ماذكر و له وجه.

اوغير متناهيةٍ فى القبح بحيث لايعدّها العقول الجزئيّة من امثاله قبيحةً ولايستخفى فاعلها من امثاله و هو الاثم كشرب الخمر و النّبيذ، او بحيث يعدّها العقول الجزئيّة من امثاله خيراً و مدحاً لفاعله و يباهى فاعلها باعلانها كالحكومات و القضاوات الغير الشّرعيّة الّتى هى مثال القضاوات الشّرعيّة و ساير المناصب الشّيطانيّة الّتى يتمنّاها امثاله من الجهلة.

و بعبارةٍ اخرى امّا تظهر افعاله و اخلاقه بصورة افعال النّساء او بصورة افعال الخناثى او بصورة افعال الرّجال.

و بعبارةٍ اخرى فاعلها فى الانظار الجزئيّة المخطئة امّا ذوانوثةٍ او ذوخنوثةٍ او ذو ذكورةٍ، والى هذه الثّلاثة اشير بالفواحش و الاثم و البغى و حاصل الحصر.

انّ الانسان امّا كافر او مشرك بالكفر و الشّرك الحقيقيّين او مؤمن، و الكافر جميع ما يصدر عنه محرّم عليه قولاً او فعلاً او خلقاً لانّها تابعة للكفر المحرّم و هى تنقسم الى ثلاثة اقسامٍ.

و اكتفى عن ذكر الكفر بماذكر لاستلزامها ايّاه و شمولها المحرّمات المشرك و المؤمن من حيث الكفر، و المشرك له جهة كفر وجهة ايمان، و آثاره من حيث الكفر ملحقة بآثار الكفر و من حيث الايمان بالايمان، و المؤمن آثاره من حيث الايمان حلال له الّا نسبة القول الى اللّه من غير علمٍ على التّفصيل الاتى، و لمّا كان المراد بالبغى مطلق التّبسّط و الحكومة و الرّياسة، قيّده تعالى بقوله بغير الحقّ من : بغى بغياً، استطال

و لاحاجة الى جعل القيد بيانيّاً خلافاً للظّاهر و قيد الاشراك بما لم ينزّل به سلطاناً .

اشارة الى انّ المراد بالشّرك باللّه الشّرك بالولاية و الشّرك بالولاية التّكوينيّة امّا بمرمّة المعاش او تلذّذ النّفس و هما ان كانا من جهة امرٍ آلهيٍّ لم يكونا اشراكاً باللّه ما لم ينزّل به سلطاناً، و الشّرك بالولاية التّكليفيّة ان كانت باشراك من امر الامام (عليه السلام) باتّباعه لم يكن اشراكاً باللّه ما لم ينزّل به سلطاناً، ليس الشّرك باللّه حالاً و شهوداً الاّ الاشراك بالولايتين .

فالتّقييد هناك ايضاً فى محلّه ولاحاجة الى التّكلّفات الّتى ارتكبوها، و الموحّد الحقيقىّ او المشرف على التّوحيد امّا يكون قوله و فعله و خلقه و اعتقاده من حيث توحيده او لم تكن من حيث توحيده و ايمانه فما كان من حيث الايمان فهوحلالٌ:

كفر گيرد ملّتى ملّت شود

و مالم يكن من حيث الايمان فهو ملحق بافعال الكافر و اخلاقه لكنّ المؤمن قد يجرى على لسانه بقوّة محبّته، اولوجدانه و شهوده، او لاعتياده السّابق من سهولة الخطب فى القول ما لم يأخذه من عالم وقته و لم يتيقّنه من شهوده و وجدانه، او تيقّنه لكن لم يكن موافقاً لحاله، او لم يكن موافقاً لحال السّامع بحسب الوقت و المكان فنهى اللّه تعالى عن ذلك ، و ان كان من حيث ايمانه فعلى هذا كان تقدير قوله تعالى: ما لا تعلمون ما لا تعلمون عينه او وقته او مستمعه او موافقته لحاكم، و لمّا كانت ائمّة الجور متحققّة بتلك المحرّمات و صارت تلك المحرّمات

ذاتيّة لهم صحّ تفسيرها بائمّة الجور.

وفسّر فى بعض الاخبار بالسّلاطين من بنى اميّة و سائر ولاة الجور و نقل عن الصّادق (عليه السلام):

انّ القرآن له ظهر و بطن فجميع ما حرّم اللّه فى القرآن هو الظّاهر و الباطن من ذلك ائمّة الجور، و جميع ما احلّ اللّه فى الكتاب هو الظّاهر و الباطن من ذلك ائمّة الحقّ (عليهم السلام)و السّرّ فى ذلك ما قلنا من انّ ائمّة الجور هم المتحققّون المتجوهرون بجميع المحرّمات، و ائمّة الحقّ (عليهم السلام) هم المتحققّون المتجوهرون بجميع المحلّلات.

و عنه (عليه السلام) فى بيان ان تقولوا على اللّه مالاتعلمون :ايّاك و خصلتين فيهما هلك من هلك، ايّاك ان تفتى النّاس برأيك و تدين بما لاتعلم.

و فى روايةٍ ان تدين اللّه بالباطل و تفتى النّاس بمالاتعلم.

و الغرض انّ الاعتقاد و الفتيا اذا لم يكونا بوحيٍ او تحديثٍ و لا بتقليد صاحب وحيٍ و تحديثٍ فهما قول على اللّه بما لا يعلم !

فالويل! ثمّ الويل لمن استبدّ برأيه فى دينه من غير اخذٍ من اهله !و لمن افتى النّاس من غير علمٍ واخذٍ من صاحب وحى و تحديثٍ حيث قرنه اللّه بالكافر و المشرك.

[وَ لِكُلِّ اُمَّةٍ اَجَلٌ] كأنّه قال فكلّ من المؤمنين و مرتكبى الفواحش و الاثم و البغى و المشرك و القائل على اللّه مالايعلم امّة قاصدة جهة من جهات الآخرة و ليس لواحدةٍ منهم البقاء فلا يتّكلوا على قلائل ايّامهم.

لانّ لكلّ امّة اجلاً [فَإِذٰا جٰاءَ اَجَلُهُمْ لاٰ يَسْتَأْخِرُونَ سٰاعَةً وَ لاٰ يَسْتَقْدِمُونَ] اى اذا قدّر و عيّن مجىء اخر وقتهم للموت او مدّة عمرهم لايتأخّرون اقصر وقتٍ ولايتقدّمون لخروج ذلك عن اختيارهم اولايطلبون التّأخّر و التّقدّم لعدم علمهم بذلك الوقت، او لعلمهم بانّه خارج عن اختيارهم او اذا قارن مجىء اجلهم لايطلبون ذلك لدهشتهم و هو وعيد و تمهيد لقول تعالى :[يٰا بَنِى اٰدَمَ اِمّٰا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ اٰيٰاتِي] التّكوينيّة بالآيات التّدوينيّة.

[فَمَنِ اتَّقٰى] مخالفة الآيات التّدوينيّة بترك العمل بها و مخالفة الآيات التّكوينيّة الآفاقيّة و الانفسيّة بترك الاتّعاظ بها و الاعراض عنها.

و الآيات العظيمة الّذين هم الانبياء (عليهم السلام) و الاولياء (عليهم السلام) بترك اتبّاعهم و تكذيبهم و الاستهزاء بهم [وَ اَصْلَحَ] بالاتّصال بالآيات العظمى بالبيعة العامّة و الخاصّة بالاتّعاظ بالآيات الصّغرى.

[فَلاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاٰهُمْ يَحْزَنُونَ] قد مضى هذه الآية فى اوّل البقرة و فى سورة الانعام مفصّلاً.

[وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيٰاتِنٰا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهٰا] بترك امتثالها و الاتّعاظ بها والاتّصال بها باحدى البيعتين [اُولٰئِكَ اَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ] و قد اختلف القرينتان فى لفظ الموصول و دخول الفاء و عدمه و النّفى و عدمه و تكرار المبتدأ باسم الاشارة و عدمه ، و الوجه فى ذلك الاشارة الى اتّحاد نفوس المتّقين و الاختلاف و الفرقة فى المكذّبين .

و الاشارة الى لزوم الخبر للصّلة فى الاولى دون الثّانية لعدم

تخلّف وعده تعالى دون وعيده، ولوجعل من شرطيّة كان ابلغ فى ذلك المعنى و لذلك أتى فى الاولى بمن المشتركة بين الشّرط و الموصول و احضار المبتدأ بوصفه المذكور له تفظيعاً لحال المكذّبين و تحذيراً عن مثل حالهم مع قصد حصر صحابة النّار فيهم بخلاف الاولى.

فانّه لم يقصد فيها حصر لما سبق من جواز تخلّف الوعيد و دخول المكذّبين الجنان و رفع الخوف و الحزن عنهم، و وجه الاختلاف بنفى ضدّ المستحقّ فى الاولى و اثبات المستحقّ فى الثّانية كون المقام مقام الوعيد والانذار.

فانّ ذكر المحرّمات توعيد لمرتكبيها لاوعد لتاركيها لانّ الفضل لمن امتثل الامر لالمن ترك المنهيّ و لذا لم يكتف بقوله فمن اتّقى و اضاف اليه اصلح فى جانب الوعد.

و كذا الاخبار بانقضاء الامد و فناء البسطة واتيان الرّسل بعد تلك الانذارات توعيد للمكذّبين، و لكون المقام للانذار بسط فى جانب الوعيد دون الوعد والمناسب لمقام الوعيد نفى الخوف و الحزن عن غير المستحقّ و اثبات العقوبات للمستحقّ.

[فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِباً] اتى بفاء التّفريع و الاستفهام الانكاريّ اشارة الى استنباطه ممّا سبق و تأكيداً لاظلميّة المفترى. فانّ مفهومه و ان كان لنفى اظلميّة الغير من المفترى لكنّ المقصود اثبات اظلميّة المفضّل عليه. و المراد بالمفترى ائمّة الجور و رؤساء الضّلالة الّذين لم يكونوا اهلاً للرّياسة و يدّعون الخلافة و هم اشدّ ظلماً ممّن كذّب بآياته فقط. و القائل على اللّه مالايعلم أخفّ ظلماً منهما

فانّه لاينافى تصديق الآيات كما سبق.

[اَوْ كَذَّبَ بِاٰيٰاتِهٖ] لانّه قد سبق انّه المستحقّ لصحابة النّار.

و المراد بالمكذّب بالايات تابع ائمّة الجور و المقصود من الآيات اعظمها و غايتها الّتى هى الولاية و من المفترين و المكذّبين منافقوا الامّة الّذين قبلوا الدّعوة الظّاهرة و بايعوا محمّداً ﷺ بيعة اسلاميّة بقرينة قوله: [اُولٰئِكَ يَنٰالُهُمْ نَصيبُهُمْ مِنَ الْكِتٰابِ] لانّ المراد بالكتاب الكتاب المعهود المفسّر بكتاب النّبوّة، و لمّا كان لقبول الدّعوة الظّاهرة و الاحكام القالبيّة الاسلاميّه شرافة و اثر فمن قبل و عمل و لم يكن له نصيبٌ من الآخرة يناله اثر ذلك العمل و الحظّ الموعود فى الدّنيا حتّى يخرج من الدّنيا و ليس له حقّ على اللّه، من كان يريد ثواب الدّنيا باسلامه و قبول احكامه يؤته منها و ماله فى الآخرة نصيب.

[حَتّٰى اِذٰا جٰاءَتْهُمْ رُسُلُنٰا يَتَوَفَّوْنَهُمْ] بقبض ارواحهم حال من الفاعل او المفعول او كليهما او مستأنف جواب لسؤالٍ مقدّرٍ، اوهى جواب اذا و قوله :و [قٰالُوا] حال او مستأنف، او عطف على جاءتهم او يتوفّونهم يعنى قال الرّسل تقريعاً لهم.

[اَيْنَ مٰا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ] بالاعراض عن خلفائه و مظاهره الولويّة و دعوة غيرهم من مظاهر قهره و اعوان اعدائه ممّن ادّعى الخلافة فى مقابل اوصياء انبيائه (عليهم السلام).

[قٰالُوا ضَلُّوا عَنّٰا] قالوا ذلك لانّهم كانوا اصحاب الخيال و الكثرات و دعوتهم لائمّة الجور كانت من جهة الحدود و التّعيّنات و حين المحاسبة و ظهور الوحدة لايبقى حدّ و تعيّن و يرون انّهم كانوا

ساترين فى تلك الدّعوة جهة الوحدة و الولاية.

[وَ شَهِدُوا عَلٰى اَنْفُسِهِمْ اَنَّهُمْ كٰانُوا كٰافِرينَ] لوجهة القلب و الولاية [قالَ] اللّه [ادْخُلُوا] بعد عودهم عن الوحدة الى مقرّ الكثرة حالكونكم.

[فى اُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْاِنْسِ] الّذين كانوا من سنخكم داعين لمن لم يؤذنوا فى دعوتهم [فِى النّٰارِ] ظرف الدّخول، و يحتمل ان يكون فى امم ظرف الدّخول و فى النّار بدلاً منه بدل الاشتمال، او حالاً من سابقه.

[كُلَّمٰا دَخَلَتْ اُمَّةٌ لَعَنَتْ اُخْتَهٰا] امّا المتألّفون و المتحابّون منهم فلظهور انّ مجالسة بعضهم بعضاً و مؤانسته و محادثته منعتهم من الايمان بخلفاءاللّه و اتّباع اوليائه، و امّا الاجانب و غير المعروفين فلاستحقاقهم اللّعن مثلهم و هذا بعينه ديدن اهل الدّنيا.

فانّهم وقت الدعة و الرّاحة احبّاء و وقت الشّدّة و البلاء اعداء، و يلعن بعضهم بعضاً خصوصاً النّسوان و من كان على طباعهنّ من الرّجال، و الجملة امّا حال من فاعل ادخلوا او من امم او من فاعل خلت او الجنّ و الانس او من النّار و الكلّ بتقدير العائد او معترضة ذمّاً للامم.

[حَتّٰى اِذَا ادّٰارَكُو فيهٰا جَميعاً] يعنى لحق التّابعون للمتبوعين فى الدّرك الاسفل [قٰالَتْ اُخْرٰيهُمْ] التّابعون اللّاحقون [لِاُولٰيهُمْ] المتبوعين يعنى فى حقّهم، [رَبَّنٰا هٰؤُلاٰءِ اَضَلُّونٰا فَاٰتِهِمْ عَذٰاباً ضِعْفاً مِنَ النّٰارِ] لضلالهم و اضلالهم [قٰالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ] باعتبار قوّتى العلّامة و العمّالة او باعتبار تجسّم العمل فى النّفس و استتباعه لمثله فى الجحيم

او باعتبار الضّلالة و اهمال التمیّز، او باعتبار صفحتی کلّ من العلّامة و العمّالة.

[وَ لٰکِنْ لاٰ تَعْلَمُونَ] انّ لکلٍّ ضعفاً لخفائه و خفاء سببه علیکم [وَ قٰالَتْ اَوْلیٰهُمْ لِاُخْریٰهُمْ] مخاطبین لهم [فَمٰا کٰانَ لَکُمْ عَلَیْنٰا مِنْ فَضْلٍ] لاستحقاقکم الضّعف جاؤا بالفاء تفریعاً لقولهم علی قول اللّـه لاثبات قولهم.

[فَذُوقُوا الْعَذٰابَ بِمٰا کُنْتُمْ تَکْسِبُونَ] امّا من قول اللّه تقریعاً و تهکّماً، او من قول الرّوساء.

[اِنَّ الَّذینَ کَذَّبُوا بِاٰیٰاتِنٰا وَ اسْتَکْبَرُوا عَنْهٰا] قد مضی تفصیل فی مثلها [لاٰ تُفَتَّحُ لَهُمْ اَبْوٰابُ السَّمٰاءِ] سماء الارواح لانّ بابها القلب و فتحه بالولایة التّکلیفیّة و قد کذّبوا بها.

[وَ لاٰ یَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتّٰی یَلِجَ الْجَمَلُ فِی سَمِّ الْخِیاطِ] تعلیق علی مالایکون، او المراد انّ انانیّاتهم مانعة من دخول الجنّة فلایدخلونها مادام جمل انانیّاتهم باقیة فاذا ذاب انانیّاتهم دخلوها.

[وَ کَذٰلِکَ نَجْزِی الْمُجْرِمینَ] امّا من قبیل وضع الظّاهر موضع المضمرا بداءً لوصفٍ آخر لهم مشعر بالذّمّ و اظهاراً لاستحقاق العقاب من جهة اخری، او المراد بالمجرمین غیرالمکذّبین و هکذا الحال فی قوله نجزی الظّالمین.

[لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهٰادٌ وَ مِنْ فَوْقِهِمْ غَوٰاشٍ] حال او استیناف لبیان حالهم، و الغواشی جمع الغاشی بمعنی المغمی، او جمع الغاشیة بمعنی الغطاء او الاغماء، و فی لفظ مهادٍ و غواش بمعنی الاستارتهکّم

بهم [وَ كَذٰلِكَ نَجْزِى الظّٰالِمِينَ وَ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ] قد مضى مثله.

و انّ المراد بالايمان، ان كان الاسلام الحاصل بالبيعة النّبويّة و قبول الدّعوة الظّاهرة فالمراد بعمل الصّالحات الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الولويّة و قبول الدّعوة الباطنة و دخول الايمان فى القلب و توابعه من الاعمال القلبيّة المستتبعة للاعمال القالبيّة، و ان كان المراد به الايمان الخاصّ.

فالمراد بعمل الصّالحات مستتبعات هذا الايمان ، و لمّا جاء بالصّالحات معرّفة بلام الاستغراق و اوهم الاتيان بجميع الصّالحات و ليس فى وسع افراد البشر الاتيان بجميع الصّالحات استدركه بقوله:

[لاٰنُكَلِّفُ نَفْساً الّٰا وُسْعَهٰا] معترضاً بين المبتدء و خبره [اُولٰئِكَ اَصْحٰابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ] تكرار المبتدء باسم الاشارة اوّلاً و بالضّمير ثانياً لتأكيد الحكم و احضار المبتدء بوصفه المذكور و تفخيماً لشأنهم بالاشارة البعيدة و تثبيتاً لهم فى الاذهان بالتّكرار.

[و نَزَعْنٰا] فى الدّنيا او فى الجنّة [مٰا فِى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ] الغلّ بالكسر الحقد و تشبيه الغلّ بالثّوب و استعمال النّزع فيه استعارة تخييليّة و ترشيح للاستعارة، و المقصود انّه تعالى يطهّر صدور المؤمنين من موجبات الغلّ من الكدورات الدّنيويّة و الصّفات الرّذيلة النّفسانيّة حتّى تصفو صدورهم من الحقد و الحسد، خصوصاً بالنّسبة الى اخوانهم المؤمنين.

و كذا من العجب و الرّياء و الشّكّ و الشّرك الخفىّ فلا يبقى فى

صدورهم الّا الودّ الخالص و الصّدق التّامّ.

[تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْاَنْهارُ] الجملة حاليّه او مستانفة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ او خبرٌ بعد خبر.

[وَ] بعد ما صارت صدورهم مصفّاة ممّا يوذيهم و مقامهم مأمناً عمّا لايلائمهم و مجالسوهم فارغين ممّا يسوؤهم [قالُوا] تبجّحاً و شكراً.

[اَلْحَمْدُلِلّٰهِ الَّذِي هَدينا لِهذٰا] المقام او هذا الفضل و المراد بالهداية الايصال الى المطلوب او الى طريق المطلوب مع تهيّة اسباب سلوكه.

[وَ ما كُنّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاٰ اَنْ هَدينَا اللّٰهُ لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ] قالوا ذلك لانّهم كانوا مؤمنين بالغيب غيرمشاهدين فلمّا شاهدوا ما آمنوا به فرحوا بما شاهدوا و اظهروه لغايه السّرور [وَنُوْدُوا اَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ اُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] يعنى ما كنتم تعملون سبب من طرف القابل لا انّه سبب فاعليّ.

اعلم، انّ الانسان بانسانيّته له قوّة الوصول الى الجنان و بفطرته له النّسبة الى العقل الكلّيّ و مظهره الّذى هو النّبيّ (صلى الله عليه وآله) و الوليّ (عليه السلام) و بتلك النّسبة يصحّ نسبة الابوّة و البنوّة بينهما تكويناً.

و يصحّ نسبة الاخوّة بين كلّ الاناسيّ تكويناً، فاذا اتّصل هذه النّسبة بالنّسبة التّكليفيّة بالبيعة العامّة النّبويّة او الخاصّة الولويّة تقوى تلك النّسبة و ظهرت بحيث يصير الولد والداً و الوالد ولداً، و بتلك النّسبة و قدر ظهورها يرث الولد من والده بعضاً من ملكه او جميع

ممالكه و اذا لم يتّصل النّسبة التّكوينيّة بالنّسبة التّكليفيّة لاباالبيعة و لاحال الاحتضار انقطعت لامحالة.

و اذا انقطعت نسبته عن الوالد الّذى هو العقل الكلّىّ و مظهره لم يرث منه شيئاً و ورثه ما كان ينبغى ان يرثه هو اخوه المناسب له فى بعض الجهات فصحّ ان يقال اورثتموها من اللّه او من العقل او من مظهر العقل، وصحّ ان يقال اورثتموها من اهل الجحيم.

كما يصحّ ان يقال: اهل الجحيم اورثوا منازل اهل الجنّة من الجحيم و قد مضى تحقيق الايراث و كيفيتّه [وَ نٰادىٰ اَصْحٰابُ الْجَنَّةِ اَصْحٰابَ النّٰارِ] اظهاراً للنّعمة تبجّحاً و تقريعاً لاصحاب النّار.

[اَنْ قَدْوَجَدْنٰا مٰاوَعَدَنٰا رَبُّنٰا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مٰا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قٰالُوا نَعَمْ فَاَذَّنَ مُؤَذِّنٌ] من اللّه [بَيْنَهُمْ] و المؤذّن هو صاحب مرتبة الجمع و هو الّذى على الاعراف و لذا فسّر بأمير المؤمنين(عليه السلام) و قال: انا ذلك المؤذّن.

[اَنْ لَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الظّٰالِمِينَ] و لمّا كان الظّلم الحقيقىّ هو سترو جهة القلب الّتى هى الولاية التّكوينيّة، ثمّ الاباء عن الولاية التّكليفيّة الّتى بها يفتح باب القلب و يوضح طريقه الى اللّه، و بهذين الظّلمين ينسدّ طريق القوى المستعدّة للاتّصال الى صاحب الولاية وهى باتّصالها بصاحب الولاية تصير من عترة الرّسول تكويناً، فسدّ طريقها ظلم عليها و ظلم على العترة بوجهٍ و ظلم على صاحب الولاية بوجهٍ.

ثمّ جحود الولاية ثمّ الاستهزاء بصاحب الولاية ثمّ سدّ طريق العباد عن الولاية و ذلك ايضاً ظلم على عترة محمّد (صلى الله عليه وآله) بالوجوه السّابقة،

فسّر الظّلم فى الكتاب بالظّلم على آل محمّد (صلى الله عليه وآله) و وصف الظّالمين بقوله :[اَلَّذِينَ يَصُدُّونَ] اى يعرضون او يمنعون [عَنْ سَبِيلِ اللّهِ] تفسيراً للظّلم.

[وَ يَبْغُونَهٰا عِوَجاً وَهُمْ بِالاٰخِرَةِ كٰافِرُونَ] فانّ سبيل اللّه هو وجهة القلب تكويناً و ولاية الامام الّذى هو المتحقّق بتلك الوجهة تكليفاً، و الكفر بالآخرة هو الكفر بالولاية التّكوينيّة و التّكليفيّة او مسبّب عنه .

[وَ بَيْنَهُمٰا] اى الفريقين او الجنّة و النّار [حِجٰابٌ] و المراد بالحجاب البرزخ الاخروىّ الّذى هو واسطة بين الملكوتين و لابدّ لاهل كلٍّ من العبور عليه.

كما انّ المراد بالسّور فى قوله فضرب بينهم بسورٍ له باب باطنه فيه الرّحمة و ظاهره من قبله العذاب هو هذا البرزخ، و تحقيق كون الدّنيا برزخاً و البرزخ الاخروىّ واسطةً بين الملكوتين و كون الملكوت السّفلى ظلّاً ظلمانيّاً للدّنيا و الملكوت العليا عكساً نورانيّاً لها، و بعد الخلاص من عالم الطّبع لابدّ من عبور كلّ على البرزخ الاخروىّ الّذى هو بوجهٍ جهنّم .

كما انّ عالم الطّبع ايضاً بوجهٍ جهنّم، و البرزخ الاخروىّ هو الحجاب الّذى ظاهره يلى الملكوت السّفلىّ من قبله عذاب الملكوت السّفلى و باطنه الّذى يلى الملكوت العليا فيه الرّحمة الّتى هى نعم الجنان الصّوريّة ثمّ نعم الجنان المجرّدة عن الصّورة و التّقدّر قد مضى اجمالاً و سيجيء فى سورة الحديد.

[و عَلَى الاَعْرٰافِ] اى اعراف الحجاب جمع العرف و هو ما ارتفع من الارض و منه عرف الدّيك و عرف الفرس و المعنى على اعالى الحجاب [رِجٰالٌ] مخصوصون و هم الّذين ادركوا البقاء بعد الفناء و وصلوا الى مقام الجمع وردّوا من الحضور الى الخلق لتكميلهم و هم الانبياء (عليهم السلام) و الاولياء (عليهم السلام).

فأنّهم بعد ردّهم يقفون بملكوتهم على البرزخ لكن على جهاته الّتى فيها الرّحمة و هى اعاليه حتّى يمكنهم الاحاطة و الاتّصال بالملك و الملكوتين، لانّهم بشأنهم الجبروتىّ اجلّ شأناً من ان يراقبوا الكثرة.

لانّ العالى لا التفات له الى الدّانى بالذّات و بشأنهم الملكىّ لاسعة لهم ولا احاطة حتّى يتيسّر لهم المراقبة و اعطاء كلّ ذى حقٍّ حقّه، بل بشأنهم الملكوتى الّذى يتنزّلون به عن الملكوت العليا الى اعالى البرزخ فيراقبون اهل الملك و الملكوت العليا و السّفلى و يعطون كلّاً حقّه، و لمّا كان النّبوّات و الولايات الجزئيّة اظلالاً من الولاية الكلّيّة و كان المتحقّق بالولاية الكلّيّة عليّاً و اولاده الطّاهرين (عليهم السلام) صحّ تفسير الرّجال بهم و حصرهم فيهم.

و لمّا كان البرزخ مرتبةً من مراتبهم و شأناً من شؤنهم.

قال علىّ (عليه السلام) : نحن الاعراف.

و لمّا كان جهة البرزخ العليا جهة يعرف بها كلّ من عليها غيره من اهل الملك و الملكوتين و كانت سبيل معرفة اللّه لغير من عليها.

صحّ قولهم (عليهم السلام): نحن على الاعراف، نعرف انصارنا بسيماهم، و نحن الاعراف الّذين لايعرف اللّه عزّوجلّ الّا بسبيل معرفتنا، و نحن

الاعراف يوقفنا اللّه عزّوجلّ يوم القيامة على الصّراط ،فلا يدخل الجنّة الاّ من عرفنا و عرفناه، و لا يدخل النّار الاّ من انكرنا و انكرناه.

و لمّا كان المراد بالاعراف اعالى البرزخ صحّ تفسير اصحاب الاعراف بالّذين هم اصحاب البرزخ من الّذين استوت حسناتهم و سيّئاتهم .

فانّهم اصحاب البرزخ و كون صحابتهم للاعراف غيركون صحابة الّذين على الاعراف فانهّم مالكون للاعراف بوجهٍ و متحقّقون بها بوجهٍ، بخلاف الّذين استوت حسناتهم و سيّئاتهم ،فانّهم (عليهم السلام) واقفون فى البرزخ و تحت الاعراف للحساب.

[يَعْرِفُونَ كُلّاً] من اهل الجنّة و النّار [بِسيٖماهُمْ] بالعلامة الّتى هى على ظواهرهم من سرائرهم، فالضّمير راجع الى كلّاً لا الى الرّجال [وَ نادَوْا] الضّمير راجع الى اصحاب الاعراف من شيعة علىّ (عليه السلام) الّذين استوت حسناتهم و سيّئاتهم .

كأنّهم ذكروا بالالتزام ذكر الاعراف [اَصْحابَ الجَنَّةِ] الّذين تجاوزوا البرزخ و صحبوا الجنّة [اَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ] تحيّة لهم و رجاء للوصول اليهم [لَمْ يَدْخُلُوها وَ هُمْ يَطْمَعُونَ] الدّخول [وَاِذا صُرِفَتْ اَبْصارُهُمْ تِلْقاءَ اَصْحابِ النّارِ] كان ابصارهم و انظارهم بالاصالة الى اصحاب الجنّة [قالُوا] تعوّذاً و التجاءً الى علىّ (عليه السلام).

[رَبَّنا لا تَجْعَلنا مَعَ الْقَومِ الظّالِمينَ وَ نادىٰ اَصْحابُ الاَعْرافِ] الّذين هم على الاعراف [رِجالاً] من اهل النّار [يَعْرِفُونَهُمْ بِسيٖماهُمْ قالُوا ما اَغْنىٰ عَنْكُمْ] يعنى ما اغنى اللّه عن عذابكم هذا

بحسب مفهومه اللّغوىّ و المقصود ما دفع عنكم العذاب.

[جَمْعُكُمْ وَ مٰا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ] ما موصولة او مصدريّة [أَهٰؤُلاٰءِ] اشارة الى اصحابهم الّذين معهم فى الاعراف الّذين يطمعون دخول الجنّة و لم يدخلوها بعد لاختلاطهم السّيّئات بالحسنات.

[الَّذِينَ اَقْسَمْتُمْ] فى الدّنيا [لاٰ يَنٰالُهُمُ اللّٰهُ بِرَحْمَةٍ] قالوها تقريعاً و شماتةً ثمّ صرفوا الخطاب عن اصحاب النّار الى اصحابهم الّذين معهم فى الاعراف و قالوا لهم فى حال شهود اصحاب النّار لازدياد تحسّرهم.

[اُدْخُلُوا الْجَنَّةَ لاٰ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَ لاٰ اَنْتُمْ تَحْزَنُونَ] و بماذكرنا يمكن الجمع بين جميع ماورد فى الاخبار فى بيان الاعراف و اصحاب الاعراف و كيفيّة وقوفهم على الاعراف مع كثرتها و اختلافها.

[وَ نٰادىٰ اَصْحٰابُ النّٰارِ اَصْحٰابَ الْجَنَّةِ اَنْ اَفِيضُوا عَلَيْنٰا مِنَ الْمٰاءِ] لانّ الحجاب الّذى بينهما مانع من الوصول لامن الرّؤية اذا شاءاللّه.

[اَوْ مِمّٰا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ قٰالُوا اِنَّ اللّٰهَ حَرَّمَهُمٰا عَلَى الْكٰافِرِينَ] السّاترين وجهة القلب الّتى هى الطّريق الى اللّه.

[اَلَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ] الّذى أخذوها من صاحب الدّين اى الاسلام الّذى اخذوها من النّبىّ(ﷺ) بالبيعة و الميثاق او صورة الاسلام الّتى انتحلوها من دون اخذها من صاحبها و الوقوف على شرائعها.

[لَهْواً وَ لَعِباً] غيرمغييًّ بغاية او مغييًّ بغاية خياليّة نفسانيّة راجعة الى دنياهم لانّهم سدّوا الطّريق الى اللّه و ابطلوا استعداد سيرهم بواسطة الاسلام الى الطّريق فلا غاية لاسلامهم او لنحلتهم الاسلام

سوى ما تصوّروه من الغاياب الرّاجعة الى الدّنيا.

و لذا قال تعالى :[وَ غَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيا] تعليلاً لاخذ دينهم لهواً و لعباً [فَالْيَوْمَ نَنْسيٰهُمْ] يعنى لانلتفت اليهم و هذا على طريقة مخاطباتهم حيث يقولون نسينا فلان يعنى لايلتفت الينا و لايذكرنا بعطيّةٍ.

[كَمٰا نَسُوا لِقٰاءَ يَوْمِهِمْ هٰذٰا وَ مٰاكٰانُوا بِاٰيٰاتِنٰا يَجْحَدُونَ] و كما كانوا [وَ لَقَدْ جِئْنٰاهُمْ بِكِتٰابٍ] اى كتاب النّبوّة [فَصَّلْنٰاهُ عَلٰى عِلْمٍ] متعلّق بجئنا او بفصّلناه او متنازع فيه لهما على اخذ مثل معنى الايراد فى المجيء و التفصيل اى اوردناه على علمهم بحقّيّة الكتاب او الرّسول(ﷺ)، او هو حال عن فاعل جئنا او فصّلنا او عن مفعول جئناهم او عن كتاب.

[هُدًىً وَ رَحْمَةً لِقَومٍ يُؤْمِنُونَ] بالايمان العامّ لتوجّهم الى وجهة القلب و تهيّؤهم لقبول الولاية التّكليفيّة او بالايمان الخاصّ لكونهم على الطّريق و انارة كتاب النّبوّة الّذى كان الكتاب التّدوينىّ صورته طريقهم فيسرعون فى السّير.

او المراد بكتاب فصّلناه مكتوب مفروض عظيم و هو الولاية الّتى هى غاية النّبوّة؛ لانّ جميع النّبوّات و الكتب التّدوينيّة لتنبيه الخلق عليها و اعدادهم لقبولهاولذلك جاء به مفرداً منكّراً مشيراً الى عظمته.

[هَلْ يَنْظُرُونَ] ما ينتظرون [اِلّٰا تَأْوِيلَهُ] مايؤل الكتاب اليه اوتأويلنا و ارجاعنا ذلك الكتاب الى حقيقته الّتى هى مقام الولاية الّتى هى روحه واصله و مرجعه [يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ]

ضمير المفعول راجع الى دينهم او الى لقاء يومهم هذا او الى كتاب فصّلناه او الى تأويله و مآل الكلّ واحد .

و المعنى يقول الّذين نسوا حقيقة الدّين او الكتاب يعنى تركوها مع الاستشعار بها، فانّ النّسيان قد يستعمل فى الترّك، او غفلوا عنها بعد الاستشعار و التّذكّر بها اولم يستشعروا بها و لم يتذكّروا بها فانّها كانت معلومة مشهودة و بعد تنزّل الانسان الى هذا البنيان صارت منسيّةً و جميع الشّرائع و العبادات و الرّياضات لان يتذكّروا مانسوه من حقيقة الدّين و اتّخذوا صورته للاغراض الدّنيويّة .

[مِنْ قَبْلُ] من قبل اتيان التّأويل تحسّراً و اقراراً بحقّيّته [قَدْجٰاءَتْ رُسُلُ رَبِّنٰا بِالْحَقِّ] و بالولاية الّتى كانت حقّاً او بالرّسالة الحقّة و قد اعرضنا عنه ظلماً على انفسنا .

[فَهَلْ لَنٰا مِنْ شُفَعٰاءَ] اليوم [فَيَشْفَعُوا لَنٰا] عند ربّنا فى الولاية الّذى هو ولىّ امرنا او عند ربّ الارباب .

[اَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنّٰا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ] بصرف دينهم الّذى هو اعظم بضاعة لهم فى الاغراض الفانية، [وَضَلَّ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ] اشراكه باللّه و شفاعته عنداللّه من الاصنام و الكواكب و روساء الضّلالة، و المنظور هو العجل و سامريّه و وجه ضلال مفترياتهم انّهم كانوا ينظرون اليها من حيث حدودها و تعيّناتها.

لانّهم كانوا جعلوها مسمّيات و يفنى كلّ شيءٍ حينئذٍ من حيث الحدود من حيث كونه مسمّى لفناء التعيّنات و الحدود حين ظهور الولاية الّتى هى الوحدة الحقّة الظّلّيّة كما سبق .

[إِنَّ رَبَّكُمُ اللّٰهُ الَّذي خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضَ فِی سِتَّةِ أَيَّامٍ]
اعلم، انّ فعل اللّه تعالى لايتقيّد بالزّمان و قدقالوا : انّ الافعال المنسوبة الى اللّه منسلخة عن الزّمان، فانّ المحيط كما لايحاط ذاته بالزّمان لايحاط فعله بالزّمان.

و انّ الايّاماللّه محيطة بالايّام الزّمانيّة و مقادير ايّام اللّه متفاوتة بحسب تفاوت مراتب فعله فقد تتقدّر بالف سنةٍ و قدتتقدّر بخمسين الف سنة، و انّ السّماوات فى عرف اهلاللّه عبارة عن عوالم الارواح المجرّدة عن المادّة و عن التّقدّر، والارض عبارة عن عوالم الاشباح مادّيّة كانت او مجرّدة عن المادّة كعالمى المثال و منها سماوات عالم الطّبع لتقدّرها و تعلّقها بالمادّة.

و انّ مراتب الممكنات الّتى هى مخلوقات اللّه و فيها تتحقّق السّماوات و الارض بوجه ستّ و بوجه ثلاث صائرة بحسب النّزول و الصّعود ستّاً و هى مرتبة المقرّبين المهيمين الّذين هم قيام لاينظرون، و مرتبة الصّافّات صفّاً و يعبّر عن الصّفين بالعقول الطّوليّة و العقول العرضيّة المسمّاة بارباب الانواع فى لسان حكماء الفرس، و مرتبة المدبّرات امراً و مرتبة الرّكّع و السّجّد، و مرتبة المتقدّرات المجرّدة عن المادّة، و مرتبة المادّيّات و خلقة السّماوات و الارض و تماميّتها فى تلك المراتب السّتّ، و اذااريد بالسّماوات و الارض سماوات عالم الطّبع و ارضه فخلقتها بوجودها الطّبيعىّ و ان كانت فى عالمالطّبع لكنّها بوجودها العلمىّ موجودة فى المراتب العالية عليه و هذه هى الايّامالسّتة الرّبوبيّة الّتى خلقت السّماوات و الارض فيها.

و تلك المراتب مع المشيّة الّتى هى عرش الرّحمن بوجه و كرسيّه بوجهٍ تصير سبعاً نزولاً، و باعتبار صعودها تصير مثانى و هذه هى السّبع المثانى الّتى اعطاها اللّه محمّداً(صلى الله عليه وآله)، و لمّا كان المتحقّق بتلك المراتب نزولاً و صعوداً منحصراً فى الائمّة (عليهم السلام)، لانّهم المتحقّقون بها على الاطلاق و غيرهم متحقّقون بها بتحقّقهم، قالوا: نحن السّبع المثانى الّتى اعطاها محمّداً (صلى الله عليه وآله) بطريق الحصر، ثمّ لمّا كان عرش الرّحمن الّذى هو المشيّة الّتى هى الحقّ المخلوق به اضافته الاشراقيّة المأخوذة لابشرطٍ و كان بهذاالاعتبار متّحداً مع جميع الاشياء.

بل كان حقيقة كلّ ذى حقيقة و كان باعتبار كونه اضافة و مأخوذاً لابشرط لا تحقّق له الّا بتحقّق جميع ما ينضاف اليه و لايتمّ الاّ بما ينضاف اليه، قال بعد ذكر خلق السّماوات و الارض الّتى هى جملة الاشياء.

[ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى العَرْشِ] معطوفاً بكلمة التّراخى، لانّ الاستواء فى العرف هو الجلوس على العرش و لايتمّ هذاالمعنى الاّ بتماميّة العرش و ليس تماميّةالعرش الاّ بتماميّة السّماوات و الارض، و لذا فسّروا الاستواء لنا باستواء نسبته الى الجليل و الدّقيق، و لمّا كانت المشيّة اضافته الحقيقيّة الى الاشياء كانت ذات جهتين جهة الى المضاف وجهة الى المضاف اليه ،و باعتبار جهتها الى المضاف تسمّى عرشاً و لذا يطلق عليها هذا الاسم حين تنسب الى اللّه.

و باعتبار جهتها الى المضاف اليه تسمّى كرسيّاً و لذا يطلق عليها هذا الاسم حين تنسب الى الاشياء وسع كرسيّه السّماوات و الارض.

و ورد ان جميع الاشياء فى الكرسىّ و الكرسىّ فى العرش، و وجه كون الكرسىّ فى العرش انّ الجهة المنسوبة الى المضاف محيطة بالجهة المنسوبة الى المضاف اليه .

و قد يسمّى عقل الكلّ بالعرش و نفس الكلّ بـالكرسىّ لكـونهما مظهرى الجهتين، و قد يسمّى الفلك المحيط عرشاً و الفلك المكـوكب كرسيّاً لكونهما مظهرى هذين المظهرين .

[يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهٰارَ] يغطّى بليل الزّمان نهار الزّمان، و بليل عالم الطّبع نهار عالم الارواح، و بليل الملكوت السّفلىّ نهار الملكوت العليا، و بليل طبع الانسان نهار روحه، و بليل جهله نهار علمه، و بليل شهواته و سخطاته نهار رغباته و مرضاته، و بليل رذائله نهار خصائله، و بليل اسقامه نهار صحّته، و بليل ضعفه نهار قوّته و هكذا .

[يَطْلُبُهُ] يتعقّبه كالطّالب له [حَثِيثاً] و فى استعمال الطّـلب و الحثّ هناك دليل على التّعميم و كان المناسب ان يقول : و يكشف النّهار اللّيل او يغشى النّهار اللّيل ،و لكنّه تعالى تركه اشارة الى اصالة النّهار و عـرضيّة اللّـيل و لو قـال ذلك لأوهـم اصـالتها و انّ تـقابلهما تـقابل الوجودّيين.

[وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّرٰاتٍ بِاَمْرِهِ] قرىء بنصب الشّمس و القمر و النّجوم و مسخّراتٍ، و قرىء برفعها فهى معطوفة على السّماوات على قراءة النّصب فيها، اوعلى خلق بتقدير جـعل، او عـلى يغشى بتقدير يجعل و على قراءة الرّفع فيها فهى مبتدء و خبر.

[اَلٰا لَهُ الْخَلْقُ و الْاَمْرُ] فذلكة لما سبق و لذا أتى باداة التّنبيه فانّه

لمّا ذكر انّه خالق سماوات الارواح و اراضى الاشباح و انّه المستوى القاهر على العرش الّذى هو جملة عالمى الامر و الخلق، ثمّ ذكر تدبيره للعوالم باغشاء اللّيل النّهار على وفق حكمته البالغة، فانّه بهذا الاغشاء يتمّ تربية المواليد و لاسيّما غايتها الّتى هى الانسان.

فانّ الانسان بقالبه و قلبه تستكمل بتضادّ اللّيل و النّهار و تعاقبهما بجميع معانيهما و تسخير الشّمس و القمر و النّجوم الّذى به يتمّ نظام العالم و ينتظم معاش بنى آدم ، استفيد منه مبدئيّتة لعالمى الخلق و الامرو مالكيّته لهما فنبّه على المستفاد و اتى باللّام الدّالّة على المبدئيّة و المالكيّة و المنتهائيّة، مشيراً الى الاختصاص المؤكّد بتقديم الظّرف ثمّ مدح نفسه بكثرة الخيرات مؤكّداً بربوبيّة العالم.

بقوله : [تَبٰارَكَ اللّٰهُ رَبُّ الْعٰالَمِينَ] ثمّ فرّع عليه الامر بالدّعاء و التّضرّع، فانّ من لاشأن له سوى المخلوقيّة و المربوبيّة لاينبغى له الخروج عن التّعلّق و الدّعاء و التّضرّع عند ربّه الّذى هو مالك الكلّ و صاحب الخيرات الكثيره.

بقوله:[اُدْعُوا رَبَّكُمْ] كانّه قال اذا كنتم كذلك فادعوا ربّكم ، و الدّعاء يستعمل فى طلب ذات المدعوّ و فى طلب امرٍ آخر منه كأنّ المدعوّ فى الحقيقة هو ذلك الامر، و المدعوّ مطلوب من باب المقدّمة و كلّما اطلق الدّعاء كان المطلوب ذات المدعوّ لاامراً غيره الّا اذا قامت قرينة على انّ المطلوب غيره، و المطلوب هناك ذات المدعوّ كأنّه قال انّه حاضر عليكم فى تدبير اموركم و انتم غائبون عنه فادعوه الى بيوت قلوبكم حتّى تحضروا عنده بخروجكم عن غيبتكم، و هو مشعر بما قالت

الصّوفيّة من الفكر و الحضور.

[تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً] مصدران لادعوا من غيرمادّته فانّ التّضرّع و الخفية عبارة عن نوعى الدّعاء ما يظهر على اللّسان و مالايظهر، فانّ التّضرّع ملازم للظّهور على اللّسان او مايجهر به و مالا يجهر به.

فانّ التّضرّع قلّمايخلو عن جهرٍ او بتقدير المصدر اى دعاء تضرّع وخفية، او حالان بكون المصدر بمعنى المشتقّ او بتقدير مضافٍ اى ذوى تضرّع، و لااستبعاد فى ان يقال: المراد بالتّضرّع هو الدّعاء مع الشّعور به سواء كان بلسان القالب او بلسان القلب، و بالخفية هو الدّعاء بلسان الحال والاستعداد من غير استشعارٍ به، فانّ الخفية الحقيقيّة هى الّتى لايستشعر الدّاعى بها، و تعلّق الامر و التّكليف بها باعتبار مقدّماتها الّتى هى بشعوره و اختياره.

او يقال: المراد بالتّضرّع هوالدّعاء بلسان القالب و بالخفية هو الدّعاء بلسان القلب شاعراً بهما، و هما اللّذان يسمّيان فى عرف الصّوفيّة بالذّكر الجلىّ و الذّكر الخفىّ.

[إِنَّهُ لاٰ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ] المتكبّرين المستنكفين عن الدّعاء المتجاوزين مرتبتهم و شأنهم، لانّه من لايدعو اللّه من العباد فقد تجاوز عن شأن عبوديّته، او المراد بالمعتدين المتجاوزون فى الدّعاء حدّ الدّعاء و شأن الدّاعى من التّضرّع و الانكسار اوحدّ الوسط بالاجهار بالصّوت فى الدّعاء، اوحدّ الوسط بين التّرك و الاصرار.

فانّه ورد: انّه مازال المظلوم يدعو على الظّالم حتّى يصير ظالماً.

[وَ لاٰ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ]اعلم، انّ الانسان مالم يبلغ حدّ الرّشد

و التّكليف شأنه شأن البهائم فى طلب المشتهيات بأىّ نحوٍ اتّفق و دفع المولمات كذلك و ليس له شأن الايتمار و الانقياد الاّ لمن يخاف منه على بدنه، و ليس له شأن الاصلاح فى ارض العالم الصّغير ولا فى ارض العالم الكبير.

فاذا بلغ و حصل له العقل حصل له شأنيّة الايتمار و الاصلاح فى ارضى العالمين فى الجمله، فان ساعده التّوفيق و دعاه الدعاة الآلهيّون دعوةً عامّةً ظاهرة و قبل منهم و انقاد لهم بالبيعة العامّة النّبويّة و صار مسلماً كمل له شأنيّة الاصلاح و حصل له الانقياد فى الجملة ، فان زاد توفيقه و دعاه الدّعاة الآلهيّون دعوة خاصّةً باطنة و قبل منهم و بايع معهم البيعة الخاصّة الولويّة و تمّ له الانقياد، فامّا ان يلتحق بملكوت الدّاعى و يحصل له حالة الحضور معه و هو المصلح الحقيقىّ فى العالمين.

و امّا ان يطلب الالتحاق و شأنه دعاء ربّه و التّضرّع و الالتجاء اليه فى غيبته حتّى يلتحق به و هو المصلح فى الجملة، و ان خذله اللّه بعد حصول العقل و شأنيّة الاصلاح و لم يطلب الاسلام، او طلب و دخل فيه و لم يطلب الايمان، او طلب و دخل فيه و لم يكن يدعو ربّه و لم يطلب الالتحاق بملكوته صار مفسداً فى العالمين فكأنّه قال : ادعوا ربّكم و لاتتركوا الدّعاء فتفسدوا فى الارض.

[بَعْدَ اِصْلاٰحِهٰا] بالقوّة لحصول العقل او بالفعل بالاسلام و الايمان و هكذا فى بواقى الاقسام فقوله : و لاتفسدوا فى الارض، من قبيل اقامة المسبّب مقام السّبب كأنّه قال : لاتتركوا الدّعاء و الالتجاء و

التّضرّع عليه فتفسدوا فى الارضين بعد شأنيّة اصلاحهما او بعد فعليّة اصلاحهما و لكون هذا الدّعاء هو غاية كلّ عبادة و طاعة كرّره بذكر جهة اخرى من جهات الدّعاء.

فقال: [وَ ادْعُوهُ خَوْفاً وَ طَمَعاً] مصدران او حالان كماسبق و المعنى خوفاً من فراقه و عدم اجابته و طمعاً فى لقائه و اجابته، و سائر الوجوه المحتملة راجعة الى هذا، او ضعيفة بحسب مقام دعوة الرّبّ، كخوف سخطه و خوف عقابه و خوف ردّه و خوف عدله و خوف ميزانه و خوف خذلانه و الخوف من جلاله فانّ من استشعر فى حضور الملوك جلالهم استشعر خوفاً وهيبة فى نفسه من غير استشعارٍ بسبب لتلك الهيبة، و استعمال الطّمع للاشارة الى انّ الانسان لابدّ و ان يكون مترقّباً للقاء الرّبّ و رحمته من غير نظرٍ الى حصول اسبابه من قبله او من قبل اللّه .

فانّ فعل اللّه لايناط بالاسباب لانّ الطّمع هو ترقّب حصول الشّيء من غير تهيّة سببٍ لحصوله بخلاف الرّجاء و لمّا اوهم ذكر الطّمع قرينة للخوف ترجيح جانب الرّجاء و عدم الاناطة بسببٍ و شرطٍ و استواء نسبة الرّحمة الى الكلّ بحسب القابل كماهو كذلك بحسب الفاعل، رفع ذلك بقوله .

[إِنَّ رَحْمَةَ اللّٰهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ] تعليلاً للخوف و الطّمع، يعنى انّ رحمته من جهة الفاعل و ان كانت مستوية النّسبة الى الكلّ غيرموقوفة على سببٍ و شرط لكنّها من جهة القابل متفاوتة النّسبة فليخف غيرالمحسن و لايتّكل على عموم رحمته و استواء نسبتها و

ليطمع المحسن و ليجدّ فى طلب لقائه، و تذكير قريب بتأويل الرّحمة بالرّحم او بتشبيهه بالفعيل بمعنى المفعول.

[وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيٰاحَ بُشْراً] قرء بالنّون و بالباء جمعاً للنّشور و البشير و بالضّمّتين على الاصل و باسكان العين تخفيفاً و بالفتح كالنّصر مصدراً و هو عطف على قوله، انّ ربّكم اللّه الّذى خلق السّموات، و هو لبيان الاعادة بطريق التّمثيل كما انّ الاوّل لبيان الابداء و التّدبير.

[بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ] يعنى المطر، فانّه يسمّى بالرّحمة فى العرف و لايخفى تعميم الرّياح و الرّحمة و ان كان التّمثيل بحسب ظاهر التّنزيل، [حَتّٰى إِذٰا اَقَلَّتْ سَحٰاباً ثِقٰالاً] بالاجزاء الرّشّيّة المائيّة، جمع الوصف و افراد الضّمير فى [سُقْنٰاهُ] باعتبار معنى الجنس و لفظه [لِبَلَدٍ] اليه او لسقيه او لاحيائه [مَيِّتٍ فَاَنْزَلْنٰا] فى ذلك البلد الميّت [بِهِ الْمٰاءَ] اى بالسّحاب او الضّمير راجع الى البلد و الباء بمعنى فى.

[فَاَخْرَجْنٰا بِهِ] بالماء او بالسّحاب او بالبلد [مِنْ كُلِّ الثَّمَرٰاتِ كَذٰلِكَ] اى كماترون من نشر الرّياح و حمل السّحاب و سوقه الى البلد الميّت و احيائه باخراج الثّمرات [نُخْرِجُ الْمَوْتىٰ] عن الحيوة الحيوانيّة او عن الحيوة الحقيقيّة الانسانيّة بنشر الرّياح المختلفة و سوق سحاب الرّحمة باعداد الرّياح المختلفه من الاستحالات و الانقلابات و الانتقالات و البلايا و الامتحانات، و تهييج الشّهوات و ايذاء السّخطات و وسوسة الشّياطين الجنّيّة والانسيّة ،و اذا هم الّذى عاهدنا هم عليه بقولنا و لتسمعنّ من الّذين اوتوا الكتاب من قبلكم و من

الّذين اشركوا اذىً كثيراً حتّى ينزعجوا عن قبر الطّبع الجماديّ او النّفس النّباتيّة او النّفس الحيوانيّة و يحيوا بالحيوة الانسانيّة و يخرج فى ارض وجودهم كلّ الثمّرات الآ لهيّة.

[لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] غاية للممثّل به او للمثل او للتّمثيل.

[وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِاِذْنِ رَبِّهِ] كأنّه استدراك لما توهّم من تساوى البلاد فى خروج النّبات منها و تساوى الاموات فى كيفيّة الاحياء و حالة الحيوة، كأنّه قال و لكنّ البلد الطّيّب يخرج نباته باذن ربّه يعنى يخرج جميع مايمكن ان ينبت فيه، فانّ المستفاد منه بحسب مخاطبات العرف خصوصاً مع اضافة النّبات المشعرة بالعموم و مع المقابلة مع قرينه.

و هو قوله [وَالَّذى خَبُثَ] بالنّسبة الى الاراضى الصّالحة بسبب كونه سبخة [لاٰ يَخْرُجُ] نباته [اِلّٰا نَكِداً] قليل المقدار عديم النّفع [كَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْاٰيٰاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ] نعمنا الظّاهرة و الباطنة و ان كان بصورة الرّياح المختلفة و الابتلاءات و النّقمات، فانّ تصريب امثال هذه الآيات لمن عرف انّها نعم لالمن رآها نقماً و لايشكر بل يكفر بسببها، فانّ كفره و كفرانه ليس غاية لفعلنا بل هو مترتّب عليه بالعرض.

و نقل انّه قال عمرو بن العاص للحسين بن علىّ(عليهما السلام) : مابال لحاكم او فر من لحانا؟ فقرأ هذه الآية، و امثال هذا التّفسير للآيات تدلّ على جواز تعميمها فى كلّ ما يمكن ان تصدق عليه حقيقةً او مجازاً.

[لَقَدْ اَرْسَلْنٰا نُوحاً اِلىٰ قَوْمِهِ] بعد ذكر الابداء و التّربية و التّدبير و الاعادة بالتّمثيل ذكر تعالى ارسال الرّسل (عليهم السلام) ليكونوا على ذكر منه

فلايستغربوا رسالة البشر، و ذكر قصصهم من اقوامهم و ما قالوا لهم و ما فعل بالمقرّ و المنكر منهم تسلية للمؤمنين و تهديداً للمنكرين المكذّبين .

[فَقٰالَ يٰا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مٰا لَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرُهُ] امرهم بالتّوحيد و عبادة ذلك الواحد كما هو ديدن جميع الانبياء(عليهم السلام) [اِنّي اَخٰافُ عَلَيْكُمْ عَذٰابَ يَوْمٍ عَظيمٍ] ان تتركوا عبادته و توحيده [قٰالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ] اى المترفون و الرّؤساء، فانّ الاتباع لاشأن لهم الّا القبول و التّقليد و عدم اتبّاعهم للانبياء(عليهم السلام) لانّ نظرهم الى الدّنيا و كان المترفون فى نظرهم اجلّ شأناً من الانبياء(عليهم السلام) .

[إِنّٰا لَنَرٰيكَ فى ضَلاٰلٍ مُبينٍ] لما رأوه مخالفاً لسيرتهم المحبوبة الدّنيويّة الّتى يحسبونها احسن ما يكون فانّ كلّ حزب بمالديهم فرحون، ولذا اكّدوه بتأكيداتٍ.

[قٰالَ يٰا قَوْمِ لَيْسَ بى ضَلاٰلَةٌ] دار اهم بنفى معتقدهم و لذا لم يؤكّده مثل تأكيداتهم [وَ لٰكِنّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعٰالَمينَ اُبَلِّغُكُمْ رِسٰالاٰتِ رَبّي وَ أَنْصَحُ لَكُمْ] اتى باللّام اشارة الى خلوص النّصح عن شوب الخديعة [وَ أَعْلَمُ مِنَ اللّٰهِ] يعنى من صفاته و تدبيره او بافاضة اللّه [مٰالاٰ تَعْلَمُونَ] بلّغ اوّلاً رسالته مع تعقيبه بالانذار و لمّا كذّبوه بابداء اعتقاد ضدّ الرّسالة و هو الضّلالة نفى معتقدهم واثبت دعواه مع لازمها الّذى هو التّبليغ، ثمّ عقّبها بما لاينبغى ردّه من النّصح و العلم بما ليس لهم علم به مداراةً معهم و اظهاراً للرّأفة بهم .

[أَوَ عَجِبْتُمْ] اى اكذّبتم و عجبتم يعنى لاينبغى التّعجّب منكم[أَنْ

جٰاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ] اى ما به تذكّرهم للآخرة، [عَلٰى رَجُلٍ مِنْكُمْ]ابدل الرّسالة الّتى فيها الشّقاق و العناد بلازمها الّذى فيه صلاحهم و هو تذكّرهم بعواقب امورهم و اضافه الى الرّبّ المضاف اليهم حتّى يكون اقرب الى النّصح و القبول، ثمّ عقّبه بغاياتٍ ثلاثٍ مترتّبة منسوبة الى الرّسول (صلى الله عليه وآله) و المرسل اليهم و المرسل و فى الكلّ صلاحهم و نفعهم لابداء انّ دعواه الرّسالة ليست الّا محض نفعهم حتّى يكون ابعد من الشّغب.

فقال [لِيُنْذِرَكُمْ] عمّا انتم عليه ممّا ليس فيه الّا الشّرّ و السّوء [وَ لِتَتَّقُوا] عمّا فيه فسادكم بالتّوجّه و الرّغبة فيما فى صلاحكم[وَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] من ربّكم و هو حسن العاقبة [فَكَذَّبُوهُ] مع انّه لم يبق لهم عذر فى تكذيبهم [فَأَنْجَيْنٰاهُ وَ الَّذِينَ مَعَهُ] من المؤمنين [فِى الْفُلْكِ وَ أَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا إِنَّهُمْ كٰانُوا قَوْماً عَمِينَ] و لم يبق لهم بصيرة حتّى نترقّب استبصارهم ولانؤاخذهم.

[وَ إِلىٰ عٰادٍ أَخٰاهُمْ هُوداً] المراد اخوة العشيرة و القبيلة لا اخوة الدّين [قٰالَ يٰا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مٰا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلاٰ تَتَّقُونَ قٰالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنّٰا لَنَرٰيكَ فِي سَفٰاهَةٍ] تسفيه العقل فى الانظار اقبح من نسبة الضّلالة.

[وَ إِنّٰا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكٰاذِبِينَ قٰالَ يٰا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفٰاهَةٌ وَ لٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعٰالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسٰالاٰتِ رَبِّي وَ أَنَا لَكُمْ نٰاصِحٌ أَمِينٌ] كأنّه كان معروفاً بينهم بالامانة و لذا توسّل به.

[أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جٰاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلٰى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ

وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفٰاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوْحٍ وَزٰادَكُمْ فِى الْخَلْقِ بَسْطَةً] ذكّرهم بنعم اللّه عليهم بعد تذكيرهم ضمناً بنقم اللّه على قوم نوحٍ تخويفاً لهم من زوالها بأحسن وجه.

[فَاذْكُرُوا اٰلٰاءَ اللّٰـهِ] تعميم بعد تخصيص تأكيداً [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ].

عن الصّادق (عليه السلام) انّه قال: اتدرى ماآلاءاللّه؟ قيل : لا، قال : هى اعظم نعم اللّه على خلقه و هى ولايتنا.

[قٰالُوا أَجِئْتَنٰا لِنَعْبُدُاللّٰهَ وَحْدَهُ وَ نَذَرَمٰاكٰانَ يَعْبُدُ اٰبٰاؤُنٰا فَأْتِنٰا بِمٰا تَعِدُنٰا اِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰادِقِينَ] جعلوا لغاية سفههم مقلّدات آبائهم علوماً قطعيّةً و لذلك تحدّوا بماذكر.

[قٰالَ قَدْوَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ] اى عذاب اتى بقد و الماضى تحقيقاً لتحقّقه، او للاشارة الى انّ ماهم عليه من السّفاهة و الضّلالة و المجادلة مع رسول اللّه (صلّى الله عليه وآله) عذابٌ اليمٌ، لكنّهم لايدركون ألمه لكون مداركهم خدرةً.

[وَ غَضَبٌ] اخرّ الغضب مع انّه بالتّقديم اولى لتقدّمه ذاتاً و شرفاً، لانّه لايظهر الّابالرّجس المسبّب عنه فالرّجس اسبق ظهوراًمنه.

[أَ تُجٰادِلُونَنِي فِي اَسْمٰاءٍ سَمَّيْتُمُوهٰا أَنْتُمْ وَ ءٰابٰاؤُكُمْ] اعلم، انّ الاسم ما يدلّ على شيءٍ آخر بحيث لا يكون حين الدّلالة على المسمّى منظوراً اليه و مقصوداً و محكوماً عليه بشيءٍ، سواء كان ذلك الدّالّ لفظاً او نقشاً او مفهوماً ذهنيّاً او ذاتاً خارجيّاً مثل لفظ زيد، فانّه اسم للذّات المعيّنة المخصوصة و اذا اريد دلالته على تلك الذّات فى قولنا : جاء

زيدٌ، لم يكن ذلك اللّفظ منظوراً اليه و لا محكوماً عليه بهذا الاعتبار، بل النّظر و القصد الى تلك الذّات بحيث يكون اللّفظ مغفولاً عنه، و بهذا الاعتبار هو اسم للذّات و لايحكم عليه بشيءٍ من الاحكام.

واذا اعتبر هذا اللّفظ من حيث اعتباره فى نفسه مع قطع النّظر عن اعتبار دلالته على المسمّى بل من حيث انّه مركّب عن حروف ثلاثةٍ متحرّك الاوّل ساكن الاوسط يصير حينئذٍ محكوماً عليه و منظوراً اليه و مسمّىً باسم اللّفظ و الموضوع و الاسم المقابل للفعل، و هذان الاعتباران كما هما ثابتان للالفاظ الدّالّة و الاسماء اللّفظيّة كذلك ثابتان لكلّ ما يدلّ على غيره من الذّوات.

ثمّ اعلم، انّ جميع الاشياء من الذّوات النّوريّة الملكيّة و الظّلمانيّة و الطّبيعيّة و الشّيطانيّه آثار صنعه تعالى و دوالّ وحدته و علمه و قدرته و مظاهر جوده و لطفه و قهره، و هى بهذا الاعتبار اسماؤه و لاحكم لها و لااسم و لارسم و ليست مسمّياتٍ و هى بهذا الاعتبار قضاؤه، و الرّضا بها واجب و عبادتها عبادة اللّه و محبّتها محبّة اللّه لأنّها غيرمنظوراتٍ و لا مقصوداتٍ بهذا الاعتبار، و اذا جعلت منظوراً اليها و محكوماً عليها و مسميّات باسمائه الخاصّة كانت بهذا الاعتبار مقابلاتٍ له تعالى و ثوانى و لم‌تكن دوالّ ذاته و علمه و قدرته بل كانت حينئذٍ مدلولات و مسميّاتٍ و مقضيّاتٍ، و النّظر اليها و عبادتها و الرّضا بها كفر و شرك و النّاظر ملوم و مذموم، و بهذا الاعتبار ورد: الرّضا بالكفر كفر.

ثمّ اعلم، انّ الانسان ما لم يخرج من بيت نفسه و لم يهاجر الى رسول صدره و لم يتوجّه الى نبىّ قلبه باعانة ولىّ امره لايمكن له النّظر

الى الاشياء من حيث انّها دوالّ ذاته تعالى بل لايرى فى الوجود الّا الاشياء المتكثّرة المقابلة للوحدة مستقلّاتٍ مدلولاتٍ مسميّاتٍ و ان كانت بحسب الواقع و نفس الامر متعلّقاتٍ صرفةٍ غيرمستقلّاتٍ لاحكم لها اصلاً، لكنّها فى نظر هذا المتوطّن فى بيت نفسه و بلد طبعه لاشأن لها الّا المباينة و الاستقلال و عدم التّعلّق و الدلاّلة على شيءٍ، لكنّه لمّا كان مأموراً بالخروج من هذا البيت و حجّ بيت اللّه القلب و الطّوف به بل الاقامة عنده.

ثمّ الوصول الى ربّه و الحضور لديه، و لايمكنه الخروج الّا باعانة معاون خارجيّ و رفاقة رفيقٍ بشريٍّ و كلّما فرض معاوناً له ليس فى نظره الّا محكوماً عليه و مستقلّاً و مسمّى غير دالٍّ على اللّه و غير اسمٍ له، جعل اللّه تعالى له معاوناً يعينه على خروجه و امره باتّباعه و نصب له حجّة على جواز النّظر اليه و الاخذ منه و التّضرّع لديه و ان كان فى نظره مسمّى و محكوماً عليه و مستقلّاً، فكونه مطاعاً و متبوعاً و معبوداً عبادة الطّاعة مع كونه ثانياً للّه و مقابلاً و مسمّى و محكوماً عليه فى نظره ممّا انزل اللّه به حجّة و سلطاناً و ليس النّاظر اليه مذموماً و ملوماً و لاكافراً و مشركاً، اذا علمت ذلك فمعنى الآية لاينبغى لكم المجادلة مع الرّسول فى تصحيح اسماء لا حكم لها و ليست مسمّيّاتٍ و مستقلّاتٍ بل متعلّقات صرفة و روابط محضة جعلتموها انتم و آباؤكم مسميّاتٍ بمقتضى وقوفكم فى رساتيق انفسكم، و الحال انّها.

[مٰا نَزَّلَ اللّٰهُ بِهٰا] اى معها او فيها او بسببها [مِنْ سُلْطٰانٍ] اى سلطنة او حجّة و برهان من هذه الحيثيّة اى كونها مسميّات و منظوراً

حتّى يرفع اللّوم عنكم و يتبدّل شرككم بالنّظر الى الحجّة بالتّوحيد بوجهٍ ما [فَانْتَظِرُوا] امر اللّه فى حقّكم و حقّى .

[إِنّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَ الَّذِينَ] آمنوا [مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنّا] التّقييد به تنبيه على انّه لايجوز لاحدٍ النّظر الى عمله و الاتّكال عليه، فانّ العمل ليس له الاّ اعداد القابل للقبول و امّا فعل الفاعل فغير مسبّبٍ عنه كما مرّمراراً .

[وَ قَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا] تكليفاً [وَ مَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ] تكويناً او كلاهما عامّان او خاصّان بمعنيٍ واحدٍ، الثّانى تأكيد للاوّل و معنى قطع الدّابر الاستيصال و عدم بقاء عقبٍ لهم.

وورد انّ هوداً (عليه السلام) و صالحاً (عليه السلام) و شعيباً (عليه السلام) و اسمعيل (عليه السلام) و نبيّنا (صلى الله عليه وآله) كانوا يتكلّمون بالعربيّة .

[وَ إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً] ثمود اسم قبيلة مسمـّاة باسم ابيهم ثمود من اولاد سام بن نوح (عليه السلام) و صالح (عليه السلام) كان من اولاده، او ثمود اسم قرية صغيره على ساحل البحر لاتكمل اربعين بيتاً كما فى الخبر.

[قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْجَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هٰذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً] هذه ناقة اللّه مبتدء و خبر مستأنف لبيان البيّنة و لكم حال عن ناقة اللّه، او عن آية، او خبر بعد خبر، و آية حال مترادفة، او متداخلة، او منفردة، او ناقة اللّه بدل من هذه، او عطف بيان و لكم خبر و آية حال من المستتر فيه.

[فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ و اذْكُرُوا] تذكير للنّعم بعد التّهديد من النّقم .

[إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفٰاءَ مِنْ بَعْدِ عٰادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهٰا قُصُوراً وَ تَنْحِتُونَ الْجِبٰالَ] الّتى هى خزنتها [بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاٰءَ اللّٰهِ] تعميم بعد تخصيص.

[وَ لاٰ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ قٰالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا] ديناً او مالاً او حالاً او جسماً.

[لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ] بدل من قوله تعالى للّذين بدل الكلّ ان كان المراد الاستضعاف فى الدّين و الطّريقة، او بدل البعض ان كان المراد مطلق الاستضعاف [أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صٰالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ] استهزؤا بهم [قٰالُوا] فى جوابهم من غير مبالاة باستهزائهم زائداً على الجواب الّذى هو الاقرار برسالته بالانقياد لما ارسل به و الطّاعة له.

[إِنّٰا بِمٰا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قٰالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنّٰا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كٰافِرُونَ فَعَقَرُوا النّٰاقَةَ] بتحريك بعضهم و رضا بعضٍ و عقر بعضٍ، [وَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ] على لسان صالحٍ عليه السلام و هو قوله فذروها تأكل فى ارض اللّه او عن مطلق امره على لسان نبيّه و لم يطيعوه فى شيءٍ منه، او عن امر ربّهم الّذى هو العقل و حكمه فانّه امر تكوينىّ.

[و قٰالُوا] تجرّياً على الرّبّ و رسوله [يٰا صٰالِحُ ائْتِنٰا بِمٰا تَعِدُنٰا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ] الزّلزلة و لاينافيها قوله تعالى فاخذتهم الصّيحة كما فى سورتى هودٍ و الحجر لانّ الزّلزلة كانت مسبّبة عن الصّيحة.

[فَأَصْبَحُوا فِي دٰارِهِمْ جٰاثِمِينَ] ملزقين بالارض و الجثوم اللّزوم بالمكان [فَتَوَلّٰى عَنْهُمْ] بعد ما ابصرهم صرعى، والاتيان

بالمضارع فی قوله و لكن لاتحبوّن النّاصحين لتصوير المضیّ حالاً احضاراً له و اشارة الى انّ هذا كان ديدنهم كأنّه لاينفكّ عنهم حتّى بعد الموت، او المعنى فتولّى عنهم بعد اتمام الحجّة عليهم والاتيان به مصدّراً بالفاء بعد ذكر اهلاكهم لانّه تفصيل لسبب الاهلاك و من قبيل عطف التّفصيل على الاجمال.

[وَ قٰالَ] تحسّراً او تبرّياً [يٰا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسٰالَةَ رَبّي وَ نَصَحْتُ لَكُمْ وَ لٰكِنْ لاٰ تُحِبُّونَ النّٰاصِحِينَ] قصّة صالح(ع) و ناقته و كيفيّة خروجها باقتراحهم عن الجبل و متاركته مع قومه و كيفيّة عقر النّاقة و اهلاكهم مذكورة فی المفصّلات.

[وَ لُوطاً] عطف على نوحاً و لوط (ع) كان ابن خالة ابراهيم (ع) و كانت سارة زوجة ابراهيم (ع) اخت لوطٍ و خرج ابراهيم (ع) من بلاد نمرود الى الشّام و معه لوطٌ و سارة و خلّف لوطاً بادنى الشّامات للدّعوة و ذهب هو الى اعلى الشّامات.

[إِذْ قٰالَ لِقَوْمِهِ] فی الدّعوة و المعاشرة لافی النّسب و الملّة. [اَتَأْتُونَ الْفٰاحِشَةَ] المعهودة و هی اتيان الرّجال و الاعراض عن النّساء، [مٰا سَبَقَكُمْ بِهٰا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعٰالَمِينَ اِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجٰالَ شَهْوَةً] صرّح بما كنّى عنه اوّلاً تفضيحاً و توبيخاً و لذلك اتى به مؤكّداً بتوكيداتٍ توكيداً للتّوبيخ.

[مِنْ دُونِ النِّسٰاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ] يعنى لستم عادلين بل انتم قوم مسرفون، فهو من قبيل العطف باعتبار المعنى.

[وَ مٰا كٰانَ جَوٰابَ قَوْمِهِ اِلّٰا اَنْ قٰالُوا اَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ]

یعنی ما کان لهم جواب یصلح لمقابلة محاجّته و نصحه و لذا عدلوا عن المحاجّة اللّسانیّه الی مغالبة القالبیّة و علّلوه بما هو دلیل صحّة نصحه. فقالوا [إِنَّهُمْ أُنٰاسٌ يَتَطَهَّرُونَ] من الفواحش و امثال افعالنا.

[فَاَنْجَيْنٰاهُ] بعد اتمام الحجّة علیهم [وَ اَهْلَهُ الاّٰ امْرَاَتَهُ] فـانّها کانت تسرّ الکفر و توالی اهل القریة، [كٰانَتْ مِنَ الْغٰابِرِينَ وَ اَمْطَرْنٰا عَلَيْهِمْ مَطَراً] عجیباً و هو امطار الحجر.

[فَانْظُرْ] یا محمّد (صلّی الله علیه و آله) اویامن یمکن منه النّظر. [كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ] فی الخبرانّ لوطاً (علیه السلام) لبث فی قومه ثلاثین سنة و کان نازلاً فیهم و المجرمین لم یکن منهم یدعوهم الی اللّه و ینهاهم عن الفواحش و یحثّهم علی الطّاعة، فـلم یـجیبوه و لم یـطیعوه و کـانوا لایتطهّرون من الجنابة بخلاء اشحّاء علی الطّعام فاعقبهم البـخل الدّاء الّذی لادواء له فی فروجهم ، و ذلك انّهم کانوا علی طریق السّیّارة الی الشّام و مصر و کان ینزل بهم الضّیفان فدعاهم البخل الی ان کانوا اذا نزل بهم الضّیف فضحوه، و انّما فعلوا ذلك لینکل النّازلة علیهم من غیر شهوةٍ لهم الی ذلك فأوردهم البخل هذا الدّاء حتّی صاروا یطلبونه من الرّجال و یعطون علیه الجعل.

و کان لوط (علیه السلام) سخیّاً کریماً یقری الضّیف اذا نزل بهم فنهوه عن ذلك، فقالوا لاتقر ضیفاناً تنزل بك فانّك ان فعلت فضحنا ضیفك فکـان لوط (علیه السلام) اذا نزل به الضّیف کتم امره مخافة ان یفضحه قومه و ذلك انّه لم یکن للوط (علیه السلام) عشیرة فیهم.

[وَ اِلىٰ مَدْيَنَ اَخٰاهُمْ شُعَيْباً] نقل انّـهم کـانوا اولاد مـدین بـن

ابراهيم(عليه السلام) و شعيبٌ (عليه السلام) كان منهم و سمّوا باسم جدّهم و سمّيت قريتهم به ايضاً و هى لاتكمل اربعين بيتاً.

[قٰالَ يٰا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مٰا لَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْجٰاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ] و البيّنة هى محاجّته الواضحة الّتى لايمكنهم ردّها لانّها كانت ممّا يرتضيها كلّ ذى شعورٍ خال عن اللّجاج.

فانّ معرفة الرّسول برسالته اولى من معرفته بالمعجزة او معجزة كانت له مثل معجزة صالح و لكن لم تذكرلنا.

[فَاَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ] يعنى بعد اتيان البيّنة لاعذرلكم فى عدم قبول قولى فتقبّلوه و اوفوا الكيل و الميزان و الايفاء اداء تمام ما حقّه ان يؤدّى و المراد ايفاء ما يتقدّر بالكيل و الوزن نسب اليهما لاستلزام نقصان المكيل نقصان الكيل و كذا الموزون و ما يوزن به كما نسب النّقص اليهما فى محلٍّ اخر، و لايخفى عليك تعميم الكيل و الميزان للمحسوس منها و غيره من الانبياء(عليهم السلام) و الاولياء و اخلاقهما و سننهما و آدابهما و من الكتب السّماويّة و الشّرائع الآلهيّة، و هكذا التّعميم فى العالم الكبير و الصّغير.

[وَلاٰ تَبْخَسُوا النّٰاسَ اَشْيٰاءَهُمْ] امّا تأكيد لايفاء الكيل و الميزان على ان يكون المراد بالاشياء هى المكيلات و الموزونات او يكون المراد بالمكيل و الموزون هو مطلق الاشياء بناء على تعميم الكيل و الميزان.

فانّه ما من شيءٍ جسمانيٍّ او غيرجسمانيٍّ الاّ يمكن فيه تحديد او تعميم بعد تخصيص على ان يكون المراد بالمكيل و الموزون المتقدّرين

بالآلة المخصوصة، او تأسيس و تفصيل مع سابقه لكيفيّة المعاشرة على ان يكون المراد ببخس النّاس اشيائهم اخذ الزّيادة عن الحقّ منهم، او تخصيص بعد تعميم بناء على تعميم الكيل و الوزن حتّى يكون اعمّ من المعاملة مع النّاس و من المعاملة مع اللّه و يكون شاملاً لجميع الاشياء و تخصيص البخس بالنّاس او بينهما عموم من وجه بناءً على تخصيص الكيل و الميزان بما يتقدّر بهما سواء كان المعاملة مع اللّه او مع النّاس و تعميم الاشياء و تخصيص البخس بالنّاس.

[وَلاٰ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ] تعميمٌ بعد تخصيص كسابقه او تأسيس على ان يكون المراد بالافساد اهراق الدّماء و القاء العداوة بين العباد و الاسر و النّهب و التّعدّى عليهم و منع جميع الحقوق من اهلها و اعطائها لغير اهلها، او على ان يكون المراد بالافساد هو منع العباد من طريق الآخرة و هو طريق الولاية؛ فيكون قوله : و لا تقعدوا بكلّ صراط توعدون تفسيراً له، و المراد بالارض اعمّ من ارض العالم الصّغير و العالم الكبير.

[بَعْدَ إِصْلاٰحِهٰا] بالعقل فى الصّغير و بالانبياء عليهم السلام و اوصيائهم عليهم السلام فى الكبير، و المراد بهذا القيد بيان انّ الواقع هكذا و الاشعار بغاية قبح الافساد لا التّقييد به [ذٰلِكُمْ] المذكور من الايفاء و ترك البخس و الافساد [خَيْرٌ لَكُمْ] ممّا تزعمونه خيراً من جلب النّفع بالتّطفيف و الافساد، او المراد مطلق الفضل لاالتّفضيل فانّه كثيراً ما يستعمل من غير ارادة التّفضيل.

[إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] معتقدين باللّه و الآخرة شرط تهييج بناءً على

كون ايمانهم باللّه مقطوعاً به للمتكلمّ و المخاطب بحسب اقرارهم، او شرط تقييد بناءً على كونه مشكوكاً فيه او منزّلاً منزلة المشكوك سواء قدّر الجزاء موافقاً لاوفوا (الى آخره) او موافقاً لقوله : ذلكم خيرٌ لكم و على التّقييد يكون بمفهومه تهديداً لهم يعنى ان لم تكونوا مؤمنين فافعلوا ما شئتم او فليس ذلك خيراً لكن بل لم يكن حينئذٍ فرق بينه و بين ضدّه لكم.

[وَ لاٰ تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرٰاطٍ تُوعِدُونَ] اخّره عن قوله: ذلكم خير لكم اشارةً الى عدم تسويته مع ما سبق فى القبح و انّه لايتصوّر فيه خير نفسانىّ ايضاً و انّه اقبح الاشياء للمؤمنين و غيره، و قيل فى نزوله : انّهم كانوا يقعدون فى الطّريق يتوعّدون من اراد شعيباًعليه السلام و من آمن به و يلقون الشّبهات على الخلق باظهار اعوجاج دينه و اختلال طريقه كما كان ديدن الخلق كذلك قديماً و جديداً خصوصاً فى زماننا هذا، او المقصود نهيهم من العقود فى طرق النّفوس كالشّيطان و صدّ سبيلهم الى اللّه والى خلفائه.

[وَ تَصُدُّونَ] عطف على توعدون [عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ مَنْ اٰمَنَ بِهِ] اى باللّه يعنى تصدّون من أيقن باللّه عن سبيل اللّه الّتى هى قبول النّبوّة بالبيعة العامّة او تصدّون من آمن باللّه بقبول الدّعوة العامّة و بالبيعة النّبويّة عن سبيل‌اللّه الّتى هى قبول الولاية بالبيعة الخاصّة .

[وَ تَبْغُونَهٰا عِوَجاً] تطلبون لسبيل‌اللّه اعوجاجاً حتّى تظهروه على الخلق و تصدّونهم عنها او تبغونها من حيث عوجها او تبغونها حالكونها معوّجة يعنى ان كانت معوّجة تطلبونها بخلاف ما اذا كانت

مستقيمةً لاعوجاجكم.

[وَاذْكُرُوا اِذْ كُنْتُمْ قَليلاً فَكَثَّرَكُمْ] بعد ماامرهم و نهاهم بضدّ فعلهم ذكّرهم نعمة اللّه الّتى هم فيها من البركة فى النّسل او فى المال ليكسر به سورة غضبهم حتّى يستعدّوا لقبول نصحه بتذكّر النّعمة و شكرها. [وَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدينَ] ذكّرهم النّعمة الّتى هى اثر رحمته تعالى و النّقمة اللّاحقة لامثالهم بسبب الافساد الّتى هى اثر غضبه جمعاً بين اللّطف و القهر و التّبشير و الانذار كما هو وظيفة الدّعوة و النّصح.

[وَ اِنْ كانَ طائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذي اُرْسِلْتُ بِهِ وَ طائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا] الاتيان باداة الشّكّ امّا للتّجاهل او لشكّ المخاطب [فَاصْبِرُوا] فانتظروا، الخطاب لمجموع الطّائفتين وعداً للمؤمنين و وعيداً للكافرين، [حَتّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنا وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمينَ] امّا فى الدّنيا بنصرة المحقّ على المبطل او فى الآخرة بانعام المحقّ و الانتقام من المبطل.

[قالَ الْمَلَأُ الَّذينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ وَالَّذينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا] بعد العجز عن المحاجّة و الحجّة اجابوه بالتّخويف كما هو شأن اهل الزّمان من المبادرة الى التّهديد بالقتل و نحوه عند العجز عن الحجّة.

[اَوْ لَتَعُودُنَّ فى مِلَّتِنا] لمّا كان اعتقادهم انّ شعيباً(عليه السلام) كان على ملّتهم ثمّ خرج منها و ادّعى النّبوّة اعزازاً لنفسه قالوا: لتعودنّ، او كان(عليه السلام) قبل التّكليف مستنّاً بظاهر سننهم ثمّ خرج منها حين الرّشد او

حين اظهار النّبوّة او غُلّب جانب اتباعه فى اطلاق العود عليه، او العود بمعنى الصيرورة من الافعال النّاقصة، و على ایّ تقديرٍ لايـلزم مـنه ان يكون(عليه السلام) على ملّة باطلة حتّى يرد انّ الانبياء (عليهم السلام) مـعصومون عـن الخطاء و الشّرك .

[قَالَ اَوَلَوْ كُنّا كَارِهِينَ] تعيدوننا فى ملّتكم يعنى انّ الدّخول فى الملّة حقيقةً لايكون الّا عن اعتقاد بصحّتها، و لايقع الاعتقاد بصحّة ملّة الّا من حجّة، و لا حجّة لكم على صحّتها بل لى الحجّة على بطلانها فكيف يتصوّر لى الدّخول فى ملّتكم مع كراهتى للدّخول فيها.

[قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللّهِ كَذِباً] مصدرٌ تأكيدىٌّ او الكلام مبتنٍ على تجريد الافتراء من مفهوم الكذب [إِنْ عُدْنا فِى مِلَّتِكُمْ] يعنى ان عدنا فى ملّتكم يلزمنا الافتراء على اللّه و هو الّذى افرّ منه و اذمّكم عليه، و لزوم الافتراء امّا باعتبار ادّعاء النّبوّة من اللّه، او باعتبار تصحيح ملتّهم مع انّها عنداللّه باطلة، او باعتبار ابطال ملّتهم قبل العود فانّه يلزم عند العود فيها افتراء ابطالها، او باعتبار ابطال ملّته بعد الدّخول او باعتبار الكلّ.

[بَعْدَ اِذْ نَجّينَا اللّهُ مِنْهَا] و فى اتيان نجيّنادون اخرجنا دلالة على انّه(عليه السلام) لم يكن على ملتّهم، و لمّا كان المفهوم من قولهم او لتعودن فى ملّتنا بحسب المقام تهديدهم باجبارالعود لم يكتف فى الجواب بـقوله اولو كنّا كارهين واتى بمايدّل على انّهم لايقدرون على الاجبار الّـا اذا شاءاللّه ليكون ردّاً عليهم و اظهاراً لدعوى التّوحيد بوجهٍ آخر.

فقال: [وَ مٰا يَكُونُ لَنٰا] يعنى ما يمكن لنا فلا يمكن لكم اجبارنا

ايضاً، [اَنْ نَعُودَ فيها إِلَّا اَنْ يَشاءَاللّٰهُ رَبُّنا] التّوصيف للاشارة الى انّ له التّصرّف و التّعريض بعدم جواز تصرّف الكفّار فى وجودهم ليصير كالعلّة لتعلّق العود على المشيّة، [وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً] كرّر ربّنا لازدياد تمكّن ربوبيّته و الجملة امّا حال من اللّه او مستأنفة جواباً لسؤال محتمل او للمدح، [عَلَى اللّٰهِ تَوَكَّلْنا] وضع الظّاهر موضع المضمر تمكيناً له بالآلهيّة فى النفّوس و اشعاراً بعلّة الحكم.

[رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ] التجأ الى اللّه و استغاث منه بعد ما حاجّ قومه و أجابهم بما أجابهم و لم ينجع فيهم، و الفتح بمعنى القضاء او بمعنى الفصل او من الفتح الّذى يستعمل فى الامور الصّعبة، [وَ اَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ وَ قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً اِنَّكُمْ اِذاً لَخاسِرُونَ] فى الدّنيا بعدم عزّتكم فى الخلق و عدم حسن معاشرتهم معكم، و فى الآخرة باستحقاقكم العذاب لضلالتكم و عدم شفيعٍ لكم لانحرافكم عن الاصنام و امثالها، و عن السّيرة الّتى شاهدناها من آبائنا و كنّا عليها و اعتدناها و ما تضرّرنا بها.

[فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ] الزّلزلة و لاينافى هذا ما سورة هودٍ من قوله تعالى: واخذت الّذين ظلموا الصّيحة فى حقّ قوم شعيب لانّ الزّلزلة قلّما تنفک عن الصّيحة.

[فَأَصْبَحُوا فِى دارِهِمْ جاثِمِينَ] جثم الانسان من باب ضرب و نصر لزم مكانه فلم يبرح اووقع على صدره او تلبّد بالارض [اَلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَاَنْ لَمْ يَغْنَوْا فيها] اى فى الدّار سواء اريد منها القرية او الدّور، و المعنى المنزل و وضع الموصول موضع المضمر اشعاراً بعلّة

الحكم و ذمّاً لهم بهذا الوصف و تمكيناً له فى الاذهان ليكون عبرة.

و لذلك كرّره و قال: [الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كٰانُوا هُمُ الْخٰاسِرِينَ] و هو ردّ لقولهم لئن اتّبعتم شعيباً انّكم اذاً لخاسرون ولكونه ردّاً عليهم جاء بضمير الفصل للاشارة الى الحصر الاضافىّ. [فَتَوَلّٰى عَنْهُمْ] بعد اهلاكهم، واتيان الفاء للتّرتيب فى الاخبار لافى التّحقّق.

[وَ قٰالَ يٰا قَوْمِ لَقَدْ اَبْلَغْتُكُمْ رِسٰالاٰتِ رَبّي وَ نَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ اٰسىٰ عَلٰى قَوْمٍ كٰافِرِينَ] اى كيف احزن عليهم لهلاكهم مع كفرهم او كيف ادعولهم و لا ادعو عليهم.

[وَ مٰا اَرْسَلْنٰا فِى قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ اِلاّٰ اَخَذْنٰا اَهْلَهٰا بِالْبَأْسٰاءِ] البأساء الشّدّة و الفقر و الشدّة فى الحرب. [وَ الضَّرّٰاءِ] فى الاموال و الانفس [لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ] اعلم، انّ المانع من قبول النّبوّة و الانقياد تحت احكام القالب و كذا من قبول الولاية و الانقياد تحت احكام القلب هو استبداد الانسان بالرّأى و استقلاله فى الأمر و ظنّ عدم احتياجه الى غيره، و كلّ ذلك من صفات النّفس و الخيال، و هذه هى المانعة من ظهور حقّيّة المحقّ و بطلان المبطل.

و لمّا كان تماميّه الدّعوة بوجود الدّاعى و دعوته و استعداد القابل و استحقاقه و انتفاء المانع و منعه فاذا اراد اللّه تعالى هداية قومٍ و دعوتهم الى الحقّ، سواءكان ذلك فى العالم الكبير او الصّغير بعث اليهم من يدعوهم اليه ليتحقّق الدّعوة و اخذ المدعوّين بالبأساء و الضرّاء، ليستعدّوا بذلك و يرتفع المانع من قبول دعوة الدّاعى و الحاجب من ظهور حقّيّته و ليتضرّعوا و يلتجؤا بترك الاستبدادوالانانيّة حتّى

يستحقّوا بذلك رحمة اللّه و قبول دعوة الدّاعى.

[ثُمَّ بَدَّلْنا مَكانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ] يعنى عادتنا الابتلاء تارة بالسّيّئات و تارة بالحسنات ليتمّ حجّتنا و دعوتنا و لم نجعلهم مسلوبى الاختيار فى قبول الدّعوة فانّه فى اجبار هم لايحصل المطلوب من امتياز السّعيد عن الشّقىّ و عمارة الدّارين [حَتّٰى عَفَوْا] محوا عن قلوبهم آثار البأساء و الضّرّاء و المهما او محوا تضرّعهم و التجاءهم اوزادوا فى المال و الاولاد وزاد فى العلم فبطروا.

[وَ قالُوا] حالاً او قالاً: [قَدْمَسَّ اٰباءَنَا الضَّرّاءُ وَ السَّرّاءُ] يعنى انّ الضّرّاء و السّرّاء من عادة الدّهر قالوا ذلك للتّلويح بانّه لاينبغى ترك التّمتّع ولا الالتجاء و التّضرّع [فَأَخَذْناهُمْ بَغْتَةً] من غير تقديم امارات [وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ] لعدم تقدّم الامارات.

[وَلَوْ أَنَّ اَهْلَ الْقُرٰى] قرى العالم الكبير او قرى العالم الصّغير [اٰمَنُوا] بالبيعة العامّة [وَ اتَّقَوْا] بالبيعة الخاصّة فانّ التّقوى الحقيقيّة لا يمكن حصولها الّا بالولاية الحاصلة بالبيعة الخاصّة، لانّ حقيقة التّقوى كما سبق هى التّحرّز عن الطّريق المعوّجة للنّفس الّتى توصل السّالك الى الملكوت السّفلىّ، و بعبارةٍ أُخرى هى التّحرّز عن السّلوك الى الملكوت السّفلى و دار الجنّة.

ولا يمكن ذلك التّحرّز الّا بامتياز الطّريق المستقيم الّذى يوصل سالكه الى الملكوت العليا و سلوك ذلك الطّريق، و لا يحصل الامتياز الّا بالولاية الحاصلة بالبيعة الخاصّة و قبول الدّعوة الباطنة لانّ بها انفتاح باب القلب الى الملكوت العليا و ظهور طريقه اليها الّذى هو الطّريق

المستقيم، و للاشارة الى هذا المعنى اخّر التّقوى ههنا عن الايمان و ان كانت بمعنى آخر مقدّمة على الايمان.

او المعنى، لو انّ اهل القرى آمنوا بالايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الخاصّة الولويّة و اتّقوا ماينافى ايمانه الدّاخل فى قلبه من الفعليّة الحاصلة فى قلب المؤمن من قبول الولايه و من الذّكر المأخوذ من صاحبه و من الفكر الحاصل من مداومة الذّكر الّذى هو ملكوت الامام و صورته المثاليّة الّتى تظهر على قلب المؤمن السّالك و يشاهدها فى مرآة صدره، هذا فى الكبير.

و امّا فى الصّغير فالمعنى لوانّ اهل القرى آمنوا و اذعنوا بحكومة العقل و لاسيّما العقل المنقاد لولىّ الامر و اطاعوه فى حكومته و اتّقوا من مخالفة احكامه، [لَفَتَحْنٰا عَلَيْهِمْ بَرَكٰاتٍ مِنَ السَّمٰاءِ وَ الْاَرْضِ] اعلم، انّ الانسان بحسب التّحليل الاوّل ينحلّ الى جزءٍ روحانىّ سماوىٍّ و جزءٍ جسمانىّ ارضىٍّ، و له بحسب كلّ جزءٍ حاجات و طلبات و ملائمات و منافرات و هما اللّتان يعبّر عنهما بالخيرات و الشّرور، و البركة هى الزّيادة و الكثرة فى الخيرات.

فاذا آمن الانسان و انقاد لكثر خيراته الجسمانيّة الحاصلة من الارض و خيراته الرّوحانيّة الحاصلة من السّماء، و ايضاً كثر خيراته الرّوحانيّة و الجسمانيّة من اعتناق سماوات الطّبع مع ارض الطّبع، و من اعتناق سماوات الارواح مع اراضى الاشباح النّوريّة و الظّلمانيّة ذلك تقدير العزيز العليم.

[وَ لٰكِنْ كَذَّبُوا] الرّسل (عليهم السلام) و اوصياءهم (عليهم السلام) و العقل و حكمه

[فَأَخَذْنٰاهُمْ] اى عاقبناهم [بِمٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ] من نتائج اعمالهم و تكذيبهم.

[اَفَاَمِنَ اَهْلُ الْقُرٰى] امّا بتقدير معطوف بين الهمزة و الفاء اى الم يؤمنوا بعد ذلك فأمنوا، او هو على التّقديم و التّأخير معطوف على اخذناهم بتقدير القول و التّقدير فيقال بعد ذلك : اَ اَمن اهل القرى. [اَنْ يَأْتِيَهُمْ بِأْسُنٰا بَيٰاتاً وَهُمْ نٰائِمُونَ] و المقصود من اهل القرى المكذّبون لمحمّد (ﷺ) و الواقفون من الايمان به.

[اَوَ اَمِنَ اَهْلُ الْقُرٰى اَنْ يَاْتِيَهُمْ بَاْسُنٰا ضُحىً] وقت ارتفاع الشّمس [وَ هُمْ يَلْعَبُونَ] لمّا كان المقام مقام التّهديد كرّر اهل القرى و لفظ بأسناجرياً على ما عليه العرف فى المخاطبات فانّهم كثيراً ما يكرّرون الالفاظ من شدّة الغيظ اولتمكين التّهديد.

[اَفَاَمِنُوا مَكْرَ اللّٰهِ] اتى بالفاء لتفاوت ما بين البأس حين الغفلة و المكر بخلاف بأس اللّيل و بأس الضّحى، فانّ اتيان عذاب اللّه امّا مع تقدّم اماراتٍ له او و من غيرتقدّم اماراتٍ و هو البأس بغتةً حين النّوم او حين اللّعب او مع تقدّم امارات ضدّه و هو المسمّى بالاستدراج و المكر لشباهته بمكر المخلوق.

[فَلاٰ يَاْمَنُ مَكْرَاللّٰهِ الاّٰ الْقَوْمُ الْخٰاسِرُونَ] بنقص عقولهم الّتى هى بضاعتهم فانّ العاقل حين تجدّد النّعمة يحتمل النّقمة بالنّعمة فيخاف عاقبتها بخلاف الجاهل فانّ نظره الى صورة النّعمة لايتجاوزها الى احتمال اندراج النّقمة فيها.

[اَوَلَمْ يَهْدِ] قرىء بالنّون و بالغيبة و على هذا القراءة فالفاعل

ضمير المصدر اى الم يقع الهدى او ضمير أخذ المكذّبين بما كانوا يكسبون، او الفاعل قوله ان لو نشاء اصبناهم يعنى الم يهد قدرتنا على الاصابة ان شئنا، بمعنى علمهم بقدرتنا من ملاحظة حال الماضين، [لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْاَرضَ] اللّام للتّقوية او لتضمين يهد معنى يبيّن اى الم يبيّن للّذين يرثون الارض [مِنْ بَعْدِ اَهْلِهٰا] او من بعد اهلاكنا اهل الارض [اَنْ لَوْنَشٰاءُ] اى انّه لونشاء و هو مفعولٌ ثانٍ ليهد او فاعلٌ كما ذكر [اَصَبْنٰاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ] كما سمعوا و شاهدوا من الماضين.

[وَ نَطْبَعُ عَلٰى قُلُوبِهِمْ] عطف على اصبناهم او على الم يهد فانّ الاستفهام التّوبيخىّ يقرّر ما بعده نفياً كان او اثباتاً كأنّه قيل : مايهتدون الى طريق الآخرة و التّوحيد و نطبع او هو مستأنف بمعنى و لكن نطبع على قلوبهم، [فَهُمْ لاٰ يَسْمَعُونَ] الخبر [تِلْكَ الْقُرىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ اَنْبٰائِهٰا] بعض انبائها.

[وَ لَقَدْ جٰاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ] استخدام فى الضّمير او المراد بالقرى اهلها مجازاً [بِالْبَيِّنٰاتِ] باحكام الرّسالات او الحجج و المعجزات الواضحات.

[فَمٰا كٰانُوا لِيُؤْمِنُوا] دخول كان فى مثله لتأكيد النّفى [بِمٰا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ] من احكام العقل و النّبوّة التّكوينيّة، فانّ من انقاد للعقل قبل ظهور دعوة النّبىّ (صلى الله عليه وآله) يقبل دعوة النّبىّ (صلى الله عليه وآله) و من كذّب العقل يكذّب النّبىّ (صلى الله عليه وآله) لامحالة لانّ النّبىّ (صلى الله عليه وآله) عقل بوجهٍ، و العقل نبىّ بوجهٍ او بما كذّبوا فى اَلذَّرء كما فى الاخبار، و بعد التّحقيق يرجع التّكذيب فى الذّرّو التّكذيب بالعقل الى امر واحدٍ.

[كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللّٰهُ عَلٰى قُلُوبِ الْكٰافِرِينَ] يعنى كما طبع اللّه على قلوب اهل هذه القرى حتّى لايؤمنوا مع ظهور الحقّ يطبع اللّه على قلوب جملة الكافرين. [وَ مٰا وَجَدْنٰا لِاَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ] بمنزلة التّعليل للطّبع و المراد بالعهد هو العهد مع النّبىّ (ﷺ) او الولىّ (عليه السلام) و بعبارةٍ اخرى هو عقد الاسلام او الايمان، او المراد بالعهد هو الفعليّة الحاصلة من عقد البيعة يعنى ما عاهدوا او عاهدوا و أبطلوا. و لاينافى ذلك ماورد فى الاخبار من تفسير العهد بوفاء العهد الحاصل فى الذّرّ فانّ المراد بالوفاء بالعهد فى الذّرّ هو قبول النّبوّة او الولاية.

[وَ اِنْ وَجَدْنٰا] انّه وجدنا [اَكْثَرَهُمْ لَفٰاسِقِينَ] خارجين من حكومة العقل، فانّ الفسق هو الخروج من تحت حكم اللّه سواء كان على لسان النّبىّ الخارجىّ او الباطنىّ و بعد تفسير العهد بما ذكر فالاولى تفسيره بالخروج من حكومة النّبىّ الباطنىّ موافقاً لماسبق فى تفسير قوله: فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا من قبل .

[ثُمَّ بَعَثْنٰا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسٰى بِاٰيٰاتِنٰا] التّسع [إِلٰى فِرْعَوْنَ وَ مَلاَئِهِ فَظَلَمُوا بِهٰا] يعنى ظلموها لانّهم وضعوا موضع الاقرار بما ينبغى الاقرار به لوضوحه و ظهوره الكفر به، و لذا بدلّ الكفر بالظّلم و عدّاه بالباء على تضمين معنى الكفر، او مثل معنى الالصاق، او ظلموا موسى بسبب الآيات الّتى هى اسباب الطّاعة فيكون اشارة الى نهاية وقاحتهم و ظلمهم.

[فَانْظُرْ كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ] من اغراق فرعون و ملائه و اهلاك الامم السّابقة بما اهلكوا به.

[وَ قالَ مُوسىٰ يا فِرْعَوْنُ اِنّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ] اليكم [حَقيقٌ عَلىٰ اَنْ لا اَقُولَ عَلَى اللّٰهِ الاّ الْحَقّ]كان القياس ان يجعل ان لا اقول على اللّه الّا الحقّ مرفوعاً بحقيق و يجعل مدخول على هو المتكلّم كما قرىء به، لكنّه قلب مجازاً للمبالغة فى الصّدق كأنّه امر متجوهرو المتكلّم من اوصافه، اوللاشارة الى ماهو حقيقة الامر من اصالة الوجود و اعتباريّة المهيّات.

فانّ الانسان على المذهب الحقّ نحو من الوجود متحدّد بالحدود المتعيّنة و صفات الوجود متّحدة معه و التّغاير فى مفهومها فقط، و الحدود امور اعتباريّة عدميّة لاحقيقة لها و الوجودات الامكانيّة لااستقلال لها ولا انانيّة بل هى متعلّقات محضة و فقراء الى اللّه و اللّه هو الغنيّ.

والانانيّة الّتى هى عبارة عن الاستقلال انّما هى باعتبار الحدود العدميّة فهى من اعتبارات الانسان و تابعة لحقيقته لا انّها حقيقته فهى تابعة لصدقه الّذى هو حقيقته، فصحّ ان يقال انا حقيق على الصّدق بهذا الاعتبار كما يصحّ ان يقال حقيق ان لااقول على اللّه الّا الحقّ علىّ بتشديد الياء باعتبار ملاحظة مفهومى الانانيّة و الصّدق و بهذا الاعتبار قيل : حقّ القضايا الّتى تنعقد بين الممكنات ان يجعل الموضوع نحواً من الوجود و المحمول مهيّة من المهيّات.

فيقال : الوجود انسان مثلاً، لانّ الانسانيّة الّتى هى عبارة عن حدّ الوجود عرض تابع للوجود و الوجود متبوع، و قيل فيه بتضمين حقيق معنى حريص و كون على بمعنى الباء و غيرذلك من الوجوه، وقرىء

بوجوه أُخر غيرماذكر ايضاً ، و لمّا كانت الدّعاوى العظيمة من شأنها ان لايسامح فيها و لاتسمع الاّ ببيّنة و شاهد بادر(عليه السلام) اليها قبل مطالبتها فقال : [قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ] فاقبلوا قولى ولاتخالفوا. [فَاَرْسِلْ مَعِيَ بَنى اِسْرائيلَ] و لمّا كان صحّة الدّعوى و سقمها منوطة بالبيّنة طالبها منه و لم يتعرّض لغيرها.

[وَ قالَ اِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِها اِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقينَ فَاَلْقى عَصاهُ فَاِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبينٌ وَ نَزَعَ يَدَهُ فَاِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنّاظِرينَ قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ] اى من خواصّهم خطاباً للملأ الاخرى حوله من غير الخواصّ و لعلّ فرعون شاركهم فى هذا القول بقرينة قوله فماذا تأمرون فلا ينافيه ما فى الشّعراء من قوله تعالى: قال للملأ حوله و يحتمل ان يكون قوله تعالى : يريد ان يخرجكم مستأنفاً من فرعون و ان يكون هذا مع ما فى الشّعراء فى مجلسين.

[اِنَّ هٰذا لَساحِرٌ عَليمٌ يُريدُ اَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ اَرْضِكُمْ فَماذا تَأْمُرُونَ] و تشيرون [قالُوا] قالت الخواصّ او الملأ حوله غير الخواصّ [أَرْجِهْ وَ اَخاهُ] من الارجاء بمعنى التّأخير يعنى اخّر امر هما حتّى يمكن لك التّدبير، قرىء ارجئه على الاصل بسكون الهمزة وضمّ الهاء و ارجئه بسكون الهمزة و كسر الهاء على خلاف القياس، وارجهى من ارجيت بكسر الهاء مع الاشباع، وَ ارجه بكسر الهاء بدون الاشباع و ارجه بسكون الهاء مع الاشباع و ارجه بكسر الهاء بدون الاشباع و ارجه بسكون الهاء تشبيهاً له بالواو و الياء الضّمير من كما قيل، او تشبيهاً لهاء الضّمير بهاء السّكت او اجراءً للوصل مجرى الوقف .

[وَ اَرْسِلْ فِى الْمَدائِنِ حاشِرِينَ يَاْتُوكَ بِكُلِّ ساحِرٍ عَليمٍ وَ جاءَ السَّحَرةُ فِرعَوْنَ] يعنى فأرسل و حشروا و جاؤا فرعون [قالُوا اِنَّ لَنا لَاَجْراً اِنْ كُنّا نَحْنُ الْغالِبينَ] و قرىء بهمزٍ واحدٍ على المعاهدة و الميثاق.

[قالَ نَعَمْ وَ اِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبينَ قالُوا يا مُوسىٰ اِمّا اَنْ تُلْقِيَ] يعنى ابتداءً [وَ اِمّا اَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقينَ] خيّروه اظهاراً للادب او الجلادة و عدم المبالاةما يقابل سحرهم، لكن لرغبتهم فى الالقاء ابتداءً غيّروا النّظم واكّدوا الجملة و ان ذكروا القاءهم مؤخّراً جلادة او مراعاة للادب.

[قالَ اَلْقُوا] قدّمهم على نفسه كرماً و مقابلة لادبهم بترجيحهم على نفسه و قلّة مبالاة بسحرهم [فَلَمّا اَلْقَوْا سَحَرُوا اَعْيُنَ النّاسِ] السّحر يقال لكلّ علم و عمل خفيّ مدركه و مأخذه سواء كان بتمزيج القوى الرّوحانيّة و الطّبيعيّة او بالتّصرّف فى القوى الطّبيعيّة فقط، و يقال لتمزيج القوى الرّوحانيّة و الطّبيعيّة و احداث آثار خارجة عن مجرى العادة و منه التّصرّف فى المدارك البشريّة بحيث يرى و يسمع ما لاحقيقة له، و كأنّهم سحروا بتسخير الرّوحانيات الخبيثة و تمزيجها مع القوى الطّبيعيّة و احداث آثار خارجة عن العادة و لذا قال سحروا اعين النّاس؛ فما نقل : انّهم القوا حبالاً و عصيّاً مجوّفة مملوّةً من الزيبق، ان كان صحيحاً كان احد جزئى سحرهم من القوى الطّبيعيّة و الاّ لم يكن لنسبة السّحر الى اعين النّاس حينئذٍ وجهٌ.

[وَ اسْتَرْهَبُوهُمْ وَ جاؤُا بِسِحْرٍ عَظيمٍ] نقل انّ السّاحة الّتى القوا

سحرهم فيها كانت ميلافى ميلٍ و ملاؤا الوادى من الحبال و الخشب الطّوال المتحرّكة كأنّها افاعٍ عظيمةٌ و لذلك او جس فى نفسه خيفةً موسى (عليه السلام).

[وَ اَوْحَيْنٰا اِلىٰ مُوسىٰ اَنْ اَلْقِ عَصٰاكَ فَاِذٰا هِيَ تَلْقَفُ مٰايَأْفِكُونَ] من الافك بمعنى الصّرف و قلب الشّيء عن وجهه نقل، انّها لمّا تلقفت حبالهم و عصيّهم و ابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا و ازدحموا حتّى هلك جمع كثيرمنهم ،ثمّ اخذها موسى (عليه السلام) فصارت عصاً فأيقن السّحرة انّها لولم تكن آلهيّة لبقى حبالهم و عصيّهم و اعترفوا برسالة موسى (عليه السلام) و نقل، انّهم قبل الموعد آمنوا بموسى(عليه السلام) خفية و اظهروا ايمانهم يوم الموعد.

[فَوَقَعَ الْحَقُّ] اى ثبت [وَ بَطَلَ مٰا كٰانُوا يَعْمَلوُن فَغُلِبُوا] اى قوم فرعون و السّحرة جميعاً او قوم فرعون [هُنٰالِكَوَ انْقَلَبُوا صٰاغِرِينَ وَ اُلْقِيَ السَّحَرَةُ سٰاجِدِينَ] كأنّهم القاهم ملق من شدّة اضطرابهم كأنّه لم يبق لهم تماسك.

[قٰالُوا اٰمَنّٰا بِرَبِّ الْعٰالَمِينَ رَبِّ مُوسٰى وَ هٰارُونَ] بيّنوا المجمل بالابدال منه [قٰالَ فِرْعَوْنُ اٰمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ اَنْ اٰذَنَ لَكُمْ إِنَّ هٰذٰا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ] اى مدينة مصر [لِتُخْرِجُوا مِنْهٰا اَهْلَهٰا] المالكين لها المتصرّفين فيها و هم القبطيّة. [فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ] تهديد لهم [لَأُقَطِّعَنَّ اَيْدِيَكُمْ وَ اَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلٰافٍ] اليد من جانب و الرّجل من جانبٍ آخر، [ثُمَّ لَاُصَلِّبَنَّكُمْ اَجْمَعِينَ] تعذيباً و تفضيحاً لكم و عبرةً لغيركم توعيد و تغليظ.

[قَالُوٓا] اظهاراً لعدم مبالاتهم بتوعيده [إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ] فالموت و القتل كان خيراً لنا فتهديدك بالقتل بشارةٌ لنا لاتهديدٌ كما زعمت، و في قولهم : لاضير انّا الى ربّنا منقلبون، اشارة الى هذا؛ او المقصود انّا نحن و انتم الى ربّنا منقلبون آخر الامر فيجازى كلّاً بحسب عمله و فى قولهم: [وَ مَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا] اشعارٌ بهذا المعنى يعنى نحن و انتم راجعون الى اللّه و الحال انّ انتقامكم منّا ليس الّا بسبب ايماننا بربّنا فانتم اولى بالخوف منّا فيكون تهديداً لهم، و لمّا اظهروا عدم مبالاتهم بتهديده خافوا من عدم ثباتهم و صبرهم على القطع و الصّلب فتضرّعوا الى اللّه تعالى و استغاثوا و قالوا: [رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً] عظيماً و لذلك قالوا افرغ اشارةً الى كثرته تشبيهاً له بالماء الكثير و نكرّوا صبراً [وَ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ] لنبيّك مسلمين لقضائك، نقل انّه فعل بهم ما أوعدهم و نقل، انّه لم يتيسّر له.

[وَ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ] بعد ظهور امر موسى (عليه السلام) و قوّته لفرعون: [أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ] ارض مصر بتغيير الخلق و دعائهم الى مخالفتك و ترك دينك و ترك العبادة لك [وَ يَذَرَكَ] اى عبادتك او سلطنتك. [وَ ءَالِهَتَكَ] اصنامك الّتى تعبدها او الاصنام الّتى صنعتها لان يعبدوها ليتقرّبوا بها اليك كما قيل: انّه صنع لهم اصناماً ليعبدوها للتّقرّب اليه، و قرىء و آلهتك مصدراً بمعنى عبادتك.

[قَالَ] جواباً لهم [سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَ نَسْتَحْيِى نِسَآءَهُمْ وَ إِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ] قاله اظهاراً لتسلّطه و تسكيناً لقومه مع خوفه من

موسى (عليه السلام) و لمّا وصل ذلك الخبر الى موسى (عليه السلام) و قومه و رأى فزعهم من تهديده.

[قَالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ] تسليةً لهم و وعداً: [ اسْتَعِينُوا بِاللّٰهِ] بالتّضرّع عليه و الالتجاء اليه. [وَاصْبِرُوا] على يسير اذاه [إِنَّ الْاَرْضَ لِلّٰهِ] اى موضع التّعليل [يُورِثُهٰا مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ] لالفرعون و قومه حتّى يفعلوا فيها ما يشاؤن فالتجؤا اليه و اسئلوا منه و خافوا منه لامن غيره. [وَ الْعٰاقِبَةُ] الحسنى الّتى هى الآخرة و دارالكرامة [لِلْمُتَّقِينَ] الجزع عند الشّدائد، وعد و تذكيرلما وعدهم من اهلاك القبط و تسليطهم على مصرفى الدّنيا و من الجنان فى الآخرة.

[قٰالُوا] تضجّراً بوعده و عدم انجازه: [اُوذِينٰا مِنْ قَبْلِ اَنْ تَأْتِيَنٰا] متسلّين بوعد مجيئك، [وَ مِنْ بَعْدِ مٰاجِئْتَنٰا] فبم نتسلّى بعد مجيئك [قٰالَ] بعد تضجّر هم بوعده [عَسٰى رَبُّكُمْ] اتى بكلمة التّرجّى و صرّح بهم بعد ما وعدهم بالقطع و عرّض بهم خوفاً من انكارهم و ردّهم و تسلية لهم تصريحاً.

[اَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الْاَرْضِ] ارض مصر [فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ وَ لَقَدْ اَخَذْنٰا اٰلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ] السّنة غلبت على عام القحط و لذا اطلق السّنين، [وَ نَقْصٍ مِنَ الثَّمَرٰاتِ] بعاهات اخرى غير الجدب [لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ] انّ الخصب و السّعة بقدرة اللّه لاباختيارهم فيؤمنوا برسوله و لايجحدوه، فانّ المانع من قبول الحقّ هو قوّة الخيال و جولانه فى الخواطر و عند الشّدائد يضعف الخيال و لا يمنع من تذكّر الحقّ و قبوله.

[فَاِذٰا جٰاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قٰالُوا لَنٰا هٰذِهِ] بيان لغاية سفاهتهم و وخامة رأيهم حيث عقّبوا ما غايته التّذكّر و قبول الحقّ بالتّأنّف و جحوده، و فى الاتيان باذا و مضىّ الفعل و تعريف الحسنة اشارة لطيفة الى كثرة الحسنة بحيث لاينكر تحقّقها و معهوديّتها لكثرة دورانها بخلاف قرينتها فانّها لندورها كأنّها مشكوك فيها و لم تتحقّق و ان تحقّق فردمنها فكأنّها امر منكور غير معهودٍ و لذلك اتى بان و استقبال الفعل و تنكير السّيئة؛ فقال: [وَ اِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ] و المراد بالحسنة ههنامايعدّونه اهل الحسّ حسنة من الصّحة و الخصب وسعة المال و بالسّيئة مايقابلها،[يَطَّيَّرُوا بِمُوسىٰ وَ مَنْ مَعَهُ] كانوا اذا استقبلهم طائرٌ وقتما ارادوا مهمّاً فان طار الى اليمين اوالى اليسار تفألوا و تشأّموا كما قيل[١] والاسم منه الطّيرة و الطّائر ثمّ غلب التّطيّر، و مشتقّاته فى التّشأّم كالتّفأّل فى التيمّن، ثمّ استعمل التّطيّر فى كلّما يتشأّم به و كان رؤساؤهم جعلوا ما به التّفأّل و التّشأّم من امارات الخير و الشّرّ ثمّ عدّه جهلاؤهم من اسبابهما.

و لذلك قال فى الرّدّ عليهم: [اَلاٰ اِنَّمٰا طٰائِرُهُمْ عِنْدَاللّٰهِ] يعنى سبب خير هم و شرّ هم عند اللّه [وَ لٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ] انّ سبب الخير و الشّرّ عند اللّه و انّ الفاعل هو اللّه و ان ليس للخلق الاّ القبول و ليس ما يعدّونه سبب الخير و الشّرّ الّا امارةً ان كان من الامارات.

[و قٰالُوا] زيادة فى الوقاحة: [مَهْمٰا تَأْتِنٰا بِهِ مِنْ اٰيَةٍ لِتَسْحَرَنٰا

---

١-و قيل : كانوا يتشأّمون بالبارح و هو الّذى يأتى من قبل الشّمال و يتبرّكون بالسّابح و هو الّذى يأتى من قبل اليمن.

بِهٰا] لتتصرّف فينا و تغيّرنا عمّا نحن عليه بتصرّفاتٍ خفيّةٍ عنّا.

[فَمٰا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ فَأَرْسَلْنٰا عَلَيْهِمُ الطُّوفٰانَ] ما يطوف بهم من الماء و فسّر بالطّاعون، [وَ الْجَرٰادَ وَ الْقُمَّلَ] هو صغار الجراد الّتى لاجناح لها او صغار الذّرّ او دويبة صغيرة لها جناحٌ احمر او دوّاب كالقردان، و تفسيره بقمّل النّاس بعيد لانّ قمّل النّاس مفتوح الفاء مخفّف العين كما قرىء به، و حينئذٍ يكون المراد به القمّل المعروف.

[وَ الضَّفٰادِعَ وَ الدَّمَ اٰيٰاتٍ مُفَصَّلاتٍ] واضحات او منفصلات اذ كان بين كلّ آيةٍ و آيةٍ سنة، و امتداد كلّ منها كان اسبوعاً .[فَاسْتَكْبَرُوا وَ كٰانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ وَ لَمّٰا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ] العذاب فيكون عبارةً عن الآيات المذكورة و يكون الكلام بياناً لوقاحةٍ اخرى لهم و عدم ثباتهم على عهدهم، او المراد به الثّلج كما نسب الى الرّضا (عليه السلام) و كانوا لم يعهدوا مثله قبله.

[قٰالُوا يٰا مُوسَى ادْعُ لَنٰا رَبَّكَ بِمٰا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَ لَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرٰائِيلَ فَلَمّٰا كَشَفْنٰا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلىٰ أَجَلٍ هُمْ بٰالِغُوهُ إِذٰا هُمْ يَنْكُثُونَ] كما هو ديدن ارباب النّفوس الّتى هى كالخبيثات من النّساء، [فَانْتَقَمْنٰا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنٰاهُمْ فِي الْيَمِّ] من عطف التّفصيل على الاجمال او بتضمين انتقمنا معنى اردنا، [بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا وَ كٰانُوا عَنْهٰا غٰافِلِينَ] من حيث انّها يات و لذلك كذّبوا بها فيكون من العطف للتّعليل.

ورد فى الخبر: انّ السّحرة لمّا سجدوا لموسى (عليه السلام) و آمن به النّاس قال هامان لفرعون : انّ النّاس قد آمنوا بموسى (عليه السلام) فانظر من دخل فى

دینه فاحبسه فحبس کلّ من آمن به من بنی اسرائیل فجاء الیه موسی (علیه السلام) فقال له: خلّ عن بنی اسرائیل، فلم یفعل.

فأنزل اللّه علیهم فی تلك السّنّة الطّوفان فخرّب دورهم و مساکنهم حتّی خرجوا الی البرّیّة و ضربوا الخیام فقال فرعون لموسی(علیه السلام): ادع حتّی یکفّ عنّا الطّوفان حتّی اخلّی عن بنی اسرائیل و اصحابك، فدعا موسی (علیه السلام) ربّه فکفّ عنهم الطّوفان و همّ فرعون ان یخلّی عن بنی اسرائیل.

فقال هامان : ان خلّیت عن بنی اسرائیل غلبك موسی (علیه السلام) و ازال ملکك فقبل منه و لم یخلّ عن بنی اسرائیل، فانزل اللّه علیهم فی السّنة الثّانیة الجراد فجرّدت کلّ شيءٍ کان لهم من النّبت و الشّجر حتّی کانت تجرّد شعرهم ولحیتهم، فجزع فرعون لذلك جزعاً شدیداً، و قال : یا موسی ادع ربّك ان یکفّ عنّا الجراد حتّی اخلّی عن بنی اسرائیل و اصحابك، فدعا موسی ربّه فکفّ عنهم الجراد فلم یدعه هامان ان یخلّی عن بنی اسرائیل، فأنزل اللّه علیهم فی السّنة الثّالثة القمّل فذهبت زروعهم و اصابتهم مجاعة شدیدة. فقال مقالته السّالفة فکشف عنهم القمّل و قال : اوّل ما خلق اللّه القمّل فی ذلك الزّمان فأرسل علیهم بعد ذلك الضّفادع فکانت تکون فی طعامهم و شرابهم و یقال : انّها تخرج من ادبارهم و آذانهم و آنافهم فجزعوا و قالوا مثل مقالتهم الاولی و لم یفوا، فحوّل اللّه علیهم النّیل دماً فکان القبطیّ رآه دماً و الاسرائیلی ماءً، و القبطیّ یشربه دماً و الاسرائیلیّ ماءً.

فیقول القبطیّ للاسرائیلیّ: خذالماء فی فمك و صبّه فی فیّ فکان

اذا صبّه فى فمه يحول دماً، فجزعوا و قالوا كما قالوا، و لم يفوا فأرسل اللّه تعالى عليهم الرّجز و هو الثّلج فماتوا و جزعوا و اصابهم ما لم يعهدوه فكشف عنهم الثّلج فخلّى عن بنى اسرائيل فاجتمعوا.

و خرج موسى (عليه السلام) من مصر و اجتمع اليه من كان هرب من فرعون و بلغ فرعون ذلك فقال هامان: قد نهيتك ان تخلّى عن بنى اسرائيل فقداستجمعوا اليه فجزع فرعون و بعث فى المدائن حاشرين و خرج فى طلب موسى (عليه السلام) فغرق فى اليمّ.

[وَاَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْاَرْضِ وَ مَغَارِبَهَا] يعنى مشارق ملك مصر و مغاربها او ملك مصر و الشّام [الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا] بكثرة النّعم من الحبوب و الّثمار و غيرها [وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِى اِسْرائيلَ] عدته الحسنى بايراث الارض بقوله تعالى : و نجعلهم الوارثين.

اعلم، انّ الكلمة غير مختصّة بالحروف المركّبة الحاصلة من تقاطع الهواء التّنفّسىّ مع مخارج الحروف الموضوعة لمعنى من المعانى بل كلّ مادلّ على غيره من الكلمات العينيّة فهو كلمة، بل التّحقيق انّ الحقّ المضاف الّذى هو المشيّة الّتى هى نفس الرّحمن و اضافته الاشراقيّة و الرّبّ المضاف باعتبار تعلّقه بالمخارج الحقيقيّة الّتى هى الاعيان الثّابتة و المهيّات الاعتباريّة، كلمته تعالى باعتبار وحدته و كلماته باعتبار تعدّده فانّ له فى نفسه وحدةً حقيقيّة ظليّةً و باعتبار المهيّات كثرةً اعتباريّةً و نحن الكلمات التّامّات.

كما ورد عنهم عليهم السّلام بهذا الاعتبار، و تسمية المشيّة بنفس

الرّحمن باعتبار تطابق العالم الصّغير و الكبير و تلك الكلمة باعتبارها فى نفسها تامّة، و باعتبار ظهورها على غيرها توصف بالتّمام وعدمه، و ظهورها تامّة بان تظهر بصورة الولاية و النّبوّة و الرّسالة، و تماميّتها حينئذٍ كانت اضافيّة، و تماميّتها الحقيقيّة اذا كانت بصورة الولاية المطلقة فيصير صاحبها خاتم الولاية، و بصورة النّبوّة المطلقة و الرسالة المطلقة فيصير صاحبهما خاتم النبوة و الرّسالة كما فى محمّد (صلّى الله عليه وآله) و علىّ (عليه السلام) و تماميّة النّبوّة و الرّسالة النّاقصة تماميّة اضافيّة ان تظهر بجميع ما من شأنه ان تظهر به من قبول احكامها و انجاز مواعيدها و ترتّب فوائدها.

و من جملة تماميّة نبوّة موسى (عليه السلام) ظهورها باتمام مواعيدها و رفع موانع رواجها من مع فرعون و قومه، و التّوصيف بالحسنى للاشارة الى انّ كلماته باعتبارها فى انفسها تتفاوت و تتّصف بالحسن والاحسنيّة و ان كان كلّها باعتبار اضافتها اليه تعالى حسنة غيرمتّصفةٍ بعدم الحسن.

و بعدما عرفت انّ الرّبّ المضاف هو الولاية المتحقّق بمطلقها علىّ(عليه السلام) و انّ الرّسالات و النّبوّات و الولايات الجزئيّة هى مراتب الولاية المطلقة وتنزّلاتها و انّ النّبوّة المطلقة و الرّسالة المطلقة ايضاً ظهور و الولاية المطلقة و تحت تربيتها، علمت جواز تفسير الرّبّ بعلىّ(عليه السلام) و الكلمة بموسى (عليه السلام) او برسالته و نبوّته.

[بِما صَبَرُوا وَ دَمَّرْنا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ] من الاصنام و عبادتها و الصّنائع الدّقيقة، و آلاتها والابنية الرّفيعة و

زخارفها [وَ ما كانُوا يَعْرِشُونَ] من كروم الجنان و القصور الرّ فيعة و قوله دمّرنا عطف على تمّت او على صبروا، و كون التّدمير سبباً لتماميّة الكلمة لما فيه من الدّلالة على القدرة و الرّسالة و العبرة لسالكى الآخرة.

[وَ جاوَزْنا بِبَنِى إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ] بعد مهلك فرعون و ايراث الارض لدعوة العمالقة و قتالهم.

[فَأَتَوْا عَلى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلى أَصْنامٍ لَهُمْ] اى على عبادتها [قالُوا يا مُوسَى اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ] بيان لسفاهة رأيهم و انّهم لمّا استراحوا من فرعون و قومه تركوا الانقياد و اظهروا الاستبداد لغاية حمقهم و جهلهم.

[قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ] ذمّهم اوّلاً على استبدادهم لجهلهم ثمّ بيّن لهم فساد عمل القوم، و بطلانه فقال: [إِنَّ هؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِيهِ] من الاحوال و الاخلاق و العقائد يعنى منكسرٌ منقطعٌ عمّا ينبغى الاتّصال به من النّبوّة و الولاية المتّصلة بالآخرة الباقية. [وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ] فاسد لا اثر له و لافائدة مترتّبة عليه.

[قالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلهاً] كرّر قال اهتماماً بما بعده فانّه المقصود و غيره كان توطئةً له فانّ انكار ابتغاء غير اللّه آلهاً كناية عن ابتغاءاللّه آلهاً لكون المقام مقام ابتغاء الآله. [وَ هُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ] فى زمانكم ببعثة الرّسل(علیهم السلام) منكم و خلاصكم من اعدائكم و انقيادكم للرّسل(علیهم السلام). [وَإِذْ أَنْجَيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ] عطف على قوله اغير اللّه ابغيكم آلهاً بتقدير اذكروا اى قال موسى (علیه السلام) اذكروا اذ انجيناكم، و نسبة الانجاء الى نفسه مع اللّه لكونه سبباً او عطف على

اورثنا بتقدیر قلنا اذکروا اذ انجیناکم فیکون خطاباً من اللّه معهم و تذکیراًلهم بالنّعمة العظیمة الّتی هی الخلاص من شدّة عذاب آل فرعون.

[یَسُومُونَکُمْ] یکلّفونکم [سُوءَ الْعَذٰابِ] و الجملة مستانفة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ او حال، [یُقَتِّلُونَ أَبْنٰاءَکُمْ] بدل من الاولی بدل التّفصیل من الاجمال او مستأنفة او حال مترادفة، او متداخلة، [وَ یَسْتَحْیُونَ نِسٰاءَکُمْ] یستبقون بناتکم للاسترقاق او یفتّشون حیاء نساءکم ای فروجهنّ لتجسّس العیب کالاماء، او تجسّس الحمل و قد سبق فی اوّل سورة البقرة تفصیله، [وَ فِي ذٰلِکُمْ بَلاٰءٌ] ابتلاء و محنة [مِنْ رَبِّکُمْ] علی ایدی اعدائه، [عَظِیمٌ] و تفسیر البلاء بالنّعمة و جعل الانجاء مشاراً الیه بعید.

[وَ وٰاعَدْنٰا مُوسٰی ثَلاٰثِینَ لَیْلَةً] و هی شهر ذی القعدة کما نقل لاعطاء کتاب فیه ببیان کلّ شيء، [وَ أَتْمَمْنٰاهٰا بِعَشْرٍ] من ذی الحجّة لسواك استاك آخر الثّلاثین قبل الافطار [فَتَمَّ مِیقٰاتُ رَبِّهِ] لاعطاء الکتاب. [أَرْبَعِینَ لَیْلَةً و قٰالَ مُوسٰی] حین خرج من بین قومه للمیقات [لِأَخِیهِ هٰارُونَ اخْلُفْنِي فِی قَوْمِي وَ أَصْلِحْ وَ لاٰ تَتَّبِعْ سَبِیلَ الْمُفْسِدِینَ وَ لَمّٰا جٰاءَ مُوسٰی لِمِیقٰاتِنٰا وَ کَلَّمَهُ رَبُّهُ] التفات من التّکلّم الی الغیبة اشارة الی انّ التّکلّم صدر من مقام ظهوره الّذی هو الولایة المطلقة المتحقّق بها علیّ (علیه السلام) کما انّ المتکلّم مع محمّد (صلی الله علیه و آله) لیلة المعراج کان علیّاً (علیه السلام).

و لمّا سمع موسی (علیه السلام) کلامه تعالی اشتدّ شوقه و التهب حرارة طلبه و لم یتمالك، فطلب و سأل ما لیس له من الشّهود و الرّؤیة مع انّه

كان بعد فى الحدّ و الغيبة و باقياً عليه الانـانيّة و ليس شأن المـحدود ادراك المطلق و رؤيته، فانّ من شرائـط الرّوؤيـة و الادراك صـيرورة الرّائى سنخاً للمرئىّ او المرئىّ سنخاً للرّائـى والّـا فـلا يـقع الرّؤيـة و لايحصل المشاهدة.

الاترى انّ النّفس فى مشاهدة الاجسام محتاجة الى آلة جسمانيّة و قوّة جرمانيّة و تلك القوّة الجسمانيّة محتاجة الى تجريد الصّـورة مـن المادّة لتجرّدها نحواً من التّجرّد، فلمّا لم يتمالك.

[قٰالَ رَبِّ اَرِنىِ اَنْظُرْ اِلَيْكَ قٰالَ لَنْ تَرٰانىِ] فانّكغير خارجٍ من حدودك ولو شاهدتنى بحدودك لفنيت فليس لك شأن رؤية المطلق، [وَ لٰكِنِ انْظُرْ اِلَى الْجَبَلِ] جبل الحجر او جبل انانيّتك، [فَاِنِ اسْتَقَرَّ] الجبل لتجلّىّ نورٍ من انوار المطلق، [مَكٰانَهُ فَسَوْفَ تَرٰانِى] مع جبل حـدّك وأنّيّتك.

[فَلَمّٰا تَجَلّٰى رَبُّهُ] الّذى هو المطلق المضاف لا المطلق المـطلق، [لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ] اللّه او الرّبّ او التّجلّى [دَكّاً] متفتّتاً متلاشياً، [وَ خَـرَّ موُسىٰ] لاندكاك انّيّته، [صَعِقاً فَلَمّٰا اَفٰاقَ قٰالَ سُبْحٰانَكَ] عن سؤالى عن مثلكما ليس لى [تُبْتُ اِلَيْكَ] من سؤالى [وَ اَنَا اَوَّلُ الْـمُؤْمِنِينَ] بأنّك لاترى لمثلى.

اعلم، انّ الادراك حقيقةً مشكّكة ذات مراتب متفاوته فى الشّدّة و الضّعف، و لكلّ مرتبة من مراتبه اسم خاصّ و شرائط خاصّة لحـصولها مثلاً ادراك زيد تصوّراً جزئيّاً مرتبة منه ادراكه بالبصر و يسمّى رؤية، و مرتبة منه ادراكه بالخيال و يسمّى تخيّلاً، و مرتبة منه ادراكه بـالعين

المثاليّة فى المنام و يسمّى رؤيا، و مرتبة ادراكه بالعين المثاليّة بالكشف الصّوريّ فى عالم المثال و يسمّى كشفاً صوريّاً و شهوداً.

و الكلّ ادراك النّفس الانسانيّة لشخص زيد بحيث لايمكن لاحدٍ ان يقول: انّ زيداً بشخصه غيرمدرك فى مرتبة من تلك المراتب و التّفاضل بين تلك الادراكات بديهيّ وجدانيّ، فانّ ادراك الخيال اضعف انواع الادراك و اقواهاالادراك بالرّؤية و الادراك شهوداً بالعين المثاليّ، و كما يسمّى الادراك البصريّ رؤية يسمّى الادراك الكشفيّ رؤية كما لايخفى، هذا فى التّصوّرات و الادراكات الجزئيّة و هكذا الحال فى التّصديقات و الادراكات الكليّة.

فانّ الحكم بكون الامير فى البلد قد يدرك توهّماً،و قديدرك شكّاً و ظنّاً ، و قديدرك علماً عاديّاً و تقليديّاً و يقينيّاً برهانيّاً و يقينيّاً شهوديّاً و التّفاضل بينها غيرمخفيّ و اقواها و اتمّها واشدّها هو العلم الشّهوديّ و يسمّى هذا العلم الشّهوديّ فى ذلك التّصديق الشّخصيّ رؤية باعتبار، كما يسمّى علماً و شهوداً و عياناً و تصديقاً باعتباراتٍ اُخر.

و علم من ذلك انّ الرّؤية غير مختصّة بالرّؤية البصريّة المشروطة بمقابلة المرئيّ للرّائى او بحكم المقابلة كالرّؤية فى المرآة و الماء و بتوسّط جسمٍ مشفّ و عدم القرب المفرط و البعد المفرط و عدم آفةٍ فى العين و عمدتها التفات النّفس الى الالة و فعلها، فانّ الادراك البصريّ صفة النّفس لكن فى مقامها النّازل و مرتبة الباصرة بل مقولة على ادراك عين الخيال فى عالم المثال كرؤية المكاشفين و النّائمين الرّائين الرّؤيا الصّادقة، و على ادراك عين الخيال فى عالم الخيال كرؤية المسرسمين و

المبرسمين و النّائمين الرّائين الرّؤيا الكاذبة، فانّه لايشكّ احد من هؤلاء و لا ممّن اطّلع على عالمهم و كيفيّة ادراكهم انّ مدركاتهم مرئيّات حقيقة و انّه لايصحّ سلب الرّؤية عنها.

فالرّؤية فى المدركات المتقدّرة الجزئيّة عبارة عن قوّه الادراك و شدّته بحيث لايتصوّر ادراك اتمّ و اقوى منه سواء كانت بالآلة المخصوصة ام بغيرها، و سواء كان المدرك مصاحباً للمادّة ام غيرمصاحب، فصحّ اطلاق الرّؤية على المتقدّر المجرّد عن المادّة كما يصحّ اطلاقها على المتقدّر المادّىّ ولا اختصاص له بالمادّىّ.

و هذا التّفاضل يجرى فى المدركات العقليّة المجرّدة عن المادّة و التّقدّر، فانّ العقول الكلّيّة و الملائكة المقرّبين قديتوهّم وجودها ثمّ يشتدّ هذا التّوهّم فيصير شكّاً ثمّ ظنّاً ثمّ علماً عاديّاً و تقليديّاً ثمّ علماً يقينيّاً برهانيّاً.

فاذا اشتدّ هذا العلم بحيث يخلّص العالم من المادّة و غواشيها و يرفعه عن العالمين و يوصله الى المجرّدات حتّى يشاهدها و يلحق بهاصار ادراكه اشدّ ما يتصوّر و علمه عياناً فان شئت فسمّ هذا العلم العيانىّ رؤيةً فانّه لامانع من اطلاق الرّؤية بهذا المعنى عليه بل حقيقة الرّؤية و هى الانكشاف التّامّ الّذى لايتصوّر فوقه انكشاف، و ادراك هنا اتمّ و اقوى من الانكشاف بآلة البصر و قد عرفت ان لامدخليّة لخصوص آلة البصر فى الرّؤية؛ و هكذا الحال فى الحقّ الاوّل تعالى شأنه و صفاته.

ثمّ اعلم انّ المعلوم المدرك فى ايّ عالمٍ كان لابدّ و ان يكون المدرك لذلك المعلوم بذاته او بآلاته، و وسائط دركه من سنخ ذلك

العالم للزوم نحو من الاتّصال او نحو من الاتّحاد بين المدرك و المدرك كما قرّر فى الحكميّات و الفلسفة الاولى، الاترى انّ المدركات المادّيّة الّتى هى من عالم المادّة لا تدرك الاّ بآلات مادّيّة كالحواسّ الخمس الظّاهرة.

و المدركات الخياليّة و المثاليّة الّتى هى من سنخ عالم المثال لا تدرك الّا بالحواس الباطنة الّتى هى ارفع من عالم المادّة، و المعقولات الّتى هى ارفع من العالمين لا تدرك الا بقوّةٍ ليست من سنخ عالم المادّة و لا من سنخ عالم المثال فاذا اريد ادراك العقول لابدّ و ان يرتفع المدرك عن العالمين و يصير عقلاً مجرّداً عن المادّة و التقدّر او يتنزّل العقول عن عالمها العقلىّ و تتمثّل بصورٍ متقدّرةٍ حتّى تدرك بالمدارك المثاليّة كما فى نزول الملائكة على الانبياء، فما لم يرتفع الدّانى او لم يتنزّل العالى لايمكن ادراك الدّانى للعالى، فاذا سأل الدّانى فى دنوّه بلسان حاله او قاله رؤية العالى فى علوّه فجوابه العتاب على هذا السّؤال و المنع من مسؤله و الزّجر على مأموله لسؤاله ما ليس له ان يسأل.

ثمّ اعلم انّ الانسان من اوّل استقراره فى الرّحم جماد بالفعل و له قوّة الانسانيّة و لمّا كان ضعيفاً غيرقابلٍ لقبول اثر العقل جعل البارى تعالى نفس الامّ واسطة فى فيضان نور العقل عليه حتّى اذا استكمل بحيث يستعدّ لقبول فيض العقل بلاواسطةٍ يتولّد و ليس له حينئذٍ من اثر العقل الّا فعليّة المدارك الحيوانيّة الظّاهرة فيتدرّج فى الاستكمال بفيض العقل حتّى يتحقّق فيه طليعة ضعيفة من اشراق العقل، فيدرك البديهيّات الاوّليّة الكلّيّة الّتى من شأنها ان يكون مدركها العقل فيتدرّج

فی الاستکمال و یتقوّی تلك الطّلیعة حتّی یمکنه اکتساب الکلیّات فیتدرّج فی ذلك حتّی یعاین مکتسباته فیتدرّج حتی یتحقّق بها و صار عالماً علمیّاً مضاهیاً للعالم العینیّ بل عالماً غیبیّاً محیطاً بالعالم العینیّ.

و حینئذٍ یصیر مطلقاً عن قیوده خارجاً من حجبه و حدوده و له استعداد شهود الحقّ الاوّل تعالی لکن اشتداده و ترقیّه الی زمان البلوغ و هو زمان الاستبداد بالرّأی و الاستقلال فی الاختیار.

وبعبارةٍ اخری الی زمان یمکنه ادراك خیره و شرّه الاخرویّین کان علی الصّراط المستقیم بأسبابٍ آلهیّة لامدخل للعبد فیها و لااختیارله و لذا قیل: کن مع اللّه کما کنت حتّی کان معك کما کان .

و اذا وصل الی مقام البلوغ و کله اللّه الی اختیاره و نبّهه علی خیره و شرّه علی ألسنة خلفائه الظّاهرة و الباطنة اعانه علی اختیاره الخیر و خذله فی اختیاره الشّرّ.

فان ساعده التّوفیق و تدارکه جذبة من جذبات الرّحمن و هی خیر من عبادة الثّقلین استراح من تعب السّلوك و رفع القلم عنه و صار من الشّیعة الّذین رفع القلم عنهم، و ان وکله اللّه الی نفسه و خذله باختیاره الشّقاء التحق بالشّیاطین، و ان وفّقه اللّه لسّلوك الیه باختیاره الخیر و التّقوی من الشّرّ، فامّا، ان یسلك بقدم نفسه و یتعب نفسه فی السّلوك الیه.

و بعبارةٍ اخری امّا ان یعبد اللّه مع بقاء حکم النّفس علیه و فی قیود انانیّته و یسمّی تقرّبه حینئذٍ بقرب النّوافل و هذا و ان اتعب نفسه فی السّلوك و العبادة و جاهد غایة المجاهدة لم یکن له شأنیّة المشاهدة و

المواصلة و ليس له الاّ الفرقة و المباعدة، او يسلك الى اللّه و يعبد اللّه من غيربقاء حكم النّفس و اثرها عليه و يسمّى تقرّبه بقرب الفرائض و هذا لخروجه من حدود نفس و قيودها و ارتفاعه عن حجاب انيّتّه له شأنيّة المواصلة و المشاهدة بل يصير هو الشّاهد و المشهود فى كلّ شاهدٍ و مشهودٍ.

و البصير و المبصر و السّميع و المسموع، و الاوّل و ان كان مستريحاً من تعب السّلوك ملتذّاً بلذّة الشّهود والهاً فى المحبوب ليس له كمال مقام الجمع و التجمّل بالاعوان و الجنود، و الثّانى و ان كان له جمعيّة وسعة و تجمّل ليست له لذّة المشاهدة و السّرور الاتمّ فهما ناقصان كلّ بوجهٍ، و الثّالث له الكمال الاتمّ و السّرور الابهى و الجمال الاجمل لجمعه بين كمال الشّهود و التّجمّل بالاعوان و الجنود، و له الخلافة الكبرى و الرّياسة العظمى .

اذا عرفت ذلك فقس قوله تعالى: و لمّا جاء موسى لميقاتنا و كلّمة ربّه قال ربّ ارنى انظر اليك قال لن ترانى، الى قوله تعالى: سبحان الّذى اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الّذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انّه هو السّميع البصير حتّى تعرف مقام محمدّ(ﷺ) فى العبادة و السّلوك و مقام موسى (عليه السلام) و تعرف انّ موسى(عليه السلام) سلك بقدم نفسه لابربّه و لذلك كان مستحقّاً لجواب لن ترانى .

و انّ محمّداً(ﷺ) سار باسراء ربّه لابسير نفسه، و انّ محمّداً(ﷺ) هو السّميع لكلّ مسموع فى مرتبته و البصير لكلّ مبصر فضلاً عن نعمة مشاهدة ربّه و رؤية آياته الكبرى كما هو الظّاهر من آخر الآية فانّ

الظّاهر عدم الالتفات فى آخر الآية و تطابق ضمير انّه هو السّميع مع ضمير لنريه.

و لمّا كان المتبادر الى فهم العامة من الرّؤية رؤية البصر و هى ممتنعة فى حقّه تعالى و كان حقيقة الرّؤية فى حقّه تعالى غير ممنوعة اختلفت الاخبار فى نفى الرّؤية عنه تعالى و اثباتها له و بما ذكرنا من التّحقيق يجمع بين متخالفات الاخبار فى باب رؤية الحقّ تعالى و عدمها و فى تفسير هذه الآية و من اراد الاطّلاع عليها فليرجع الى الكافى و الصّافى.

[قَالَ] اللّه تعالى بعد ما اندكَّ جبل انيّته و مات عن انانيّته ثمّ احياه اللّه بحيوةٍ اخرى غير الحيوة الاولى و استحقّ اعطاء كتاب النّبوّة، [يَا مُوسٰى اِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاٰتى] يعنى بما به الرّسالة و لذا جمعه و هو اسفار التّوراة او احكام التّوراة، [وَ بِكَلاٰمي] اى بشرافة كونك كليماً لى [فَخُذْمَا اٰتَيْتُكَ] من التّوراة او احكام الرّسالة اطلق الاخذ هنا و قيّده فيما بعد و فى قصّة يحيى و فى قصّة رفع الجبل فوق بنى اسرائيل بقوله بقوّة للاشارة الى عدم الحاجة اليها هنا لقوّة الآخذ و عدم حاجة المأخوذ الى قوّةٍ و للاشارة الى قوّةٍ المأخوذ و ضعف الآخذ فى قصّة يحيى و قصّة بنى اسرائيل.

[وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ] بصرفه لاهله و منعه من غير اهله، وروى انّ سؤال الرّؤية كان يوم عرفة و اعطاء التّوراة يوم النّحر [وَ كَتَبْنٰالَهُ فِى الْاَلْوٰاحِ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ] ما يسمّى شيئاً، [مَوْعِظَةً] فانّ في كلّ شيءٍ جهة وعظ و نصح للخير كما انّ فيه جهة كثرة و حجاب عن الخير فكتبنا من

كلّ شيءٍ جهة وعظ فى الواح التّوراة او فى الواح نفسه النّبويّة.

[وَ تَفصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ] عطف على مجموع من كلّ شيءٍ موعظة، لاعلى موعظة فقط او هو عطف على موعظة، و المعنى و كتبناله فى الالواح من كلّ شيءٍ تفصيلاً لكلّ شيءٍ.

فانّ البصير المرتفع عن عالم الطّبع بل عن عالم المثال يرى كلّ شيءٍ فى كلّ شيءٍ لكون الكلّ فى ذلك العالم مرائى متعاكسات يترائى كلّ شيءٍ فى ذلك العالم فى كلّ شيءٍ، بل نقول: ظاهر الآية كون تفصيلاً معطوفاً على موعظة و القيود المتقدّمة على المعطوف عليه معتبرة فى المعطوف بحكم العطف قد اشتهر عن الصّوفيّة انّهم يقولون: كلّ شيءٍ فى كلّ شيءٍ؛ [فَخُذْهٰا بِقُوَّةٍ] اى قائلين فخذالالواح الّتى فيها الموعظة و تفصيل كلّ شيءٍ، اوخذ الموعظة و تفصيل كلّ شيءٍ، او مجموع الالواح و الموعظة و التّفضيل و لاخذ تفصيل كلّ شيءٍ من كلّ شيءٍ ههنا فى المأخوذ اضاف قوله بقوّةٍ؛ [وَأْمُرْ قَوْمَكَ] بأخذ الالواح و الموعظة او بأخذ احسنها او بأىّ امرٍ كان [يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهٰا] فى حذف متعلّق الامر و جزم الجواب ايهام سببيّة امره (عليه السلام) باىّ امركان لاخذ قومه بأحسنها، كأنّه بامره و توجّهه اليهم يؤثّر فيهم اثراً يفتح بصيرتهم بحيث يميّزون بين الاحسن و غيرالاحسن.

و كلّ انسان مفطور على اخذ الاحسن اذا عرفه و فى امثال قوله تعالى لنبيّنا (صلى الله عليه وآله): قل للّذين آمنوا يغفر و الّذين لايرجون ايّام اللّه و قوله تعالى: قل للمؤمنين يغضّوا من ابصارهم دلالة على قوّة نفس نبيّنا(صلى الله عليه وآله) بالنّسبة الى موسى (عليه السلام) لايهامه انّ محض تخاطبه(صلى الله عليه وآله) مع المؤمنين

امراً كان او نهياً او حكاية و قصّة يؤثّر فيهم بحيث يصير سبباً لما ذكـر بعده من افعالهم الحسنة بخلاف موسى (عليه السلام).

فانّه ان امر اثّر والّا فلا.

و لمّا كان القوم غيرجامعة لجملة المراتب لضيقهم و عدم سعتهم بل كلّ من كان منهم فى مرتبة لم يكن يجرى عليه حكم المرتبة العالية و الدّانية لضيقه و كان الحسن و الاحسن فى حقّه حكم تلك المرتبة و كان حكم المرتبة العالية او الدّانية فى حقّه قبيحاً امره (عليه السلام) ان يأمر قومه ان يأخذوا احسن العظة او احسن الالواح باعتبار ما فيها من الاحكام الّتى هى موعظته تعالى.

فانّ الاحكام فيها كالقرآن متكثّرة مترتّبة بحسب تكثّر المـراتب كالانتقام و كظم الغيظ و العفو عن المسيء و الاحسان اليه.

فانّ الاحكام الاربعة مذكورة فى القرآن لكن هى مـترتّبة حسب مراتب الانسان و يختلف احسنها بحسب اختلاف الاشخاص فى مراتب العبوديّة.

فانّ الواقع فى جهنّام النّفس لايرتضى من المسيء بالانتقام بمثل اساءته بل لايرتضى باضعافها فالاحسن فى حقّه الانتقام بمثل اعتدائه كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم.

و من خرج من تلك الجهنّام فالاحسن فى حقّه كظم الغيظ و ترك الانتقام و لكن لايتصوّر فى حقّه الصّـفح و اخـراج ريـن الاسـاءة مـن صدره،والاحسن فى حقّ من خرج من حدود النّفس و توجّه الى حـدود القلب الصّفح و تطهير القلب من رين الاسـاءة و لايـتصوّر فـى حـقّه

الاحسان، و فى حقّ الدّاخل فى بيت اللّه الّذى من دخله كان آمنا و هو القلب كان الاحسن الاحسان فالمراد باحسنها احسن ما يتصوّر و يمكن فى حقّهم، هذا اذا كان المراد بالاحسن الاحسن الاضافىّ و ان اريد بالاحسن الاحسن المطلق فليخصّص قومه بخواصّه.

هذا على ظاهر مفهوم اللّفظ و الّا فالمراد به الولاية فانّها العظة الحسنى و الحكم الاحسن حقيقةً و المعنى انّك لسعة وجودك و استقلالك فى جميع المراتب مأمور باخذ جميع الاحكام فى جميع المراتب.

و لكنّ قومك لضيقهم و عدم استقلال رأيهم مأمورون بأخذ الاحسن منها و هى الولاية حتّى يحصل لهم بتبعيّة وليّهم سعةٌ و استقلال فى رأيهم فيستحقّوا بذلك الامر بأخذ الجميع و بأحد المعنيين، ورد قوله تعالى و اتّبعوا احسن ما انزل اليكم من ربّكم و لمّا صار المقام مظنّة ان يقال: ما لمن خرج من الانقياد و لم يأخذ حكم الالواح وعظةً؟

قال جواباً: [سَاُورِيكُمْ دارَ الْفٰاسِقِينَ] و جزائهم و الخطاب لموسى (عليه السلام) و قومه او لمحمّد (صلى الله عليه وآله) و قومه، ثمّ صار المقام مظنّة ان يقال: ما سبب خروج الفاسق و من المخرج له ؟ ايخرج بنفسه ام يخرجه غيره؟ - فقال: [سَاَصْرِفُ] البتّة على ان يكون السّين للتّأكيد او سأظهر يوم القيامة انّ انصراف المنصرف كان بسبب تكبّره بغير الحقّ، و لمّا كان الاهتمام ببيان سبب الانصراف لاالصّارف.

لم يقل: انا اصرف بتقديم المسنداليه تقوية للحكم او حصراً [عَنْ اٰيٰاتِيَ] التّدوينيّة الّتى هى احكام نظام المعاش و حسن المعاد و ظهور

الآيات التّكوينيّة او عن الآيات التّكوينيّة الآفاقيّة والانفسيّة و اعظمها الآيات العظمى او عن الجميع.

[الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الاَرْضِ] يظهرون الكبر او ينتحلون الكبر، [بِغَيْرِ الْحَقِّ] فانّ التكبّر بأمره مع المتكبّر صدقة، و التكبّر بكبريائه تعالى كبرياء الحقّ و هما لايمنعان من انقياد الآيات .

[وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ اٰيَةٍ لاٰ يُؤْمِنُوا بِهٰا] من عطف المسبّب على السّبب لتكبّر هم المانع من الاذعان بآياتى [وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاٰ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً] لادبارهم بتكبّرهم عن سبيل الرّشد، [وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً] لاقبالهم على الغيّ، و المراد بسبيل الرّشد و الغيّ، الاعمال و الاخلاق الموصلة اليهما بل نقول : للنّفس طريق الى العقل و هو الرّشد و طرقٌ عديدةٌ الى الجهل و هى الغيّ، و النّفس برزخ واقع بينهما و الاعمال و الاخلاق الحسنة من لوازم طريقها الى العقل، و ضدّها من لوازم طرقها الى الجهل.

[ذٰلِكَ] التّكبّر الّذى هو سبب الكلّ او ذلك المذكور من الصّرف و التّكبّر و عدم الايمان بالآيات و عدم اتّخاذ سبيل الرّشد و اتّخاذ سبيل الغيّ [بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِاٰيٰاتِنٰا] فانّ سبب الكلّ التّكذيب بآياتنا العظمى او مطلق الآيات.

[وَ كٰانُوا عَنْهٰا]من حيث انّها آيات. [غٰافِلِينَ وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيٰاتِنٰا وَ لِقٰاءِ الْاٰخِرَةِ حَبِطَتْ اَعْمٰالُهُمْ] عطف على مدخول انّ و هو على صورة قياسٍ اقترانيٍّ من الشّكل الاوّل و صورته هكذا : ذلك بانّهم كذّبوا بآياتنا و كلّ من كذّب بآياتنا حبطت اعمالهم فلا ينتفعون بها حتّى

يقرّبهم الى سبيل الرّشد و الانقياد للآيات.

[هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ] كأنّه قيل : حبط الاعمال لايشبه العدل، فقال : ليس حبط الاعمال الّاجزاء اعمالهم.

[وَ اتَّخَذَ قَوْمُ مُوسٰى مِنْ بَعْدِهِ] من بعد ذهابه الى الميقات تعريض بامّة محمّد (ﷺ) يعنى لاتتّخذوا انتم من بعد محمّد(ﷺ) عجلاً معبوداً [مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً] و فى ابدال جسداً رفع ايهام انّه كان عجلاً حقيقة [لَهُ خُوٰارٌ].

روى عن الباقر (عليه السلام) انّ فيما ناجى موسى (عليه السلام) ربّه ان قال : ياربّ هذا السّامرىّ صنع العجل فالخوار من صنعه ؟-قال : فاوحى اللّه اليه يا موسى (عليه السلام) انّ تلك فتنتى فلاتفحص عنها.

و عن الصّادق (عليه السلام) قال: ياربّ و من اخار الصّنم ؟

فقال اللّه تعالى : يا موسى انا آخرته، فقال موسى (عليه السلام) : ان هى الاّ فتنتك تضلّ بها من تشاء وتهدى من تشاء.

و عن النبىّ (ﷺ) : رحم اللّه اخى موسى ليس المخبر كالمعاين و لقد اخبره اللّه تعالى بفتنة قومه و لقد عرف انّ ما اخبره ربّه حقّ و انّه على ذلك لمتمسّك بما فى يديه فرجع الى قومه ورءآهم فغضب والقى الالواح.

[أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاٰ يُكَلِّمُهُمْ وَلاٰ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً] تقريع باعتبار ترك التّفكّر. [اِتَّخَذُوهُ] صفة سبيلاً اى لايهديهم سبيلاً جعلوه سبيلاً الى اللّه او مستأنف اى اتّخذوا العجل آلهاً [وَ كٰانُوا ظٰالِمِينَ] فى ذلك الاتّخاذ او من قبيل عطف السّبب.

[وَ لَمّٰا سُقِطَ فِي اَيْدِيهِمْ] هذا مثلٌ فى العرب و العجم جميعاً كناية عن غاية النّدم و التّحسّر و العجز عن دفع ما يتحسّر على وروده يعنى ندموا و عجزوا عن رفع بليّة عبادة العجل.

[وَرَاَوْا اَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قٰالُوا] اعترافاً بالذّنب و تضرّعاً: [لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنٰا رَبُّنٰا وَ يَغْفِرْلَنٰا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخٰاسِرِينَ وَ لَمّٰا رَجَعَ مُوسٰى اِلٰى قَوْمِهِ غَضْبٰانَ اَسِفاً قٰالَ بِئْسَمٰا خَلَفْتُمُونِي] خلفه قام مقامه و عمل فى خلفه، و ما نكرة موصوفة، او معرفة موصولة، او معرفة تامّة، و اذا كانت معرفة تامّة كان خلفتمونى حالاً، و على ايّ تقديرٍ فالعائد محذوف و المعنى بئس الّذى خلفتمونى فيه عبادة العجل فعبادة العجل مخصوصة بالذّم و محذوفة.

و يجوز ان يكون ما مصدريّة و يكون المعنى : بئس الخلافة خلافتكم لى حيث عبدتم العجل و تركتم امر ربّكم، و يجوز ان يكون الخطاب لهارون و لمن بقى معه و لم يعبد العجل و يكون المعنى: بئس الّذى خلفتمونى فيه من السّكوت عن نهى العابدين و المعاشرة معهم.

[مِنْ بَعْدِي اَعَجِلْتُمْ اَمْرَ رَبِّكُمْ] اسبقتم امر ربّكم باتّباعى و انتظار الكتاب السّماويّ و تركتموه و رائكم، و تعدية عجلتم بنفسه لتضمين مثل معنى السّبق او المعنى اسبقتم فى عبادة العجل امر ربّكم فعبدتم العجل من دون امرٍ منه او المعنى اسبقتم امر الرّب بانتظار اربعين ليلةً فما لبثتم انقضاء الوعد.

[وَ اَلْقَى الْاَلْوٰاحَ] من شدّة الغيظ للّه فتكسّر بعضه و رفع بعضه و بقى بعضه كما روى [وَ أَخَذَ بِرَاْسِ اَخِيهِ يَجُرُّهُ اِلَيْهِ] لانّه لم يفارقهم و

لم يلحق بموسى (عليه السلام) بعد ما نهاهم فلم ينتهوا. [قٰالَ ابْنَ اُمَّ] نسبه الى الامّ استعطافاً لانّ بنى امّ واحدةٍ اقرب مودّة من بنى ابٍ واحدٍ و كان اخاه من اب و امّ و كان اكبر من موسى (عليه السلام) بثلاث سنين.

[إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُوني] اعتذر عن تقصيره المترائى فى منع القوم من عبادة العجل. [وَ كٰادُوا يَقْتُلُونَني فَلاٰ تُشْمِتْ بِيَ الْاَعْدٰاءَ] من غير تقصيرٍ لى [وَ لاٰ تَجْعَلْني مَعَ الْقَوْمِ الظّٰالِمينَ] فى نسبة التّقصير اليّ وجعلى مثلهم.

[قٰالَ] بعد الافاقة من غضبه [رَبِّ اغْفِرْلي وَلِاَخي] فيما فرّط منّى فى حقّه و منه فى حقّ القوم.

[وَ اَدْخِلْنٰا في رَحْمَتِكَ وَ اَنْتَ اَرْحَمُ الرّٰاحِمينَ] و لمّا فرغ من الاستغفار و طلب الرّحمة صار المقام مقام ان يسأل اللّه : ما لمن عبدالعجل؟ ـ فقال تعالى جواباً لسؤاله المقدّر :[إِنَّ الَّذينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ] معبوداً [سَيَنٰالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ] فى الآخرة.

[وَ ذِلَّةٌ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيا] بقتلهم انفسهم [وَ كَذٰلِكَ] الجزاء من الغضب و الذّلّة.

[نَجْزِي الْمُفْتَرينَ] فتنبّهوا يا امّة محمّد (صلى الله عليه وآله) و لا تفترواو لاتأخذوا العجل و السّامرىّ خليفة بعد محمّد (صلى الله عليه وآله) و الافتراء اعمّ ممّا وقع قولاً او فعلاً او حالاً او اعتقاداً، و لمّا توهّم انّ المفترى جزاؤه ما ذكر مطلقاً و صار سبباً ليأس اهل المعاصى.

سيّما على تعميم الافتراء استدركه بقوله: [وَ الَّذينَ عَمِلُوا السَّيِّئٰاتِ ثُمَّ تٰابُوا مِنْ بَعْدِهٰا] بالتّوبة العامّة النّبويّة و البيعة الظّاهرة

ان لم يكونوا من اهل البيعة الظّاهرة او بالتّوبة الخاصّة الولويّة و البيعة الباطنة ان كانوا من اهل البيعة الظّاهرة او استغفروا بينهم و بين اللّه و ندموا على معاصيهم.

[وَ آمَنوا] بقبول الميثاق العامّ و احكامه، او الميثاق الخاصّ و احكامه، او بالبيعة الخاصّة الولويّة ان كان المراد بالتّوبة التّوبة العامّة او اذعنوا باللّه ان كان المراد من التّوبة الاستغفار بينهم و بين اللّه.

[إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدَهَا] من بعد السّيّئات او التّوبة [لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَ لَمّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ] استعار السّكوت للسّكون او شبّه الغضب بالامر استعارة تخييليّة.

[اَخَذَ الْأَلْواحَ] الباقية بعد القائها و انكسار بعضٍ و ارتفاع بعضٍ و بقاء بعضٍ [وَفي نُسْخَتِها] ما نسخ منها بالكسر و الرّفع او ما نسخ و كتب فى الالواح الباقية.

[هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلَّذينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ] فانّهم المنتفعون بالمواعظ دون من استمعها سماع الاسمار [وَ اخْتارَ مُوسى قَوْمَهُ] من قومه [سَبْعينَ رَجُلاً لِميقاتِنا].

روى عن الرّضا (عليه السلام) انّه سئل: كيف يجوز ان يكون كليم اللّه موسى (عليه السلام) بن عمران لا يعلم انّ اللّه لايجوز عليه الرّؤية حتّى يسئله هذا السّؤال!؟

فقال: انّ كليم اللّه علم انّ اللّه منزّه عن ان يرى بالابصار و لكنّه لمّا كلّمه اللّه و قرّبه نجيّاً رجع الى قومه فأخبرهم انّ اللّه كلّمه و قرّبه و ناجاه، فقالوا: لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعته و كان القوم سبعمائة

الفٍ فاختار منهم سبعين الفاً ثمّ اختار منهم سبعة الآف ثمّ اختار منهم سبعمائةٍ ثمّ اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربّه، فخرج الى طور سيناء فاقامهم فى صفح الجبل و صعد موسى (عليه السلام) الى الطّور و سأل اللّه ان يكلّمه و يسمعهم كلامه و كلّمه اللّه و سمعوا كلامه من فوق و اسفل و يمين و شمال و وراء و امام.

لانّ اللّه احدثه فى الشّجرة ثمّ جعله منبعثاً منها حتّى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: لن نؤمن بانّ هذا الّذى سمعناه كلام اللّه حتّى نرى اللّه جهرةً، فلمّا قالوا هذا القول العظيم و استكبروا و عتوا بعث اللّه عليهم صاعقة فاخذتهم الصّاعقة بظلمهم فماتوا.

فقال موسى (عليه السلام): يا ربّ ما اقول لبنى اسرائيل اذا رجعت اليهم و قالوا انّك ذهبت بهم فقتلهم لانّك لم تكن صادقاً فيما ادّعيت من مناجاة اللّه ايّاك ؟! فأحياهم و بعثهم معه.

فقالوا: انّك لوسألت اللّه ان يريك تنظر اليه لاجابك فتخبر كيف هو و نعرفه حقّ معرفته فقال موسى (عليه السلام) :يا قوم انّ اللّه لا يرى بالابصار و لا كيفيّة له و انّما يعرف بآياته و يعلم باعلامه.

فقالوا: لن نؤمن لك حتّى تسأله فقال موسى (عليه السلام) يا ربّ انّك قد سمعت مقالة بنى اسرائيل و انت اعلم بصلاحهم فاوحى اللّه اليه: يا موسى (عليه السلام) سلنى ما سألوك فلم اواخذك بجهلهم، فعند ذلك قال موسى(عليه السلام) : ربّ ارنى انظر اليك قال لن ترانى و لكن انظر الى الجبل فان استقرّ مكانه و هو يهوى فسوف ترانى فلمّا تجلّى ربّه للجبل بآية من آياته جعله دكّاً و خرّ موسى صعقاً فلمّا أفاق قال سبحانك تبت اليك و انّا

اوّل المؤمنين.

[فَلَمّٰا اَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قٰالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ] اهلاكنا [اَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيّٰایَ] يعنى من قبل وعدى بنى اسرائيل باسماع كلامك و اتيانى بهم الى ميقاتك حتّى لايتّهمونى بالكذب و اهلاك من جئت بهم الى ميقاتك [اَتُهْلِكُنٰا بِمٰا فَعَلَ السُّفَهٰاءُ مِنّٰا] من الجرأة على طلب الرّؤية. [إِنْ هِیَ اِلاّٰ فِتْنَتُكَ] ان العجل و خواره الّا فتنتك على ان يكون مقطوعاً من سابقه على ماروى انّ اللّه اخبره بضلال قومه بالعجل، فقال: يا ربّ ان كان السّامرىّ صنعه فمن أخاره ؟

فقال : انا، فقال : ان هى الاّ فتنتك، او على ان يكون السّبعون المختارون من عبدة العجل اختارهم لميقات التّوبة فاخذتهم الرّجفة لهيبة اللّه، او المعنى ان اسماعهم لكلامك حتّى طمعوا فى سؤال الرّؤية الّا فتنتك اوان الرّجفة منك الاّ فتنتك، و تأنيث الضّمير على الوجوه السّابقه لمراعاة الخبر.

[تُضِلُّ بِهٰا مَنْ تَشٰاءُ وَ تَهْدِي مَنْ تَشٰاءُ أَنْتَ وَلِيُّنٰا] المتصّرف فى امورنا [فَاغْفِرْلَنٰا وَ ارْحَمْنٰا وَ اَنْتَ خَيْرُ الْغٰافِرِينَ وَ اكْتُبْ لَنٰا فِي هٰذِهِ الدُّنْيٰا حَسَنَةً] لمّا كان الحسن الحقيقىّ هو الولاية فكلّ ما كان مرتبطاً بالولاية من علم و خلق و فعل فهو حسن بحسنها، و الّسير على طريق الولاية ايضاً حسن بحسنها، و تسهيل السّير بقوّة الولاية و رفع موانع السّير و قلّة الامتحانات فى الطّريق و الذّكر المأخوذ من الامام و الاتّصال بملكوت الامام كلّها حسن بحسنها، و التّاء فى الحسنة للنّقل فتفسيرها بالولاية و بالطّاعة و بتوفيقها و بتسهيل السّير و رفع موانع

السّير و تقليل الامتحانات و دوام الذّكر و تمثّل صورة الشّيخ كلّها صحيح.

[وَ فِى الْاٰخِرَةِ] ايضاً حسنة و الحسنة فى الآخرة هو شهود الحقّ تعالى فى مظاهره بمراتبها، و نعم ما قال المولوىّ قدّس سرّه بالفارسىّ فى تفسير الحسنة فى الدّنيا و الآخرة:

راه را برما چو بستان كن لطيف

مقصد ما باش هم تو اى شريف

[اِنَّا هُدْنَا اِلَيْكَ] من هاد يهود اذا رجع [قَالَ] جواباً له : انّ لى سخطاً و رضى و عذاباً و رحمة و لكلّ اهل، فلى ان اعذّب من كان اهلاً للعذاب، و ارحم من كان اهلاً للرّحمة.

[عَذَابِى اُصِيبُ بِهِ مَنْ اَشَاءُ] و لمّا لم يكن المعصية سبباً للعذاب على الاطلاق لم يقل من عصانى.

[وَ رَحْمَتِى]الرّحمانيّة [وَ سِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ] لانّها صفة الوجود و الوجود قد احاط بكلّ موجودٍ فى الدّنيا و الآخرة[فَسَاَ كْتُبُهَا] اى الرّحمة الرّحيميّة بطريق الاستخدام [لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ] المحرّمات الّتى اصلها اتّباع ائمّة الجور الّذى اصله اتّباع اهواء النّفس.

[وَ يُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ] حقوق المال الحلال و فضول التّمتّعات المحلّلة و الالتذاذات المباحة المأمور بها بان يتمتّع و يلتذّ و يقلّل منها تدريجاً و قوّة القوى العلّامة و العمّالة بصرفها فى قضاء حقوق الاخوان و عبادة الرّحمن.

[وَ الَّذِينَ هُمْ بِاٰيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ] و هذه صفات مترتبّه فانّ التّقوى

بهذا المعنى مقدّمة على الزّكوة، و الزّكوة الّتى هى تضعيف قوى النّفس مقدّمة على ادراك كون الآية التّدوينيّة او التّكوينيّة آية، و الايمان بها بعد درك كونها آية و للاشارة الى انّ الايمان هو المقصد الاسنى كرّر الموصول.

[اَلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ] ابدل عن الموصول الاوّل او الثّانى للاشارة الى انّ الوصف الجامع للاوصاف الثّلاثة هو اتّباع الرّسول [الْأُمِّيَّ] المنسوب الى امّ القرى كما فى الرّوايات او المنسوب الى الامّ لكونه لم يكتب و لم يقرأ و لم يحصّل شيئاً من الكمالات الانسانيّة مثل زمان ولادته من امّه.

[اَلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرِيٰةِ وَالْإِنْجِيلِ] باسمه و نعته و انصاره و مبعثه و مهاجره كما فى الرّوايات، فانّ الانبياء (عليهم السلام) و لاسيّما موسى (عليه السلام) و عيسى (عليه السلام) بشّروا به اممهم و اثبتوا خبره فى كتبهم.

[يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهٰاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ] حال من فاعل يجدونه او مفعوله او كليهما او المستتر فى مكتوباً بتضمين مثل معنى الاتّصاف اى حالكونه يتّصف بالامر لهم بالمعروف او مستأنفة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ او نائب فاعل لمكتوباً.

واصل المعروف علىّ (عليه السلام) ثمّ ولايته ثمّ التّخلّق باخلاقه ثمّ العلم المأخوذ منه ثمّ العمل بالمأخوذ، ثمّ النّبى (صلى الله عليه و آله) ثمّ اتّباعه ثمّ العلم المأخوذ منه ثمّ العمل بالمأخوذ و هكذا المنكر مقابلوا علىّ (عليه السلام) و هذا هو الدّليل التامّ على صدق الرّسول (صلى الله عليه و آله) فى رسالته، فانّ المعروف و

المنكر معلوم اجمالاً لكلّ احد اذا خلّى و طبعه و ترك الهوى و اتّباعه كما فى حديث، اعرفوا اللّه باللّه ، و الرّسول بالرّسالة، و اولى الامر بـالامر بالمعروف و النّهى عن المنكر.

[وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبٰاتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبٰائِثَ] اصل الطّيّبات علىّ (عليه السلام) الى ما تستطيبه الطّباع و تستلذّه، و اصل الخبائث من كـان مقابلاً لعلىّ (عليه السلام) الى ماتستكرهه الطّباع و تستقذره، و مـعنى احـلال الطّيّبات و تحريم الخبائث اذا حملت على معانيها الظّاهرة ظـاهر، و اذا حملت على معانيها التّأويليّة فمعناهما تسهيل طريق اخذ الطّيّبات و سدّ طريق الوصول الى الخبائث.

[وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ] الاصر الثقّل و المراد منه ثقل التّكاليف ، فانّ للتّكاليف فى بدو الامر ثقلاً عظيماً بحيث لايكاد يتحمّله المكـلّف فاذا اخذها من الرّسول (صلّى الله عليه و آله) او خلفائه يتبدّل ثقلها بالنّشاط و السّرور ، و كما يتبدّل ثقلها بالنّشاط يتبدّل ثقيلها ايضاً بالخفيف الّذى دون طاقة المكلّف فى امّة محمّد(صلّى الله عليه و آله) كما فى الاخبار الّتى ورد فى تنزيل الآ ية.

[وَ الْأَغْلاٰلَ الَّتِي كٰانَتْ عَلَيْهِمْ] النّاشئة من الاهـوية المـختلفة المتكثّرة المانعة لحركة المكلّف نحو ولىّ امره فانّ لكلٍّ سلسلة تـمنعه من الحركة لكنّ الانسان مادام فى الدّنيا لايشاهدها الاّ من فتح اللّه عينيه و صار من اهل الآخرة و هو بعد فى الدّنيا.

[فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ] بالبيعة العامّة و قبول الدّعـوة الظّـاهرة، [وَ عَزَّرُوهُ] عظّموه بمنع الاغيار من ايذائـه و بـمنع الاهـوية الفـاسدة و الخيالات الكاسدة من الغلبة على اتّباعه و امتثال اوامره و نواهـيه، و

بعبارة اخرى بالتّبرّى عمّا يخالف امره و نهيه.

فانّ امر محمّد(ﷺ) هو نازلة محمّد (ﷺ) و ظهوره فى المرتبة النّازلة و تعظيم امره (ﷺ) و منع الاهوية المانعة من امتثاله تعظيم له و منع عنه.

[وَ نَصَرُوهُ] بنصرة امره و دوام الاتّصال به حتّى يلحقّ امره القالبىّ بامر الولى الّذى هو وارد على القلب، و بعبارة اخرى بالتوّلىّ له فانّ التّعزير كناية عن التّبرّى و النّصرة عن التّولىّ الّذين يعبّر عنهما تارةً بالزّكوة و الصّلوة، و تارةً بالتّقوى و الايمان، و تارة بالتّبرّى و التّولىّ، و المفاهيم الظّاهرة من تلك الالفاظ بحسب التّنزيل لاحاجة لها الى البيان.

[وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ] النّور هو الولايه و لذلك فسّر بعلىٍّ (ع) فانّه الاصل فيها و يعبّر عنها بالنّور لانّ النّور هو الظّاهر بالذّات و المظهر للغير، و الولاية هى الّتى يفتح بهاعين القلب فيظهربه الصّحيح من الاعمال و الاحوال و الاخلاق و العقائد من سقيمها، و به ايضاً يظهر دناءة الدّنيا و شرافة الآخرة، و اتّباع الولاية هو آخر مراتب التّكاليف القالبيّة و هو المقصود من البيعة العامّة النّبويّة الّتى يعبّر عنها بالاسلام و هو ما به ارتضاء الاسلام و ما به تماميّة نعمة الاسلام و هو اسنى اركان الاسلام و اشرفها و هو الّذى ليس وراءه مطلب سواه.

فانّ جميع المراتب الّتى تتصوّر للانسان فى سلوكه مراتب الولاية و المراد بمعيّة النّور لمحمّد (ﷺ) معيّة القيّوميّة فانّ الولاية روح النّبوّه و قوامها و لذلك قال (ﷺ) : يا علىّ كنت مع كلّ نبىٍّ سرّاً و معى جهراً.

[أُولٰئِكَ] تكرير المبتدء باسم الاشارة البعيدة تعظيم لهم و

تصوير لهم باوصافهم الشّريفة الجليلة و حصر للفلاح الحقيقىّ فيهم [هُمُ الْمُفْلِحُونَ قُلْ] يعنى بعدما اظهرنا اوصافك و ما به صدق رسالتك فأظهر رسالتك عليهم و قل: [يا اَيُّهَا النَّاسُ اِنّي رَسُولُ اللّٰهِ اِلَيْكُمْ جَميعاً] لاختصاص لرسالتى بقومٍ دون قومٍ.

[اَلَّذي لَهُ مُلْكُ السَّمٰواتِ وَ الْاَرْضِ لا اِلٰهَ اِلاّ هُوَ يُحْيي وَ يُميتُ] ذكر اوصافاً ثلاثةً للّه مشيراً الى مبدئيّته و مرجعيّته و مدبّريّته والى توحيد آلهيَّتِهِ و الى انّه الفاعل للحيوة و الممات، ردّاً بها على الدّهرية القائلة بانّ العالم لامبدأ له، و الثّنويّة القائلة بانّ مدبّر العالم مبدءان قديمان مستقلّان، النّور و الظّلمة او يزدان و اهريمن، و الثّنويّة القائلة بانّ مبدء العالم هو اللّه و اهريمن خلق من فكر سيّيءٍ ليزدان و لكن خالق الخير و منه الحيوة يزدان و خالق الشّرّ و منه الموت اهريمن.

[فَاٰمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ] مقول قول النّبىّ (ﷺ) او قول اللّه تعالى بصرف الخطاب الى النّاس و التّفريع على قول النّبىّ (ﷺ) و المراد بالايمان هنا الايمان العامّ بقرينة قوله لعلّكم تهتدون.

[النَّبِيِّ الْاُمِّيِّ الَّذي يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَ كَلِمٰاتِهِ] التّكوينيّه و التّدوينيّة المعبّر عنه بالايمان باللّه وملائكته و كتبه و رسله الّتى هى اشارة الى مراتب العالم من الملائكة المقرّبين و الصّافات صفّاً و المدبّرات امراً و الملائكة الرّكّع و السّجّد و ذوى الاجنحة مثنى و ثلث و رباع الّتى مقامها الملكوت العليا و عالم الخلق و الملكوت السّفلى الّتى هى دار الجِنّة و الشّياطين و سجن الاشقياء و المذنبين.

هذا بحسب النّزول، و قد يعبّر عنها بمراتب الولاية والنبوة الّتى

يعبّر عنها بمائة و اربعة و عشرين الف نبيٍّ و بمائة و اربعة و عشرين الف وصيّ كما فى الاخبار و هذا بحسب الصّعود، و المراد بايمانه(صلى الله عليه وآله) بكلمات اللّه ليس الايمان بالغيب و لا الايمان الشّهوديّ بل الايمان التّحقّقيّ المعبّر عنه بحقّ اليقين فانّه (صلى الله عليه وآله) المتحقق بجيمع المراتب و الكلمات.

[وَ اتَّبِعُوهُ] بامتثال اوامره [لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] الى الولاية جعل الايمان بالنّبيّ (صلى الله عليه وآله) و اتّباعه هداية الى الايمان بعليّ (عليه السلام) و قبول ولايته (عليه السلام) كما فى قوله تعالى : قل لا تمنّوا عليّ اسلامكم بل اللّه يمنّ عليكم ان هديكم للايمان اى لولاية عليٍّ (عليه السلام) فانّ الايمان المقابل للاسلام هو ولاية عليّ (عليه السلام) بالبيعة الخاصّة و الميثاق المخصوص كما فى اخبارنا، انّ الايمان هومعرفة هذا الامر او ولاية عليّ (عليه السلام) او الدّخول فى امرهم.

[وَ مِنْ قَوْمِ مُوسٰى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ] قد عرفت انّ الحقّ الاضافيّ هو الولاية المطلقة و المتحقّق بهاهو عليّ (عليه السلام)، [وَ بِهِ يَعْدِلُونَ] من العدل مقابل الجور و قد ورد فى الاخبار، انّ هذه الامّة قوم من وراء الصيّن بينهم و بين الصّين و اد حار من الرّمل لم يغيّروا و لم يبدّلوا ليس لاحدهم مال دون صاحبه، يمطّرون باللّيل و يضحون بالنّهار و يزرعون، لايصل اليهم منّا احد ولايصل منهم الينا و هم على الحقّ.

[وَ قَطَّعْنٰاهُمُ] اى قوم موسى (عليه السلام) اى فرّقنا هم فرقة فرقة، [اثْنَتَيْ عَشْرَةَ اَسْبٰاطاً] السّبط القبيلة من اليهود و ولد الولد قيل لايثنّى ولا يجمع و جمع بعد اثنتى عشرة لانّه جعله بدلاً لاتميزاً، او هو تميز بجعل

كلّ واحدة من الفرق اسباطاً، او بتقدير موصوف مفرد مثل الفرقة و القبيلة و يؤيّد جعله تميزاً باحد هذين الوجهين تأنيث اثنتى عشرة، [اُمَماً] بدل او صفة و سمّى اولاد يعقوب (عليه السلام) بالاسباط لانّهم كانوا اثنتى عشرة قبيلة كلّهم من اولاد ابنائه الّذين كانوا اثنى عشر، كما سمّى اولاد اسمعيل (عليه السلام) قبائل.

[وَ اَوْحَيْنٰا اِلٰى مُوسٰى اِذِ اسْتَسْقيٰهُ قَوْمُهُ] فى التّيه [اَنِ اضْرِبْ بَعَصٰاكَ الْحَجَرَ] فضرب [فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتٰا عَشْرَةَ عَيْناً] بعدد القبائل حتّى لايقع بينهم نزاع فى الورد.

[قَدْ عَلِمَ كُلُّ اُنٰاسٍ] اى فرقة من الاسباط [مَشْرَبَهُمْ وَ ظَلَّلْنٰا عَلَيْهِمُ الْغَمٰامَ وَ اَنْزَلْنٰا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوٰى] المنّ التّرنجبين او العسل، والسّلوى طائر يسمّى بالسّمانى قائلين: [كُلُوا مِنْ طَيِّبٰاتِ مٰارَزَقْنٰاكُمْ وَ مٰا ظَلَمُونٰا] فى مظاهرنا و خلفائنا بترك القناعة و الاستبدال بالّذى هوادنى، [وَ لٰكِنْ كٰانُوا اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ وَ اِذْقيلَ] عطف على اذ استسقيه او عطف على اضرب بعصاك او على آمنوا او على اتّبعوا بتقدير اذكر او اذكروا:

اذ قيل: [لَهُمُ اسْكُنُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ] بيت المقدّس [وَ كُلُوا مِنْهٰا حَيْثُ شِئْتُمْ وَ قُولُوا حِطَّةٌ وَ ادْخُلُوا الْبٰابَ سُجَّداً نَغْفِرْلَكُمْ خَطيئٰاتِكُمْ سَنَزيدُ الْمُحْسِنينَ] على مغفرة الخطيئات.

[فَبَدَّلَ الَّذينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذى قيلَ لَهُمْ فَاَرْسَلْنٰا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّمٰاءِ بِمٰا كٰانُوا يَظْلِمُونَ] مضى الآيات و تفسيرها مفصّلاً فى اوّل البقرة.

[وَ اسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتي كٰانَتْ حٰاضِرَةَ الْبَحْرِ] حتّى تذكّرهم سوء عاقبة اهلها لسوء صنيعتهم حتّى يكون نصب اعينهم و تذكرة لقومك.

[اِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ] هو بدل من القرية نحو بدل الاشتمال و المعنى اسئلهم عن حال اهل القرية عن وقت عدوهم والاتيان بالمضارع مع ارادة المعنىّ للاشارة الى استمرارهم عليه كانوا يتجاوزون حدود اللّه فى السّبت.

فانّ السّبت كان عيدهم و كان له حرمة عندهم وكان الاحد عيداً للنّصارى كما كان الجمعة عيداً لمحمّد (ﷺ) ، و من هذا ادّعى الصّابئون انّ انبياء العرب كانوا يعبدون الكواكب، فقالوا انّ محمدّاً(ﷺ) كان يعبد الزّهرة و لذا اختار من الدّنيا النّساء و الطيّب لانهما كانتا منسوبتين الى الزّهرة و اختار من الايّام الجمعة لانّها منسوبة اليها، و كان موسى (ﷺ) يعبد الزّحل و لذا اختار السّبت، و عيسى (؈) يعبد الشّمس و لذا اختار الاحد.

[اِذْ تَأْتيهِمْ حيتٰانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ] و كانوا منهيّين عن الصّيد يوم السّبت [شُرَّعاً] ظاهرة قريبة التّناول ابتلاءً لهم، [وَ يَوْمَ لاٰ يَسْبِتُونَ لاٰ تَأْتيهِمْ] كانوا مشتاقين الى الصّيد منتظرين تمام الاسبوع و لم يتيسّر لهم فاذا كان يوم سبتهم و كانوا ممنوعين من الصيّد لحرمته و للعبادة فيه تأتيهم الحيتان ظاهرة قريبة بحيث لايمكنهم الصّبر عن الصيّد، أعاذنا اللّه من امتحانه و ابتلائه.

[كَذٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمٰا كٰانُوا يَفْسُقُونَ] يعنى انّ هذا الابتلاء كان

بسبب فسقهم و عصيانهم، والاتيان بالمستقبل لاحضار الماضى او المراد انّا كما بلوناهم سابقاً نبلوهم فيما يأتى، او المراد كذلك نبلو امّتك.

[وَ اِذْ قٰالَتْ] عطف على اذيعدون او على اذتأتيهم و المعنى اذيعدون اذ قالت [اُمَّةٌ مِنْهُمْ] من النّاهين الواعظين او من السّاكتين الغير الواعظين او من العاصين قالوا استهزاءً او اعتقاداً:

[لِمَ تَعِظُونَ قَوْمَا اللّٰهُ مُهْلِكُهُمْ اَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذٰاباً شَدِيداً قٰالُوا مَعْذِرَةً إِلىٰ رَبِّكُمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ] يعنى انّهم و ان كانوا منهمكين فى الفسوق و العصيان لكنّا نؤدّى فى موعظتنا ما علينا من النّهى عن المنكر و التّرحّم على العباد باحتمال القبول و باحتمال نجاتهم من العذاب.

[فَلَمّٰا نَسُوا مٰا ذُكِّرُوا بِهِ] تركوا ما ذكّرهم الواعظون من التّحذير من العذاب او ما ذكّرهم اللّه من حرمة السّبت و حرمة الصّيد فيه، [أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ] يعنى الواعظين لانّهم ما كانوا راضين بفعلهم ولا ساكتين عن نهيهم.

[وَ اَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا] انفسهم بترك ما عليهم و ارتكاب ماليس لهم فى السّبت، [بِعَذٰابٍ بَئِيسٍ] شديدٍ [بِمٰا كٰانُوا يَفْسُقُونَ] بسبب فسقهم الّذى هو سبب من جهة القابل لاالفاعل.

[فَلَمّٰا عَتَوْا عَنْ مٰا نُهُوا عَنْهُ] من عطف التّفصيل على الاجمال [قُلْنٰالَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خٰاسِئِينَ] مطرودين عن كلّ خيرٍ.

عن علىّ بن الحسين (عليه السلام) انّه قال : كان هؤلآء قوم يسكنون على شاطئ بحرٍ نهاهم اللّه تعالى و انبياؤه(عليهم السلام) عن اصطياد السّمك فى يوم السّبت فتوصّلوا الى حيلةٍ ليحلّوا بها لانفسهم ما حرّم اللّه، فخدّوا اخاديد

و عملوا طرقاً تؤدّى الى حياض يتهيّئ للحيتان الدّخول فيها من تلك الطّرق و لايتهيّىء لها الخروج اذا همّت بالخروج، فجائت الحيتان يوم السّبت جارية على امانٍ لها فدخلت الاخاديد و حصلت فى الحياض و الغُدران، فلمّا كانت عشيّة اليوم همّت بالرّجوع منها الى اللّجج لتأمن من صائدها.

فرامت الرّجوع فلم تقدر و بقيت ليلها فى مكان يتهيّىء اخذها بلا اصطيادٍ لاسترسالها فيه و عجزها عن الامتناع لمنع المكان لها، و كانوا يأخذون يوم الاحد و يقولون :ما اصطدنا فى السّبت انّما اصطدنا فى الاحد، و كذب اعداء اللّه بل كانوا آخذين لها باخاديدهم الّتى عملوها يوم السّبت، حتّى كثر من ذلك مالهم و ثراهم و تلقّموا بالنّساء و غيرهنّ لاتّساع ايديهم به، و كانوا فى المدينة نيّفاً و ثمانين الفاً فعل هذا منهم سبعون الفاً و انكر عليهم الباقون كما قصّ اللّه.

و اسئلهم عن القرية الّتى كانت حاضرة البحر الآية و ذلك انّ طائفة منهم وعظوهم وزجروهم و من عذاب اللّه خوّفوهم و من انتقامه و شدائد بأسه حذّروهم فأجابوهم من وعظهم: لم تعظون قوماً اللّه مهلكهم بذنوبهم هلاك الاصطلام او معذبهم عذاباً شديداً، اجاب القائلون هذا معذرة الى ربّكم هذا القول منّا لهم معذرة الى ربّكم اذ كلّفنا الامر بالمعروف و النّهى عن المنكر فنحن ننهى عن المنكر ليعلم ربّنا مخالفتنا لهم و كراهتنا لفعلهم قالوا و لعلّهم يتّقون.

و نعظهم ايضاً لعلّهم ينجع فيهم المواعظ فيتّقوا هذه الموبقة و يحذروا عقوبتها، قال اللّه تعالى فلمّا عتوا حادوا و اعرضوا و تكبّروا عن

قبول الزّجر عمّا نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئن، مبعدين من الخير مبغضين، فلمّا نظر العشرة الالاف و النّيف انّ السّبعين الفاً لايقبلون لو اعظهم ولايخافون بتخويفهم ايّاهم و تحذيرهم لهم اعتزلوهم الى قريه اخرى و انتقلوا الى قرية من قراهم، و قالوا نكره ان ينزل بهم عذاب اللّه و نحن فى خلالهم، فأمسوا ليلة فمسخهم اللّه كلّهم قردة و بقى باب المدينة مغلقاً لا يخرج منه احد و لايدخله احد. وتسامع بذلك اهل القرى فقصدوهم وسموا حيطان البلد فاطّلعوا عليهم فاذا هم كلّهم رجالهم و نساؤهم قردة يموج بعضهم فى بعضٍ، يعرف هؤلاء النّاظرون و معارفهم و قراباتهم و خلطائهم، يقول المطّلع لبعضهم: انت فلان و انت فلانة فتدمع عينه و يومى برأسه او بفهمه بلااو نعم، فمازالوا كذلك ثلاثة ايّام.

ثمّ بعث اللّه تعالى مطراً و ريحاً فحرفهم الى البحر و ما بقى مسخ بعد ثلاثة ايّام، و انّما الّذين ترون من هذه المصوّرات بصورها فانّما هى اشباها لاهى بأعيانها و لا من نسلها.

[وَ اِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ] عطف على اذيعدون او على اذتأتيهم او على اذ قالت امّة او عطف على اسئلهم بتقدير اذكر او ذكّر و تأذن و اذّن من باب التّفعيل و اذنه من الثّلاثىّ المجرّد و اذن به بمعنى اعلم و كثر استعمال اذن مخفّف العين بمعنى علم و اباح و رخّص و جاء تأذّن بمعنى اقسم.

[لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ] على العادين يوم السّبت او على اليهود مطلقاً بفعل العادين، [إِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ] يكلّفهم [سُوءَ الْعَذٰابِ] بالقتل و الاذلال بالجزية و الاجلاء كما فعل بخت نصر و من بعده و محمّد(ﷺ) [اِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقٰابِ] فلا ينبغى الاغترار بحلمه، [وَ

إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ] لمن ارعوى عن غيّه و تاب اليه [وَ قَطَّعْنٰاهُمْ فِي الْاَرْضِ أُمَماً] متفرّقين بحيث لايخلو مملكة منهم و الاغلب انّهم اذلاء عند غيرمذهبهم [مِنْهُمُ الصّٰالِحُونَ]جملة مستأنفة او وصفيّة او حاليّة و منهم مبتدء سواء كان من اسماً او قائماً مقام الموصوف المبتدء او خبر مقدّم.

[وَ مِنْهُمْ دُونَ ذٰلِكَ]منهم مبتدء كماسبق او منهم خبر مقدّم و المبتدء محذوف اى منهم ناس دون ذلك اى منحطّون عن الصّلاح سواء لم يكونواكافرين او كانوا كافرين، و يكون المراد بقوله فخلف من بعدهم خلف انّهم صاروا بعد جميعاً كافرين او المراد بمن دون ذلك من لم يبلغ درجة الكفر.

[وَ بَلَوْنٰاهُمْ بِالْحَسَنٰاتِ] السّعة والدّعة و الامن و الصحّة، [وَ السَّيِّئٰاتِ] ضدّ ذلك المذكور [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] من غيّهم كما هو ديدننا فى هداية من اردنا هدايته.

[فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ] ذووشرّ على ما قيل انّه بالتّسكين لذوى الشّرور و بالتّحريك لذوى الخيرات، و هو تعريض بامّة محمدّ(صلى الله عليه وآله) حيث كانوا فى عهده امّا صالحين و امّا دون ذلك و بعده صاروا آخذين بعرض الدّنيا مغترّين بغرور النّفس مع انّه (صلى الله عليه وآله) اخذ عليهم الميثاق بان لايستبدّوا بآرائهم و لا يقولوا على اللّه الّا الحّق و لايفارقوا الكتاب و عترته (صلى الله عليه وآله).

[وَرِثُوا الْكِتٰابَ] اى كتاب النّبوّة و احكامها او التّورية على تنزيله و ظاهره، [يَأْخُذُونَ عَرَضَ هٰذَا الْاَدْنٰى] من الدّنو او الدّناءة يعنى العرض الّذى هو عبارة عن متاع الدّنيا فانّه عارض و زائل لامحالة و الجملة امّا صفة بعد صفة والاختلاف مع الاولى للاشارة الى

استمرارهم فيه، او حال من خلف لاختصاصه بالصّفة، او من فاعل ورثوا، او جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل : ما فعلوا بوراثة الكتاب؟

فقال: يأخذون و على ايّ تقديرٍ فالمقصود ذمّهم على انّهم جعلوا الكتاب الّذى هو سبب لاخذ النّعيم الابدىّ و الفوز بخيردار البقاء وسيلة لعرض الدّنيا الزّائل لحمقهم، فانّ اسناد الاخذ الى الخلف المقيّد بوراثة الكتاب يشعر باعتبار الحيثيّة.

فالويل ثمّ الويل لمن انتحل الاحكام النّبويّة وجعلها وسيلة الى الاعراض الدّنيويّة كاكثر العامّة الّذين ادّعوا العلم و الفقاهة و انتحلوا الشّرع و الوراثة.

[وَ يَقُولُونَ سَيُغْفَرُلَنَا] فانّ النّفس فى توسّلها الى مشتهياتها تستدعى وجهاً لاطمينانها فيها فتارةً تقول : لاثواب و لاعقاب ولا آخرة ان هى الاّ حيوتنا الدّنيا، و تارةً تقول: انّ اللّه كريم، و تارةً تقول : ليس العذاب الّا ايّاماً معدودة، و تارةً تقول : من انتسب الى نبىّ (صلّى اللّه عليه وآله) لايعذّب ولوجاء بذنوب اهل الدّنيا، وتارةً تقول : محبّ علىّ (عليه السلام) لايدخل النّار و حبّ علىّ (عليه السلام) حسنة لاتضرّ معها سيّئة ولاتدرى انّها كلّها غرور و ماتوهّمته انتساباً الى نبىّ او محبّة لعلىّ (عليه السلام) انتساب الى الشّيطان و محبّة له، اعاذنا اللّه من شبهات انفسنا.

[وَ اِنْ يَاْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَاْخُذُوهُ] يعنى ليس قولهم سيغفرلنا الاّ عن غرور النّفس فانّ راجى المغفرة يرعوى عمّا ينافيها.

[اَلَمْ يُؤخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثاقُ الْكِتابِ اَنْ لاٰيَقُولُوا عَلَى اللّٰـهِ الاّ الْحَقَّ] يعنى انّ وراثة الكتاب تستدعى الخوف من اللّه لا الاغترار به

فانّ ميثاق الكتاب اى العهود الّتى تؤخذ عليهم بالبيعة العامّة النّبويّة ان لايغترّوا بالدّنيا ولايقولوا على اللّه الّا الحقّ.

[وَ دَرَسُوا] تعلّموا و تعاهدوا [مٰا فيهِ] من الوعد و الوعيد [وَ الدّٰارُ الْاٰخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذينَ يَتَّقُونَ] يعنى انّ الافتتان باعراض الدّنيا يتصوّر لغفلتهم عن مفاسدها و سكوتنا عن بيانها و قدبيّناها و نبّهنا هم عليها، اولرجحانها على متاع الآخرة و ليس كذلك، او للحمق و عدم العقل و اليه اشار بقوله: [اَفَلاٰ تَعْقِلُونَ] او لانّ التّمسّك باحكام الكتاب و الاتّعاظ بمواعظها يصير ضائعاً عندنا.

[وَ الَّذينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتٰابِ] اى كتاب النّبوّة بالبيعة الاسلاميّة [وَ اَقٰامُوا الصَّلٰوةَ] بالبيعة الولويّة [اِنّٰا لاٰ نُضيعُ اَجْرَ الْمُصْلِحينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر اشارة الى انّ التّمسّك بالكتاب و الولاية مصلح لا محالة فعلى هذا قوله تعالى و الدّار الآخرة (الى آخرها) جملة حاليّة و الّذين يمسّكون بالكتاب عطف عليه و الاحتمالات الاخر فى تركيبها بعيدة عن سوق الكلام.

[وَ اِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ] رفعناه بالقلع [فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ] سقف يظلّهم [وَ ظَنُّوا اَنَّهُ وٰاقِعٌ بِهِمْ] استعمال الظّنّ مع انّهم كانوا متيقّنين لوقوعه لكونه معلّقاً و ليس من عادة الاثقال ان تقف معلّقة لانّهم كانوا اصحاب النّفس و ليس من صفة النّفس الّا الظّنّ و ان كان متيقنة اولانّهم لمّا علموا انّه كان باعجاز احتملوا ان يقف باعجاز ايضاً ولايقع عليهم.

[خُذُوا مٰا اٰتَيْنٰاكُمْ بِقُوَّةٍ] على تقدير القول يعنى قائلين خذوا التّوراة و احكامها بقوّة و عزم من قلوبكم و امتثلوا احكامها بقوّة من

ابدانكم [وَ اذْكُرُوا مٰافيهِ] من العبر و الاحكام [لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] موبقات النّفس.

عن الصّادق (عليه السلام) لمّا انزل اللّه التّوراة على بنى اسرائيل لم يقبلوه فرفع اللّه عليهم جبل طور سيناء فقال لهم موسى(عليه السلام) ان لم تقبلوا وقع عليكم الجبل فقبلوه و طأطأوا رؤسهم و قد مضى فى صورة البقرة.

[وَ اِذْ اَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ٰادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ] و قرىء ذرّيّاتهم.

اعلم، انّ آدم قد يقال على آدم ابى البشر و قد يقال على معنى موجود فى كلّ بشرٍ و قد يقال على معنيٍ اعمّ منهما و بهذا المعنى يقال: آدم الملكىّ، و آدم الملكوتىّ و آدم الجبروتىّ، و آدم اللّاهوتىّ، و بهذا المعنى ورد فى بعض خطب مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) : انا آدم الاوّل ، و ذلك لانّ كلّ ما فى عالم الطّبع و عالم الكثرة فله صورة و مثال بنحو الكثرة و التّفصيل فى عالم المثال بحيث لوراه راءٍ لقال: هو هو بعينه من غير فرق و تميز و له حقيقة فى عالم العقول العرضيّة و ارباب الانواع و له حقائق فى عوالم العقول الطّوليّة بنحوٍ اتمّ وابسط ممّا فى هذا العالم و يعبّر عمّا فى تلك العوالم بالذّرّ، وكلّ ما وجد فى ما فوق عالم الطّبع فكلّه علم و شعور و سمع و بصر و نطق، بخلاف ما فى هذا العالم فانّ شعوره و سمعه و بصره و نطقه بآلات متمايزةٍ ليس فى موضع السّمع بصر ولا فى موضع البصر سمع و نطق.

ثمّ اعلم، انّ المراتب النّازلة كلّ بالنّسبة الى مافوقه رقائق و ذرار و ظهور له بنحو الكثرة و التّفصيل لكنّه فى عين التّفصيل اخفى منه و

اضعف و العالی فی عین اجماله اتمّ واشدّ و اظهر و احقّ بالاسم المطلق علیه، فآدم اللّاهوتیّ الّذی یعبّر بالحقیقة المحمّدیّة (صلی الله علیه و آله).

و الحقّ المخلوق و الاضافة الاشراقیّة اشدّ ظهوراً و احقّ باسم آدم من آدم الجبروتیّ وهکذا الی آدم النّاسوتیّ و بنو آدم فی کلّ مقام هم المنتسبون الیه بلاواسطة مثلا بنوآدم اللّاهوتیّ مافی عالم العقول الطّولیّة من التعیّنات الادمیّة، و بنوآدم الجبروتی ما فی العقول العرضیّة بنو آدم فی تلك المرتبة الصّور المثالیّة و بنوآدم المثالیّ الملکوتیّ الصّور الملکیّة البشریّة، و بنوآدم البشریّ المنسوبون الیه بلا واسطة، او بواسطة، و بنو آدم فی العالم الصّغیر المدارك و القوی البشریّة و ذرّیّة بنی آدم فی کلّ مرتبة ما یلیق بتلك المرتبة کما لا یخفی علی البصیر، و التّعبیر بظهر بنی آدم دون ظهر آدم کما فی الاخبار، لانّ آدماللّاهوتیّ لبساطته و وحدته له وحدة حقّة ظلّیّة لایتصوّر فیه کثرة حتّی یتصورّ له ذرار و لاجهة وجهة حتّی یتصوّر له ظهر و بطن.

و ایضاً الاقتصار علی ظهر آدم یوهم الاختصاص بآدم ابی البشر و لمّا کان سلسلة النّزول بمنطوق صحیحة ماورد: انّ اللّه خلق العقل ثمّ قال له: أقبل ای الی الدّنیا و الدّار السّفلی، فأقبل، متوجّهاً عن الحقّ الاوّل تعالی الی العالم الاسفل کان المنظور الیه و المترائی فیه فی کلّ مرتبة هو ظهرها.

و ایضاً لمّا کان کل مرتبة بالنّسبة الی دانیها ظهوره بنحو اتمّ و اشدّ قال : من ظهور بنی آدم بخلاف سلسلة الصّعود فانّها بحکم قوله ثمّ قال له: أدبرای عن الدّنیا فأدبر کان المنظور فیه منها هو البطن منها.

و ايضاً كلّ دان بالنّسبة الى العالى بطن و محلّ اختفاء و لذا اطلق البطن فى سلسلة الصّعود اخرجنا كم من بطون امّهاتكم، و السّعيد سعيد فى بطن امّه . والتعبير بأخذنا فى النزّول واخرجنا فى الصّعود لا يخفى وجهه.

[وَ أَشْهَدَهُمْ عَلٰى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلٰى شَهِدْنٰا] و بعد ما علمت انّ الاشياء كلّها خصوصاً ما فوق عالم الطّبع بالنّسبة الى اللّه تعالى كلّها علم و شعور و سمع و بصر و نطق لايبقى لك التأمّل فى انّ الاشهاد و الاسماع والاقرار كلّها على حقائقها اللّغويّة بل الاحقّ بحقائقها هو ما فيما فوق عالم الطّبع و لا حاجة لك الى تأويلات المفسّرين و تكلّفاتهم و مجازاتهم.

[اَنْ تَقُولُوا]كراهة ان تقولوا: [يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اِنّٰا كُنّٰا عَنْ هٰذٰا غٰافِلِينَ اَوْ تَقُولُوا اِنَّمٰا اَشْرَكَ اٰبٰاؤُنٰا مِنْ قَبْلُ وَ كُنّٰا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ اَفَتُهْلِكُنٰا بِمٰا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ] يعنى اشهدناكم و حملناكم على الاقرار هناك لكى تستقلّوا بالتّكليف و تتنبّهوا بالرّبوبيّة فلاتكونوا غافلين ههنا و لاتابعين و لا معلّقين سوء فعالكم على غيركم.

[وَ كَذٰلِكَ] التّفصيل بالقول و بالفعل [نُفَصِّلُ الْاٰيٰاتِ] التّكوينيّة فى مراتب التّكوين و فى كتاب التّدوين [وَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] عطف على كذلك نفصّل الآيات و سوّغ عطف الانشاء على الخبر تضمّنها للتّعليل كأنّه قال: لذلك تفصّل الآيات لرجوعهم.

[وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَاَ الَّذِي اٰتَيْنٰاهُ اٰيٰاتِنٰا] النّبويّة على لسان نبيّنا(ﷺ)، او آياتنا الولويّة على لسان خليفته، او آياتنا الآفاقيّة الغير

النّبويّة و الغير الولويّة، او آياتنا الانفسيّة الّتى شاهدها و ادراك حيثيّة كونها آيات من الآيات المنذرة و المبشّرة الجارية على السنة خلفائنا و الواردة عليه ممّا ليس بقدرته و اختياره والواقعة فى المنامات و الواقعات و المنبّهة من اختلاف الحالات.

و الغرض من التّلاوة عليهم تذكيرهم بسوء عاقبة المنسلخ حتّى يتذكروا و يكونوا على حذرفلاينسلخوا عن الآيات النّبويّة والاحكام الشّرعيّة ولايعرضوا عن خليفته محمّد (ﷺ) و المنصوب بعده لهدايتهم.

و نزول الآية فى بلعم بن باعورا كما فى اخبارنا او احد علماء بنى اسرائيل او امّيّة بن ابى الصّلت رجا لكثرة علمه و اطّلاعه على الكتب السّماويّة ان يكون هو النّبىّ الموعود فلّما بعث محمدّ (ﷺ) حسده و كفر به كما قيل: [فَانْسَلَخَ مِنْهٰا] بترك العمل بمقتضاها و الغفلة عنها [فَاَتْبَعَهُ الشَّيْطٰانُ] جعله تابعاً لنفسه بعد انسلاخه من الآيات الّتى هى الشّهب المتبعة للشّيطان و التّفسير بلحقه و ادركه ايضاً مناسب لهذا المقام، مثله فى قوله تعالى فاتبعه شهاب ثاقب بمعنى لحقه و ادراكه و قد جاء فى اللّغة بمعنى جعله تابعاً.

[فَكٰانَ] اى صار و التّعبير بكان للاشارة الى تمكنّه فى الغواية كما انّ لفظه، [مِنَ الْغٰاوِينَ] ايضاً كذلك، [وَ لَوْ شِئْنٰا لَرَفَعْنٰاهُ بِهٰا] بالآيات و لمّا توهّم من لفظة انسلخ منها و لفظة فأتبعه الشّيطان انّه لادخل للّه و مشيّته فى الانسلاخ و اتّباع الشّيطان استدرك ذلك الوهم و قال : ان مشيّتنا هى السّبب الفاعلىّ و ما من قبله هو السّبب القابلىّ و السّبب الفاعلىّ و ان كان تامّاً لكنّه لم يقع جزافاً بل بحسب استعداد

القابل و ما استعدّ المنسلخ للارتفاع.

[وَ لٰكِنَّهُ اَخْلَدَ اِلَى الْاَرْضِ] ارض الطّبع و بعدها الى ارض الطّين لقضاء مشتهياتٍ عنها.

[وَ اتَّبَعَ هَوٰاهُ] من قبيل عطف السّبب على المسبّب فشئناغوايته و ضلاله فأضللناه.

[فَمَثَلُهُ] بعد ما اخلد الى الارض فى شدّة تعبه و كثرة حركته لتحصيل مأموله من الارض لتسكين حرارة حرصه و عدم الانتفاع فى تسكين الحرص، [كَمَثَلِ الْكَلْبِ] الّذى وقع فى الحرّ الشّديد فلهث و أخرج لسانه و فتح فاه لكثرة التنفّس لتسكين حرارة القلب و لم ينفعه ذلك بل يضاعف حرارته لكثرة وصول الهواء الحارّ الى قلبه.

فقوله: [اِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ اَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ] فى موضع حال مقيّدة للكلب باخسّ احواله.

روى عن الرّضا (عليه السلام): انّه اعطى بلعم بن باعوراء الاسم الاعظم و كان يدعو به فيستجيب له، فمال الى فرعون فلمّا مرّ فرعون فى طلب موسى (عليه السلام) و اصحابه قال لبلعم : ادع اللّه على موسى (عليه السلام) و اصحابه ليحبسه علينا، فركب حمارته ليمرّ فى طلب موسى (عليه السلام) فامتنعت عليه حمارته فاقبل يضربها فأنطلقها اللّه عزّوجلّ فقالت: ويلك على ماذا تضربنى؟!

– اتريد ان اجيء معك لتدعو على نبيٍّ للّه و قومٍ مؤمنين؟! ـ فلم يزل يضربها حتّى قتلها و انسلخ الاسم الاعظم من لسانه.

و نسب الى الرّواية انّ قومه سألوه ان يدعو على موسى (عليه السلام) و من

معه! فقال: كيف ادعو على من معه الملائكة فألحوّا عليه حتّى دعا عليهم فبقوا فى التّيه و نقل انّه لمّا دعا على موسى (عليه السلام) خرج لسانه فوقع على صدره و جعل يلهث كالكلب.

[ذٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيٰاتِنٰا] اشارة الى التّعميم فكلّ مكذّب بآيات اللّه هذا مثله [فَاقْصُصِ الْقَصَصَ] على اليهود و غيرهم كما عرفت انّ المقصود تنبيه امّة محمّد (صلى الله عليه وآله) [لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ] فى مآل افعالهم و احوالهم.

[سٰاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيٰاتِنٰا] التّكرار للمبالغة فى ذمّهم و للتّطويل المناسب لمقام التّهديد [وَ اَنْفُسَهُمْ كٰانُوا يَظْلِمُونَ] كأنه توهّم متوهّم ممّا رأى من تشديد اللّه عليهم أنّهم ظلموا الآيات بالتّكذيب فقال: ما ظلموا الآيات و لكن انفسهم كانوا يظلمون و أسقط المعطوف عليه لاستفادته من الحصر المستفاد من تقديم المفعول.

[مَنْ يَهْدِ اللّٰهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَ مَنْ يُضْلِلْ فَاُولٰئِكَ هُمُ الْخٰاسِرُونَ] استدراك لما توهّم من نسبة الاخلاد الى الارض و اتّباع الهوى و التّكذيب اليهم من انّ الافعال منسوبة اليهم، نسبة الفعل الى الفاعل و اختلاف القرينتين بالافراد و الجمع و تكرار المبتدأ و عدمه لكون المقام مقام التّهديد و مناسب مقام التّهديد الاكتفاء فى جانب الوعد و الرّحمة بأقلّ ما يكتفى به، و تعجيل الانتقال الى المهدّدين و التّغليظ و التّطويل فيهم و للاشارة الى اتّحاد المهتدين و اختلاف الضّالّين.

[وَ لَقَدْ ذَرَأْنٰا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْاِنْسِ] و لرفع توهمّ

الجبر و توهّم ان لامدخل للعبد فی ذلک کما یدلّ علیه ذرأنا قال : فعلنا لیس اجباراً منّا بل [لَهُمْ قُلُوبٌ لاٰ یَفْقَهُونَ بِهٰا] فبعدم استعدادهم و عدم استحقاقهم ادخلناهم جهنّم، و لمّا کان التّفقّه عبارة عن علمٍ دینیٍ یتوسّل به الی علمٍ آخر کما مضی و لم یکن علومهم و ان کانت کثیرة دقیقة باعثة لترقیّهم فی طریق القلب و الآخرة نفی الفقه عن قلوبهم.

[وَ لَهُمْ اَعْیُنٌ لاٰ یُبْصِرُونَ بِهٰا] من الاشیاء ما یدلّ علی اللّه و مبدئیّته و معادیّته فی عین حدّتها.

[وَ لَهُمْ اٰذٰانٌ لاٰ یَسْمَعُونَ بِهٰا] من الاشیاء و الاصوات ما ینفعهم فی آخرتهم فی عین حدّتها فی سماع الاصوات و لایسمعون اصولات الاشیاء الّتی تنادی کلّاً لیلاً و نهاراً ان: لاتقم فی دار طبعک، ولاتنم فی مسبعک، و استعدّ من یومک لغدک.

[اُولٰئِکَ کَالْأَنْعٰامِ] فی عدم التّفقّه و اشتداد العلم وفی عدم ابصارما ینبغی ان یبصر من المبصرات، و عدم سماع ما ینبغی ان یسمع من المسموعات، بل مدارکهم موقوفة علی درک اسباب التّعیّش فی الآجل و ان کانت فی اعلی مرتبة الدّرک کاکثر الفلاسفة المنکرین للرّسالة المعتقدین انّ الرّسول هو العقل و احکامه هی الشّریعة، کما انّ مدارک الانعام موقوفة علی درک النّافع و الضّارّ فی الآجل.

[بَلْ هُمْ اَضَلُّ] لانّ ضلال الانعام بالنّسبة الی الانسان ضلال و الاّ فهو بالنّسبة الی مقامها هدایة فهی باقیة علی هدایتها التّکوینیّة، و ایضاً ضلالها لایتخطّی بهاعن مقامها الی ما یوذیها و یؤلمها.

[اُولٰئِکَ هُمُ الْغٰافِلُونَ] تکرار اسم الاشارة البعیدة لتحقیر هم

ولتطويل التّغليظ عليهم كما هو المناسب لمقام الذّمّ، و الجملة تأكيدٌ للاولى باعتبار لازم معناها و لذالم يأت بالعاطف و أتى بهامؤكّدة محصورة.

والمقصود انّ الغفلة محصورة على الغافل عن دلالة الاشياء على ما هى موضوعة بالوضع الآلهىّ له لا الغافل عن الجهات الدّنيويّة، و لاالغافل عن الشّعور بالشّعور حين مشاهدة شخصٍ او سماع لفظٍ مع عدم الالتفات الى الرّؤية و الى مدلول المسموع فانّ هذا الغافل لا يستضرّ بغفلته و ان استضرّ فى جهة دنيويّته فليس ضرراً يعتنى به بخلاف الغافل عن جهة دلالة الاشياء و جذبها الى الآخرة فانّه يتضرّر بها البتّة ضرراً خارجاً عن التّهديد.

[وَ لِلّٰهِ الْأَسْماٰءُ الْحُسْنىٰ] الجملة حال من فاعل الافعال الثّلاثة على سبيل التّنازع و قوله اولئك كالانعام معترضة جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ او انشاءلذمّهم بها. والتّقييد بهذه الجملة للدّلالة على غاية مذمّتهم لانّ المعقول والمبصر والمسموع اذا لم يكن له جهة سوى المظهريّة والاسميّة للّٰه و مع ذلك لم ير الرّائى منه ما هو مرئىّ فيه و مدلول له، كان ذلك منه غاية العمى والغفلة بخلاف ما اذاكان ذاجهتين.

والمعنى لهم قلوب لايفقهون من معقولاتهم و مدركاتهم المعقولات الأُخر الاخرويّة الآلهيّة و لاينتقلون منها الى مايتراءى فيها من الصّفات الا لهيّة والحال انّ اكثرها و هى الاسماء الحسنى لا جهة لها سوى اراءة اللّٰه، لانّها مختصّة باللّٰه ليس فيها دلالة على غيره و هم يدركون بها غيره لغاية عماهم.

ثمّ اعلم، انّه لا اختصاص لاسم الاسم بالاسماء اللّفظيّة ولا بالمفاهيم الذّهنيّة ولا بمادلّ بالمواضعة، بل يطلق حقيقةً على الموجوادات العينيّة لانّ حقيقة الاسم ما يحكى عن الغير لفظيّاً كان او ذهنيّاً او عينيّاً.

كما ورد عنهم علیهم السلام نحن الاسماء الحسنى، وانا الاسم الاعظم ولا اسم للّه اكبر منّى، و حسن الاسم امّا بحسن دلالته او بحسن مدلوله او بحسنه فى نفسه مع قطع النّظر عن حيثيّة اسميّته و دلالته، كالمرآة، فانّ حسنها قد يكون بحسن اراءتها او بحسن المرئىّ منها او بحسنها فى نفسها.

فالموجوادات العينيّة والمعقولات الذّهنية و الاسماء اللّفظيّة كلّها اسماء للّه كما قرّر فى محلّه: و فى كلّ شىء له آيةٌ تدلّ على انّه واحدٌ

و كلّها حسنة باعتبار دلالتها على اللّه لكنّها متفاوتة فى الدّلالة و فى انفسها و بهذا الاعتبار توصف بالاحسنيّة، فالعقول الّتى هى بشر اشرها تحكى عن اللّه و صفاته و اسمائه و هم الملائكة المقرّبون احسن من النّفوس باعتبار دلالتها و باعتبارها فى انفسها، والنّفوس الّتى يعبّر عنها بالمدبّرات امراً لتجرّدها عن المادّة والتّقدّر احسن من الاشباح النّوريّة، و هى لتجرّدها عن المادّة احسن المادّيّات و هى احسن من اهل الملكوت السّفلىّ الّتى هى دار الشّياطين و الجنّة و فيها جحيم الاشقياء، لكنّ المادّيّات و السّفليّات لاحتجابها بحجب المادّة و لوازمها و انظلامها بظلمة المادّة كأنّها لا دلالة لها على اللّه و لا حسن لها فى انفسها فلو

سمّيتها بالاسماء الغير الحسنة او الغير الحسنى، لكان حقّاً هذا بحسب سلسلة النّزول. و امّا بحسب سلسلة الصّعود فخاتم الانبياء (صلّى الله عليه وآله) اسم احسن بالجهات الثّلاثة لا احسن منه ثمّ خاتم الاولياء (عليه السلام) ثمّ سائر الانبياء(عليهم السلام) والاولياء(عليهم السلام) على تفاوت مراتبهم.

فالمعنى وللّه خاصّةً الاسماء الّتى لادلالة لها على غيره و هى احسن من غيرها فى انفسها.

[فَادْعُوهُ بِهاٰ] و لمّا كان الامر بدعائه تعالى مفروغاً عنه مسلّماً عندهم بحيث ما بقى لاحدٍ شكّ فى انّه مأمور بدعائه تعالى كان الغرض من تفريعه على تخصيص الاسماء الحسنى به تخصيصه بها اعتباراً لمفهوم القيد فى مثل هذا المقام. فكأنّه قال فادعو اللّه بالاسماء الحسنى لابغيرها من الاسماء الّتى لا حسن فيها او ليست بأحسن، و لمّا كان الاسماء اللّفظيّة الآلهيّة كلّها متساوية فى انفسها و فى دلالتها.

لانّ الدّلالة و ضعيّة فى كلّها والمدلول فى الكلّ هواللّه واسماؤه و صفاته، فلا يتصوّر فيها التّفاوت بالحسن و عدمه و الاحسنيّة و عدمها فليست هى مقصودة منها، و الاسماء النّزوليّة الّتى مقامها فوق مقام البشر، لمّا لميمكن التّوسّل بها للبشر لارتفاعها عن مقام البشر وعدم سنخيّة البشر لها فهى ايضاً ليست مقصودة لعدم جواز الامر من اللّه بالتّوسّل بغير الممكن.

فبقى ان يكون المقصود الامر بدعائه بتوسّط الاسماء البشريّة الصّعوديّة فكأنه قال تعالى بعد اعتبار مفهوم القيد: فادعوه باسمائه الحسنى من افراد البشر الّتى هى ببشريّتها سنخكم و يمكن لكم التّوسّل

بها من الانبياء (عليهم السلام) و الاولياء (عليهم السلام) و خاتم الكلّ والحاضر فى زمانكم محمدّ (صلى الله عليه وآله) و علىّ (عليه السلام).

فادعوه بهما كما فسّر قوله تعالى: ادعوااللّه او ادعواالرّحمن بهما؛ ولاتدعوه باسمائه الغير الحسنى من الاشقياء وائمّة الجور و خاتم الكلّ والحاضر فى زمانكم مقابلوا محمّد (صلى الله عليه وآله) و علىّ (عليه السلام).

و على هذا فقوله تعالى: [وَ ذَرُوا الَّذينَ يُلْحِدُونَ في أَسْمٰائِهِ] كان بياناً لمفهوم القيد و تأكيداً له ان كان معناه واتركو ادعاء اللّه بالّذين يلحدون فى اسمائه الحسنى ان جعل الاضافة للعهد او فى مطلق اسمائه ان جعلت للاستغراق، و ان كان معناه اعرضوا عن الّذين يلحدون فى اسمائه و لا تنظروا اليهم و الى الحادهم كان تأسيساً يعنى لاتوسّلوا بهم حسب مفهوم القيد و لا تنظروا اليهم و الى الحاد هم بل اجعلو هم كالمعدومات.

والمراد بالالحاد فى الاسماء العدول عنها من حيث انّها اسماء و العدول بها عن اسميّتها للّه.

و قوله: [سَيُجْزَوْنَ مٰا كٰانوا يَعْمَلُونَ] يناسب المعنى الثّانى لقوله و ذروا الّذين يلحدون.

[وَ مِمَّنْ خَلَقْنٰا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ] قد عرفت ممّا مضى انّ الحقّ المضاف هو الولاية والنّبوّة والرّسالة صورتها، [وَ بِهِ يَعْدِلُونَ] من العدالة او يسوّون الاشياء الغير المتعادلة من قوى انفسهم فى مملكة وجودهم او من غيرها فى خارج وجودهم و قد فسّر هذه الآية فى اخبارٍ عديدةٍ بآلمحمّد (صلى الله عليه وآله) و أتباعهم .

و هو قرينة قوله تعالى: و لقد ذرأنا لجهنّم و كان المناسب للمعادلة ان يقول و خلقنا للجنّة امّة يهدون، و لكن لمّا كان المقام مقام الوعيد دون الوعد ناسب تطويل الوعيد والاجمال فى الوعد و لذا بسط فى الوعيد بذكر الاوصاف العديدة لاصحاب جهنّم، واكتفى بهذا القدر لاصحاب الجنّة وانتقل إلى التّهديد والوعيد و هو معطوف على جملة ذرأنا باعتبار مناسبة المعنى كأنّه قال: و ممّن خلقنا امّة يستحقّون الجحيم.

و هذه المقابلة تدلّ على انّ قوله: وَلِلّٰهِ اَلْاَسْمٰاءُ اَلْحُسْنٰى من متعلّقات الجمل السّابقة.

[وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيٰاتِنٰا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَعْلَمُونَ] الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجةً بعد درجةٍ والمراد به هنا الاستنزال.

عن الصّادق (عليه السلام) اذا أراداللّه بعبدٍ خيراً فأذنب ذنباً اتبعه بنقمة و يذكّره الاستغفار، و اذا اراد بعبدٍ شرّاً فأذنب ذنباً فاتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار و يتمادى بها و هو قول اللّه عزّو جلّ: سنستدرجهم من حيث لا يعلمون بالنّعم عند المعاصى.

[وَ اُمْلِى لَهُمْ] من املى له امهله، او من املاه اللّه متّعه فيكون دخول الّلام للتّقوية وللاشعار باختصاص الملاء بهم، [إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ] يعنى ما ظاهره الاحسان و باطنه الاستدراج والاساءة من الاناسىّ ضعيف و منّى متين بحيث لا يعلم به اصلاً.

[اَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا] ءانكروا محمّداً (صلى الله عليه وآله) و لم يتفكّروا، [مٰا

بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ] كما يقولون انّه لمجنون [إِنْ هُوَ الاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ] ظاهر او مظهر ان انذاره من اللّه.

[اَوَلَمْ يَنْظُرُوا] عطف على قوله او لم يتفكّروا او على مقدّر اى اوقفوا عن النّظر و لم ينظروا، [فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ] ملكوت كلّ شيء باطنه لانَّ الملكوت مبالغة فى المالكيّة و باطن كلّ شيءٍ مالك لظاهره كباطن الانسان المسخّر لظاهره بحيث لا يتمكّن من عدم طاعته، و باطن السّماوات المسخّر لاجرامها فى حركاتها المتناسقة و ملكوت الارض مثالها فى عالم المثال و هو عالم الملكوت الاعلى .

والمقصود من النّظر فى ملكوتهما النّظر فى دقائق الحكم المودعة فى حركاتها المتناسقة المنتظمة المترتّب عليها كلّيّات نظام العالم و جزئيّاته الّتى لايشكُّ العاقل فى انّها ليست من اجرامها من غير علم و شعورٍ، بل لها مسخّر عالم شاعر حكيم و اذا عرف الانسان ذلك من السّماوات والارض لم يتوقّف فى معرفة الآخرة و معرفة اللّه و صفاته و معرفة المعاد، و ورد الامر بالنّظر فى الّسماوات والارض و آياتهما و آيات الآفاق و الانفس ليؤدّى بالنّاظر الى مدبّرهما و مسخّرهما و ملكوتهما.

[وَ مٰا خَلَقَ اللّٰهُ مِنْ شَيْءٍ] ممّا يطلق عليه اسم الشّىء كائناً ما كان فانّ فى كلّ شيء آية قدرته و حكمته، [وَ اَنْ عَسٰى اَنْ يَكُوْنَ قَدِ اقْتَرَبَ اَجَلُهُمْ] او لم ينظروا فى انّه عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فيستعدّوا له فيميزوا بين ما ينفعهم حين الاجل و بين ما يضرّهم، فانّ تذكّر الموت يعين على التّميز بين الحقّ و الباطل و على رفع الغشاوة

والعمه عن البصيرة.

[فَبِاَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ] بعد الاجل [يُؤْمِنُونَ] ولا حديث بعده و لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل.

[مَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَلاٰ هٰادِيَ لَهُ] جواب لسؤالٍ ناشٍ ممّا سبق كأنّه قيل: فما بالهم لايؤمنون بعدوضوح الحقّ و يتقّن الموت؟! [وَ يَذَرُهُمْ فِي طُغْيٰانِهِمْ يَعْمَهُونَ] يتحيرون [يَسْأَلُونَكَ عَنِ السّٰاعَةِ] قد فسّر السّاعة فى رواياتنا بالقيامة و بظهور القائم عجّل اللّه فرجه و بوقت الموت و الكلّ فى العالم الصَّغير راجع الى معنىً واحد و هو اوّل وقت الموت، فانّه من مات قامت قيامته و يظهر القائم من آل‌محمّد (صلى الله عليه وآله) حين الموت على المؤمن والكافر و كذا فى العالم الكبير.

فانّ الانسان بعد طيّ البرازخ سعيداً كان او شقيّاً تقوم قيامته الكبرى و له اماتة اخرى و يظهر القائم(عليه السلام) حينئذٍ ظهوراً اتمّ من الظّهور الاوّل و يحاسب النّاس و يدخل اهل الجنّة فى الجنّة و اهل النّار فى النّار، و قوله تعالى: اَمِّتَنٰا اثنتين و أحييتنا ائنتين؛ اشارة الى هاتين الاماتتين و هذين الاحيائين و لذا قدمّ اَمِّتَنٰا والسّاعة بكلا معنييه من الامور الّتى لم يطلع اللّه عليها احداً من ملائكته المقرّبين و انبيائه المرسلين (عليهم السلام) و اوليائه الكمّلين، فلا يعلمها الاّ اللّه و يقدّم منها مايشاء و يؤخّر، فمن ادّعى علمها فهو كذّاب.

و قد ورد: لعن اللّه الموقّتين، بل التّحقيق انّ السّاعة خارجة من الوقت واقعة فوق الوقت ليس لها وقت زمانيّ بل هى من الملكوت والزّمان من الملك و تحديد الملكوت بالملك من غاية الجهل و لهذا

نسب اللّه تعالى الى عدم العلم و الجهل من سأل عنها.

[اَيّانَ مُرْسيٰها] و قوعها سؤال عن توقيت السّاعة. [قُلْ اِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبّي] لانّة استأثره لنفسه.

[لا يُجَلّيها لِوَقْتِها] لايظهرها فى وقتها [اِلاّ هُوَ ثَقُلَتْ فِى السَّمٰواتِ وَالْاَرْضِ] لانّ صغريها و كبريها ترفع الحدود والتّعيّنات و تميت الانّيّات و تظهر الحقّ و تبيد الباطل و ليست السّماوات والارض و أهلهما الّا التّعيّنات و الانّيّات الباطلة ولاثقل اثقل ممّا يرفع الشّىء و لا يبقى له اثراً.

[لا تَاْتيكُمْ اِلاّ بَغْتَةً] من غير تقدّم اثر و علامة [يَسْاَلُونَكَ كَاَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْها] يعنى يلحّون فى السّؤال عنك كأنّك ملحّ علينا فى السّؤال عنها.

[قُلْ اِنَّما عِلْمُها عِنْدَاللّٰهِ] تأكيد فى الرّدّ عليهم [وَ لٰكِنَّ اَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ] انّها ممّا ليس يبذلها اللّه لغيره و انّها فوق الوقت لا يمكن توقيتها بوقتٍ.

[قُلْ لا اَمْلِكُ لِنَفْسي نَفْعاً وَ لا ضَرّاً] فلا يكون لى الاطّلاع على الغيوب و هو تبرّءٌ من الانانيّة و اقرار بالعجز والعبوديّة، كما هو شأن العارف بالرّبوبيّة و كناية عن نفى علم الغيب عن نفسه مطلقاً اشارة الى العجز فى قوّته العمّالة والجهل فى قوّته العلّامة بحسب التّنزّل الى مقام البشريّة و ما كان يظهر منه من القدرة و العلم بالغيوب، فانّما هو بحسب جنبته الملكوتيّة الّتى هى من عالم الرّبوبيّة.

[اِلاّ ما شاءَ اللّٰهُ] ان يملكنى على ظاهره و يعلمنى على معناه

المكنّى [وَ لَوْ كُنْتُ اَعْلَمُ الْغَيْبَ] تصريح بـالنّفى المكـنّى تأكـيداً و تحقيق له بالبرهان الحسّيّ على زعمهم فانّهم لايرون خيراً الّا مازعموه خيراً من الاعراض الدّ نيويّة.

[لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ] السّعة فى المال و الصّحّة والسّلامة، [وَ مٰا مَسَّنِىَ السُّوءُ] الآفة فى المال و فـى الانـفس [اِنْ أَنَـا اِلاّ نَـذيرٌ] للكافرين بقرينة المقابلة مع بشير، و تقيده بالمؤمنين او مطلقاً كما هو ظاهره لكن للمؤمنين من الجهات النّفسانيّة الّتى تـؤدّى الى الكـفر و للكفّار من كفرهم.

[وَبَشيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] نفى لجملة الشّؤن عن نـفسه و اثـبات للانذار و التّبشير الّذين هما بأمراللّه كأنّه قال: ليس لى شأن الاّ امراللّه و هو غاية التّوحيد فعلاً و صفةً.

و لمّا كان هذا منه(ﷺ) توحيداً عقّبه تعالى شأنه بـاشراك آدم و حوّاء فى مخلوقه الّذى لاينبغى الاشراك فيه اشراكاً فـى الآلهـة، و هـو ينافى توحيدا له العالم الّذى هو دون توحيد الافعال و الصّـفات ابـداءً لفضله (ﷺ) وتقديماً لذمّ اولادهما فى الشّرك فى العبوديّة الّذى هو اقبح من الشّرك فى الآلهة و مستلزم له.

فقال: [هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واٰحِدَةٍ] منّاً منه سبحانه بنعمة الوجود و اثباتاً لتوحيده فى العبادة و لذا و بّخهم على الاشراك معلّلاً بانّ ما جعلوه شريكاً لايخلق شيئاً.

[وَ جَعَلَ مِنْهٰا زَوْجَهٰا لِيَسْكُنَ اِلَيْهٰا] اذارءا ها مـن سـنخها، و تذكير ضميريسكن بلحاظ المعنى و يجوز ان يراد بنفسٍ واحدة، حوّاء و

يكون معنى جعل منها زوجها جعل من سنخها زوجها وهماآدم (عليه السلام) و حوّاء (عليها السلام) فى العالم الكبير و الجهتان العقلانيّة و النّفسانية للانسان اللّتان هما نازلتا العقل فى العالم الصّغير.

[فَلَمَّا تَغَشّٰيهٰا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً] لايظهر اثر ثقله [فَمَرَّتْ بِهِ] استمرّت مع الحمل.

[فَلَمّٰا أَثْقَلَتْ] صارت ذات ثقل [دَعَوَا اللّٰهَ رَبَّهُمٰا لَئِنْ آتَيْتَنٰا صٰالِحاً] فى النّفس والبدن [لَنَكُونَنَّ مِنَ الشّٰاكِرِينَ فَلَمّٰا آتٰيهُمٰا صٰالِحاً] منّة اخرى عليهما [جَعَلاٰ لَهُ شُرَكٰاءَ فِيمٰا آتٰيهُمٰا] بدّلا النّعمة بالكفران والوعد بالخلف.

مراتب الاشراك

اعلم، انّ للاشراك باللّه مراتب عديدة:

الاوّل: الاشراك به فى وجوب وجوده كاشراك اكثر الثّنويّة القائلين بانّ للعالم مبدئين قديمين مسمّيين بالنّور و الظّلمة او يزدان و اهريمن.

و الثّانى: الاشراك فى الالهة كاشراك بعض الثّنويّة القائل بانّ القديم والواجب الوجود واحد والظّلمة او اهريمن مخلوق منه لكن له الآلهة فى العالم و انّ الشّرور كلّها منه لامن اللّه .

والثالث: الاشراك فى العبادة كاشراك اكثر الصّابئين و اشراك الوثنيّين والعجليّين و غيرهم ممّن يعبد غيراللّه من مخلوقاته تقرّباً بها الى اللّه.

والرّابع: الاشراك فى الوجود كاشراك معظم النّاس إلاّ من شذّ الّذين لايرون فى الوجود الاّ الموجودات المتكثّرة المتقابلة كلّ من الآخر والكلّ مع اللّه.

والخامس: الاشراك فى الطّاعة كاشراك من اشرك فى طاعة الانبياء (عليهم السلام) والاولياء (عليهم السلام) و خلفائهما طاعة غيرهم من ائمّة الجور و علماء السّوء و السّلاطين و الامراء والحكّام.

والسّادس: الاشراك فى المحبّة كاشراك من اشرك فى محبّة اللّه و محبّة خلفائه محبّة غيره و كاشراك من اشرك فى المحبّة بان كان مصدرها آلهيّاً و نفسانيّاً او غايتها آلهيّاً و نفسانيّةً.

والسّابع: الاشراك فى الولاية و هى اشدّها و اعظمها بان اشرك مع ولىّ الامر(عليه السلام) او نبىّ الوقت(صلى الله عليه وآله)غيره فى البيعة الخاصّة الولويّة اوالعامّة النّبويّة او اذعن بنبوّة من ليس بنبىّ او بولاية من ليس له الولاية.

فقوله تعالى: و ما يؤمن من اكثرهم باللّه الاّ و هم مشركون، المقصود منه احد المعانى السّابقة غير الثّلاثة الاول و كلّ هذه المعانى غير الكفر باللّه فى كلّ مرتبة فانّه يقتضى قطع النّظر عن اللّه و استبداد النّظر الى غيره، و ما يجرى فى اهل العالم الكبير يجرى فى اهل العالم الصّغير من غير فرقٍ، و معانى الاشراك غير الثّلاثة الاول و غير المعنى الا خير يجوز اعتبارها ههنا ان كان المراد انّ آدم و حوّاء حقيقةً جعلا له شركاء كما فى الخبر و انّما شركهما شرك طاعة و ليس شرك عبادة.

و فى حديث: جعلا للحارث نصيباً فى خلق اللّه و يناسب الشّرك فى المحبّة بأحد معانيه.

و قوله تعالى: شاركهم فى الاموال و الاولاد يناسب هذاالشّرك و الشّرك فى الطّاعة، و ان كان المراد انّ اولاد آدم(عليه السلام) جعلوا له شركاء فيما

آتاهم والنّسبة الى آدم (عليه السلام) و حوّاء كانت مجازاً كما فى الخبر.

و يؤيّده قوله تعالى: فتعالى اللّه عمّا يشركون بصيغة الجمع امكن اعتبار جميع اقسام الشّرك و نسبة الشّرك الى اولادهما امّا بطريق المجاز فى الحذف بان يكون فاعل جعلا اولادهما، لكنّه حذف و اقيم المضاف اليه مقامه او بطريق المجاز فى الحكم بان يكون المحكوم عليه الاولاد لكنّه نسب اليهما باعتبار انّ الاتباع و الاولاد كـالاجزاء او النّسـبة الى الاولاد باعتبار ان يراد الجنس من لفظ صالحاً و حينئذٍ يشمل الذّكـور والاناث، و ضمير جعلا يرجع الى صالحاً باعتبار الصّنفين كما فى الخبر.

و لمّا علم من السّابق انّ اللّه خالق والخالق لا يساوى المخلوق اتى بالفاء الدّالّ على التّسبيب والتّفريع فقال: [فَتَعٰالَى اللّٰهُ عَمّٰا يُشْرِكُونَ] عن الّذى يشركونه او عن اشراكهم.

[اَيُشْرِكُونَ مٰا لاٰ يَخْلُقُ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ] توبيخ بوجهٍ آخـر فانّ الاوّل باعتبار انّ الخالق المنعم شأنه ان يوحّد و لا ينظر معه الى غيره من غير اعتبار وصفٍ للشّريك و هذا باعتبار انّ ما لا يخلق بل هو مخلوق لاينبغى ان يجعل شريكاً للخالق.

[وَ لاٰ يَسْتَطِيعُونَ لَـهُمْ نَـصْراً وَ لاٰ اَنْـفُسَهُمْ يَـنْصُرُوْنَ وَ اِنْ تَدْعُوهُمْ اِلَى الْهُدىٰ لاٰ يَتَّبِعُوكُمْ] ذكر اوصافه مترتّبة فـى الذّمّ مـن الاخسّ فالاخسّ كما هو طريقة المبالغة فى الذّمّ و على هذا فـمعنى ان تدعوهم الى الهدى الى ان تهدوهم انتم فضلاً عن انّهم يهدونكم.

[سَواٰءٌ عَلَيْكُمْ اَدَعَوْ تُمُوهُمْ اَمْ اَنْتُمْ صاٰمِتُوْنَ] يعنى ما يـجعل شريكاً للخالق ينبغى ان يكون خالقاً فان لم يكن خالقاً فلا اقـلّ مـن ان

یکون مخلوقاً فان کان مخلوقاً فلااقلّ من ان یکون ناصراً لعابدیهم، فان لم ینصروا عابدیهم فلینصروا انفسهم فان لم ینصروا انفسهم فلیتّبعوکم فی الدّعوة الی الهدی فان لم یتّبعوکم فلیمیّزوا بین الدّاعی و غیره، فان انتفی ذلك کلّه فلیس اشراکه الاّ محض حمق المشرك و سفاهته.

[إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ] و المعبود لااقلّ من ان لایکون عبداً.

[فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ] و لااقلّ من السّماع و الاستجابة [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا] و لا اقلّ من ان یمشی مثلکم.

[أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ] بعد اتمام التّوبیخ والتفضیح تحدّیاً.

[ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ] فانّی لاابالی بکم و بشرکائکم بعد غایة ضعفکم و ضعف شرکائکم و قوّة ربّی و حفظه و نصرته.

[إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ] فی موضع التّعلیل و المراد بالکتاب کما عرفت الکتاب المعهود المعروف و هو کتاب النّبوّة والقرآن صورته [وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ] لمّا کان التّحدّی باعتبار قوّة اللّه و ضعف الشّرکاء علّله بهما فقوله الّذین تدعون من دونه عطف علی مدخول ان [لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ] والتّکرار باعتبار التّعلیل و مطلوبیّة التّکرار فی مقام المبالغة فی الذّمّ.

[وَ اِنْ تَدْعُوهُمْ اِلَى الْهُدىٰ لاٰ يَسْمَعُوا وَ تَريٰهُمْ يَنْظُرُونَ اِلَيْكَ] صرف الخطاب منهم الى محمّدٍ (ﷺ) اشعاراً بانّهم بعد ما ظهر وقاحتهم و سفاهتهم لا ينبغى التّخاطب معهم.

[وَ هُمْ لاٰ يُبْصِرُونَ خُذِ الْعَفْوَ] شبّه العفو بالوحشىّ الشّارد لتعسّر الاتّصاف به ثمّ استعمل الاخذ فيها استعارة تخييلية و ترشيحاً لها وا لمراد منه اعمّ من الصّفح فانّهما كالفقراء و المساكين اذا اجتمعا افترقا، واذا افترقا اجتمعا.

[وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ] و لمّا لم يكن النّظر الى خصوص المعفوّ عنه و المأمور بالمعروف اسقط المفعول بخلاف الاعراض فانّه مختصّ بالجاهل و لذا قيّده فقال: [وَ اَعْرِضْ عَنِ الْجاٰهِلِينَ] و قد فسّر العفو فى الخبر بالميسور من الافعال و الاخلاق و بالوسط من الاموال و هو من سعة وجوه القرآن.

اعلم انّ هذه الثّلات امّهات اخلاق المعاشرة و نتائج امّهات الاخلاق الجميلة النّفسيّة فانّ المعاشر امّا معاند مسىء، و امّا محبّ مقبل، و امّا جاهل غيرمعاند و غير مقبل، و جميع آداب حسن المعاشرة مع المعاند مطويّة فى ترك مقابلة اساءته بالانتقام و هو العفو و تخلية القلب من تذكّر سوء صنيعته و هوالصّفح و هما من نتائج الشّجاعة والعفّة الحكمة الّتى هى من امّهات الخصائل.

فانّ الجبان لايمكنه ترك الانتقام و ان منع جبنه عن الانتقام فلا يمكنه الصّفح، والمتهوّر لا يترك الانتقام البتّة والعفيف يمنعه عفّته عن مطاوعة النّفس بخلاف الشّره.

والحكيم يرى انّ فى ترك الانتقام راحةً فى الآجل و كسراً لسورة عناد المعاند و جذباً للمحبّة والعدالة الّتى هى احدى امّهات الخصائل ايضاً تقتضى ذلك.

فانّ اجمال العدالة اعطاء كلّ ذى حقّ حقّه و حقّ النّفس مطاوعتها للعقل و حقّ المسىء اصلاحه حتّى يترك الاساءة لانتقامه حتّى يزيد فى الاساءة، و آداب المعاشرة مع المقبل المحبّ مطويّة فى ارادة خيره فى كلّ حال و ارادة خيره بان لايتركه و نفسه بل يعرّفه معروفه ويأمره به و هو من نتائج الحكمة و العدالة، و آداب المعاشرة مع الجاهل الغير القابل للخير عدم معارضته و ترك محادثته بخيره و هو من نتائج الحكمة و العدالة ايضاً و فى الخبر: امراللّه نبيّه(صلّی الله علیه و آله)بمكارم الاخلاق و ليس فى القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق منها.

[وَ اِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطٰانِ نَزْغٌ] ان يغريك او يوسوسك من الشّيطان مغرٍ او موسوس او اغرار او وسوسة حتّى تحرّكك على انتقام المسىء و ترك نصح المحبّ و معارضة الجاهل.

[فَاسْتَعِذْ بِاللهِ اِنَّهُ سَميعٌ] لاستعاذتك او لنزغ الشّيطان و ان كان خفيّاً فى القلب.

[عَليمٌ] بعاقبة ما يأمرك به او بكيفيّة دفع نزغ الشّيطان.

[اِنَّ الَّذينَ اتَّقَوْا] ارادوا التّقوى من نزغ الشّيطان او اتّقوا موالاة الشّيطان او اتّقوا تقوى حقيقيّة حاصلة بولاية علّى (علیه السلام) والبيعة الخاصّة الولويّة و على ايّ معنى فهو فى موضع تعليل للامر بالاستعاذة.

[اِذا مَسَّهُمْ طٰائِفٌ] خطرة و وسوسة لانّ الانسان قلّما ينفك منها

فكأنّها طائفة بهم و دائرة معهم او طائفٌ و شيطان من قبل ابليس الابالسة او خيال من الطّيف بمعنى الخيال.

[مِنَ الشَّيْطٰانِ تَذَكَّرُوا] او امره تعالى و نواهيه، او تذكّروا سوء عاقبة الطّائف، او تذكّروا بالّذكر المأخوذ من وليّ امرهم، اوتذكّرو بالفكر الحاصل من الذّكر المأخوذ الّذى هو مثال شيخه.

[فَاِذاٰ هُمْ مُبْصِرُونَ] سوء عاقبة الطّائف او انّ الطّائف من الشّيطان او جذب الطّائف الى السّفل السّجّين او انّه شيطان يوسوسه من قبل ابليس.

[وَ اِخْواٰنُهُمْ] اى والحال انّ اخوان الّذين اتّقوا او اخوان الشّياطين من الانس [يَمُدُّونَهُمْ فِى الْغَيِّ] من المدّ بمعنى الجذب او من المدد و قرىء يمدّونهم من الامداد يعنى يغرّونهم على مخالفة الامر والمقصود الاشارة الى قوّة التّذكّر بحيث يمنع صاحبه من الغيّ و ان كان شيطان الجنّ يغويه و شياطين الانس تجذبه او تعينه فى غيّه [ثُمَّ لاٰ يُقْصِرُونَ] لايمسكون من الجذب اوالامداد.

[وَ اِذاٰ لَمْ تَاْتِهِمْ بِاٰيَةٍ] من مقترحاتهم او بآية من القرآن فى احكامهم عند مسألتهم [قاٰلُوا] اى المقترحون او المتّقون حرصاً على اجابة الكفّار الى مقترحاتكم طمعاً فى ايمانهم: [لَوْلَا اجْتَبَيْتَهٰا] لولا اخترت الآية المقترحة.

[قُلْ اِنَّمٰا اَتَّبِعُ مٰا يُوحٰى اِلَيَّ مِنْ رَبّى] و لست اختار من قبل نفسى آية و معجزة من مقترحاتكم او آية فى احكامكم.

[هٰذٰا] القرآن او هذاالمذكور من قوله و اتل عليهم و هو من جملة

المقول له (صلى الله عليه وآله) او مستانف من اللّه [بَصٰائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] صفه للمجموع.

[وَ إِذٰا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا] يعنى اذا قرأ الامام الموثوق به فى الصّلواة القرآن اى الحمد و السّوره و انتم موتموّن به كما فى بعض الاخبار، او اذا قرأ الامام موثوقاً به او غير موثق به فى الصّلواة و انتم موتمّون به.

او اذا قرى القرآن مطلقا سواء كان القارى اماماً او غير امام و سواءٌ كنتم موتميّن او غير موتميّن، و سواء كان القارى مصليّا او غير مصلٍّ، و سواءٌ كنتم مصلّين او غير مصلّين كما فى بعض الاخبار.

و وجه الجمع بين الاخبار المبالغة فى وجوب انصات المستمع فى الصّلواة موتّما حالكون القارى اماماً موثوقاً بـه و عـدم المـبالغة فـى الوجوب فى غير الصّورة المذكورة.

او الوجوب فى الصّورة المذكورة، و الاستحباب فى غير الصّورة المذكورة كما عليه اصحاب الفتيا، و وجه اختلاف الاخبار فى باب من ائتّم بالمخالف بالنّهى عن القرائة و الامر به اختلاف احوال الاشخاص فى امكان اخفاء القراءة عن المخالفين و عدمه.

[لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَ اذْكُرْ رَبَّكَ] المضاف او المطلق عطف على قوله تعالى: قل انّما اتّبع ما يوحى الىّ او مستانف و الامر له(صلى الله عليه وآله) بحيث يشمل امّته او الخطاب عامّ و يصحّ عطفه على استمعوا او على استعذ باللّه، او على خذ العفو.

[فِي نَفْسِكَ] يعنى دون لسانك فانّه المتبادر، و مقتضى المقابله

مع قوله و دون الجهر من القول ، و هو اشاره الى الذّكر الخفيّ الّذى هو مصطلح الصّوفيّه و لذا قدّمه والمراد بالذّكر اعمّ من الذّكر النّقشيّ المثاليّ المأخوذ عن وليّ الامر و من الذّكر التّمثالى المثاليّ الّذى يعبّر عنه بالفكر و الحضور ، و هو تصوّر مثال الشّيخ عند الذّاكر و هو ابلغ فى الذّكر من النّقشيّ المثاليّ و هو ابلغ من اللّسانيّ الغير المجهور و هو ابلغ من المجهور .

و يجوز ان يراد بالذّكر فى النّفس مطلق تذكّر الرّب او تذكّر امره و نهيه عند كلّ فعالٍ و قد سبق تفصيل الذّكر و اقسامه و فضيلة كلّ قسم منه فى اوّل البقرة عند قوله فاذكرونى اذكركم.

[تَضُرَّعاً وَ خيفَةً] ذكر تضرّعٍ او مصدران من غيرلفظ الفعل على ان يكون المراد من كلّ من التّضرّع و الخيفة احد انواع الذّكر او متضرّعاً و خائفاً، و يحتمل ان يكون قوله تضرّعاً و خيفة مفعولا له حصوليّاً او تحصيليّاً يعنى انّ الرّجاء و الخوف من لوازم وجود الانسان، او من لوازم وجودك و هما يستلزمان الذّكر او الرّجاء و الخوف بمنزلة جناحى المؤمن لايمكنه السّير بدونهما و هما لا يحصلان الّا بذكر الرّبّ فاذكره لتحصيلهما و المقصود من التّضرّع الرّجاء بقرينة مقابلة الخوف.

فانّ التّضرّع و الابتهال و الالتجاء من متفرّعات الرّجاء و المقصود نفى الغرور باللّه و نفى اليأس من رحمة اللّه و الوقوع بين الخوف و الرّجاء اللّذين هما من صفات المؤمنين.

[وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ] يعنى باللّسان من غير جهر و هو اشارة الى الذّكر الجليّ الّذى هو من مصطلحات الصّوفيّة و امّا الذّكر اللّسانيّ

المجهور كما هو شان القرّاء و القصّاص و العوامّ فقد ورد مذمّته و لم يكن من سنّة الصّوفيّة الصّافيّة.

فقد ورد عن مولينا و مقتدانا و من به رجاءنا فى عاجلنا و آجلنا امير المومنين (عليه السلام) و رغم انف المعاندين، من ذكر اللّه فى السّرّ فقد ذكر اللّه كثيراً انّ المنافقين كانوا يذكرون اللّه علانيةً و لايذكرونه فى السّرّ فقال اللّه تعالى: يراؤن النّاس و لا يذكرون اللّه الاّ قليلاً.

[بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ] فى جملة اوقاتك فانّه قد يستعمل الغداة و العشىّ و مرادفاتهما فى لسان العرب و العجم فى استغراق الاوقات، او المراد هذان الوقتان لشرافتهما على سائر الاوقات و فراغة الانسان من مشاغله الدّنيويّة و الضّروريّات البدنيّة و الالتذاذات النّفسيّة غالباً فى هذين الوقتين.

[وَلاٰ تَكُنْ مِنَ الْغٰافِلِينَ] المنهمكين فى الغفلة و لم يقل: و لاتغفل، كما هو طريقة المشاكلة فى المقابلة لانّ الانسان قلّما ينفكُّ عن حدوث الغفلة. [إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ] فى موضع التّعليل للامر و النّهى و المراد من حصل له الحضور عنده من الانبياء (عليهم السلام) و الرّسل(عليهم السلام) و خلفائهم(عليهم السلام) فى سلسلة الصّعود و الملائكة المقرّبين فى سلسلة النّزول.

[لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَ يُسَبِّحُونَهُ] على سبيل الاستمرار [وَ لَهُ يَسْجُدُونَ] استمراراً فان اردت اللّحوق بهم و الاتّصاف بصفاتهم فلا تغفل عن ذكره.

# فهرستهای پنجگانه

# فهرست اعلام

اماکن



پیامبران

# فهرست ترجمه‌ی اخبار

آن است که با چشم دیده شود، ولکن وقتی که خدا با او هم کلام شد و او را به خود نزدیک گردانید و با او سخن گفت به سوی قومش برگشت و به آنها خبر داد که خداوند با او هم کلام شد و او را به خود نزدیک گردانید و با او سخن گفت. . . ۴۳۴

پس قومش به او گفتند: ما به تو ایمان نمی‌آوریم مگر اینکه کلام خدا را بشنویم همانطور که تو آن را شنیده‌ای، قوم موسی هفتصد هزار نفر بودند که از بین آنان هفتاد هزار را انتخاب کرد، سپس از بین آنان هفت هزار نفر، و سپس هفتصد نفر و سپس هفتاد نفر را برای میقات پروردگارش انتخاب کرد، پس به سوی طور سینا خارج شد، پس آنها را در دامنه کوه گذاشت و خود به سوی کوه طور بالا رفت و از خدا درخواست کرد با او تکلّم کند که قومش کلام او را بشنوند، خدا با او تکلّم کرد، و آنها کلام او را از بالا و پائین و راست و چپ و پشت سر و جلو می‌شنیدند. زیرا خدای تعالی کلام را در درخت پدید آورد، سپس صدا از درخت منعکس می‌شد تا این که از هر طرف صدا را می‌شنیدند. پس گفتند: ما ایمان نمی‌آوریم که آنچه شنیدیم کلام خدا باشد و به آن باور نداریم تا اینکه خدا را به طور آشکار ببینیم، وقتی این سخن بزرگ و با عظمت را بر زبان آوردند و استکبار و سرکشی کردند خداوند صاعقه‌ای برآنها فرستاد که به سبب ستمکاریشان صاعقه آنها را گرفت و مردند. موسیٰ علیه‌السلام گفت: پروردگارا وقتی به سوی بنی اسرائیل برگشتم به آنها چه بگویم؟ و آنها خواهند گفت که آنها را تو بردی و کشتی چون تو در ادّعای مناجات با خدا راستگو نبودی. پس خداوند آنها را زنده گردانید و با او به پیش بنی اسرائیل فرستاد و آنها گفتند: اگر تو از خدا درخواست می‌کردی که خود را به تو نشان دهد که به او نگاه کنی خدا درخواست تو را اجابت می‌کرد، آن وقت تو به ما هم خبر می‌دادی که خدا چگونه است، و ما هم او را کاملاً می‌شناختیم. پس موسیٰ علیه‌السلام گفت: ای قوم، خداوند با چشم دیده نمی‌شود و کیفیتی ندارد، بلکه او فقط با نشانه‌هایش شناخته می‌شود و با علامتهایش دانسته می‌شود. پس گفتند: ما به تو ایمان نمی‌آوریم تا این که درخواست ما را بپذیری و ازخدا چنین چیزی را بخواهی. موسیٰ علیه‌السلام گفت: پروردگارا گفتار بنی اسرائیل را شنیدی و تو به صلاح آنان داناتری

# فهرست اخبار متن

ربّنا مخالفتنا لهم و کراهتنا لفعلهم قالوا و لعلّهم یتّقون. و نعظهم ایضاً لعلّهم ینجع فیهم المواعظ فیتّقوا هذه الموبقة و یحذروا عقوبتها، قال اللّه تعالی فلمّا عتوا حادوا و اعرضوا و تکبّروا عن قبول الزّجر عمّا نهوا عنه قلنا لهم کونوا قردة خاسئن، مبعدین من الخیر مبغضین، فلمّا نظر العشرة الالاف و النّیف انّ السّبعین الفاً لایقبلون لو اعظهم ولایخافون بتخویفهم ایّاهم و تحذیرهم لهم اعتزلوهم الی قریه اخری و انتقلوا الی قریة من قراهم، و قالوا نکره ان ینزل بهم عذاب اللّه و نحن فی خلالهم، فأمسوا لیلة فمسخهم اللّه کلّهم قردة و بقی باب المدینة مغلقاً لا یخرج منه احد و لایدخله احد، وتسامع بذلك اهل القری فقصدوهم وسموا حیطان البلد فاطّلعوا علیهم فاذا هم کلّهم رجالهم و نساؤهم قردة یموج بعضهم فی بعضٍ، یعرف هؤلاء النّاظرون و معارفهم و قراباتهم و خلطائهم، یقول المطّلع لبعضهم: انت فلان و انت فلانة فتدمع عینه و یومی برأسه او بفهمه بلااو نعم، فمازالوا کذلك ثلاثة ایّام. ثمّ بعث اللّه تعالی مطراً وریحاً فحرفهم الی البحر و ما بقی مسخ بعد ثلاثة ایّام، و انّما الّذین ترون من هذه المصوّرات بصورها فانّما هی اشباها لاهی بأعیانها و لا من نسلها. ........................................ ۷۵۱

عن الصّادق (علیه السلام) لمّا انزل اللّه التّوراة علی بنی اسرائیل لم یقبلوه فرفع اللّه علیهم جبل طور سیناء فقال لهم موسی(علیه السلام) ان لم تقبلوا وقع علیکم الجبل فقبلوه و طأطأوا رؤسهم و قد مضی فی صورة البقرة. ........................ ۷۵۵

روی عن الرّضا(علیه السلام): انّه اعطی بلعم بن باعوراء الاسم الاعظم و کان یدعو به فیستجیب له، فمال الی فرعون فلمّا مرّ فرعون فی طلب موسی (علیه السلام) و اصحابه قال لبلعم : ادع اللّه علی موسی (ع) و اصحابه لیحبسه علینا، فرکب حمارته لیمرّ فی طلب موسی (ع) فامتنعت علیه حمارته فاقبل یضربها فأنطلقها اللّه عزّوجلّ فقالت: ویلك علی ماذا تضربنی؟! - اترید ان اجیء معك لتدعو علی نبیٍّ للّه و قومٍ مؤمنین؟! ـ فلم یزل یضربها حتّی قتلها و انسلخ الاسم الاعظم من لسانه. و نسب الی الرّوایة انّ قومه سألوه ان یدعو علی موسی (علیه السلام) و من معه! فقال: کیف ادعو علی من معه الملائکة فألحوّا علیه حتّی دعا علیهم فبقوا فی التّیه و نقل انّه لمّا دعا علی

# فهرست ابیات

چون پری را این دم و قانون بود
کردگار آن پری، خود چون بود۱۵۰

پس خداوند پری و آدمی
از پری کی باشد او آخر کمی۱۵۰

گر بگیرد خون، جهان را مال مال
کی خورد مرد خدا الّا حلال۱۵۸

کرد شهنشاه عشق در حرم دل ظهور
قد ز میان بر فراشت رایت اللّه نور۲۲۰

انصتوا یعنی که آیت را بلاغ
هین تلف کم کن،که لب خشك‌است، باغ۲۲۷

چون نهاد آن آب و گل بر سر کلاه
گشت آن اسماء جانی روسیاه۲۴۱

که نقاب حرف دم در خود کشید
تا شود بر آب و گل معنی پدید۲۴۱

هرکه خواهد هم نشینی با خدا
گو نشیند در حضور اولیاء۲۶۹

مسجدی کو اندرون اولیاست
سجده‌گاه جمله است، آنجا خداست۲۶۹

راه را بر ما چو بستان کن ای لطیف
مقصد ما باش، هم توای شریف۴۳۸

قدسیانرا عشق هست و درد نیست
درد را جز آدمی در خورد نیست۵۴۳

تو چه عزم دین کنی با اجتهاد
دیو بانگت بر زند اندر نهاد۵۴۵

که مرو زینسو بیندیش ای غوی
که اسیر رنج و درویشی شوی۵۴۵

سالها او را ببانگی بندهٔ
کار او اینست تا تو زندهٔ۵۴۵

# فهرست منابع

۲۵۱۷۲۰۰=۳۱۰۰×۸۱۲